سلسلة
معارف إلهية
تكشف عن آخر ما توصلت إليه
أتباع مدرسة أهل البيت عليهم السلام

٣

حقيقة الوضع
قاعدة:
(خذ الغايات واترك المبادئ)

بقلم
الشيخ كامل بدر الحلفي

سلسلة
معارف إلهيَّة
تكشف عن آخرَ ما توصَّلت إليه
أَتباع مدرسة أَهل البيت عليهم السلام
(٣)

حقيقة الوضع

قاعدة:

(خذ الغايات واترك المبادئ)

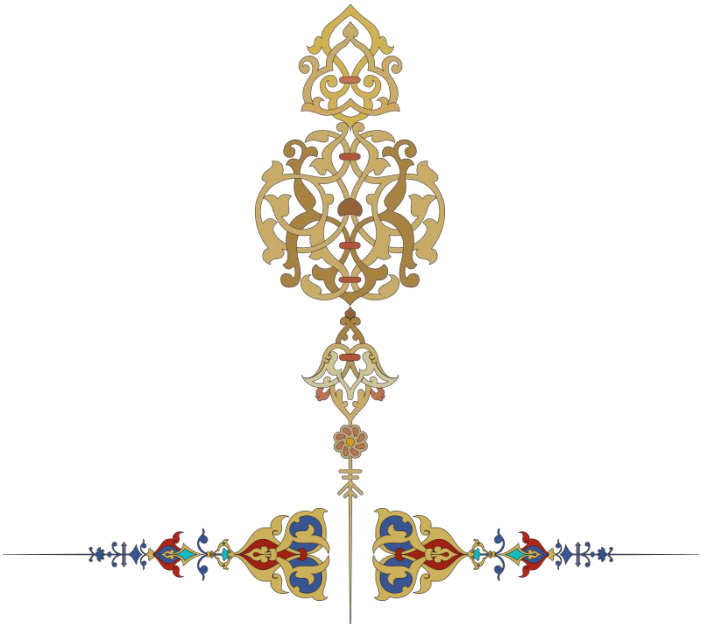

حَقِيْقَةُ الْوَضع

قَاعِدَة :

(خُذ الْغَايَات وَاتْرُك الْمَبَادِئ)

بقلم

الشَّيخ كامِل بَدِر الْحِلْفِيّ

أسم الكتاب /

حقيقة الوضع

قاعدة :

(خذ الغايات واترك المبادئ)

بقلم /

الشيخ كامل بدر الحلفي

النجف الأشرف

محفوظة جميع الحقوق

سنة الطبع /

١٤٤٧هـ - ٢٠٢٦ م

الطبعة / الثانية

منقحة ومزيدة

اخراج/

المهندس يوسف الخزعلي

٠٧٨١١٣٥٢٠٧٣

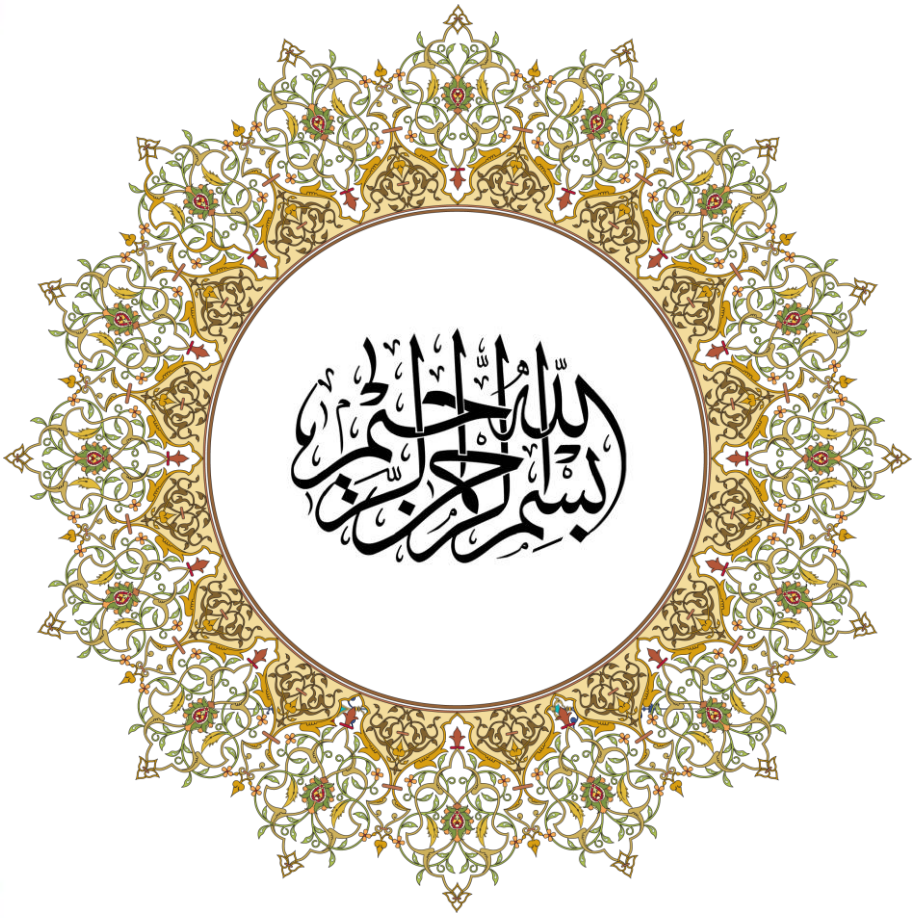
بسم الله الرحمن الرحيم

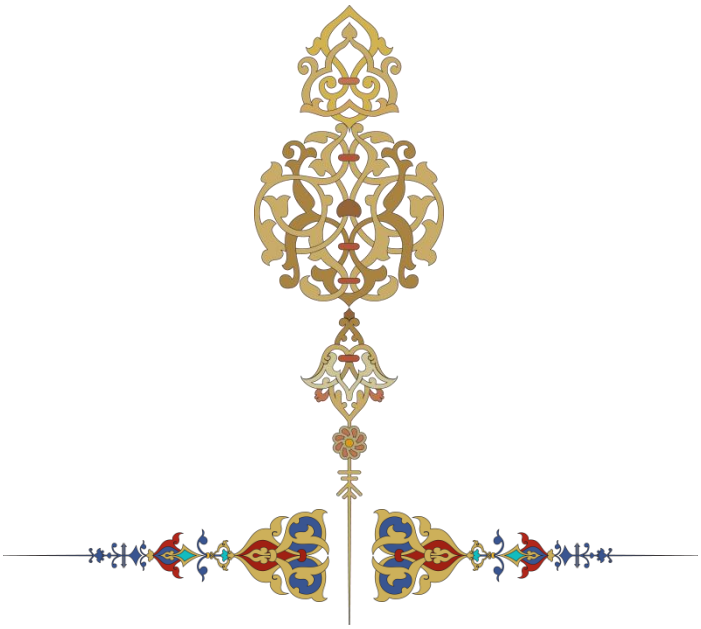

الْمُقَدَّمَة

الحمدُ لِلّـه الَّذي ليس بجنس فتعادله الأَجناس ، ولا بشبحٍ فتضارعه الأَشباح ، ولا كالأَشياء فتقع عليه الصِّفات ، قد ضَلَّت العقول في أَمواج تيَّار إِدراكه ، وتحيَّرت الأَوهام عن إِحاطة ذكر أَزليَّته ، وحصرت الأَفهام عن استشعار وصف قُدرته ، وغرقت الأَذهان في لُجَجِ أَفلاك ملكوته.

والصَّلاة والسَّلام على سيِّد الأَنبياء الَّذي لم ينفلق صدف الكعبة عن دَرَّهِ الدُّرِّيّ إِلَّا وأَضاء الكون بنور محياه الأَبلج ، وفاح في الأَجواء شذىٰ عنصره الأَقدس ، وأَكرمه الله عزَّ وجلَّ بالرُّوح الأَمين ، والنُّور المُنِير ، والكتاب المُستبين ، وعلى آله صدور إِيْوَان الأَصفياء ، وبدور سمآء الاجتباء ، ومفاتيح أَبواب الكرم ، ومجاديح هواطل النِّعَمِ ، وليوث غياض البسالة ، وغيوث رياض الإِيالَة ، وسُبَّاق مضامير السَّمَاحة ، وخُزَّان نفوذ

الرَّجاحة ، والأَعلام الشَّوامخ في الإِرشاد والهداية ، والجبال الشَّوامخ في الفهم والدِّرَايَة. واللَّعنة الدَّائمة أَبد الآباد ودهر الدُّهور على أَعدائهم وشانِئيهم وظالميهم ومتابعيهم ، وغاصبي حقوقهم ، ومنكري فضائلهم ومناقبهم ، ومناوئي شيعتهم من الأَوَّلين والآخرين.

وبعد : هذا هو الإِصدار الثَّالث الَّذي مَنَّ الله تعالىٰ علينا أَنْ وَفَّقنا لإِصداره ضمن هذه السلسلة ، وهي سلسلة المعارف والعقائد المُستفادة من بيانات الوحي القطعيَّة بالقطع العقلي ، بل والوحياني ، والمُستفاد جملة من بحوثها من الأَبحاث العلميَّة والمعرفيَّة والعقائديَّة والعقليَّة الحديثة الدَّائرة في أَروقة حوزة النجف الأَشرف ، وبعضها الآخر جهود وتحقيقات خاصَّة ، والَّتي تحمل جملة هذه الأَبحاث والتَّحقيقات في طيَّاتها آخر ما توصَّلَت إِليه أَتباع مدرسة أَهل البيت عليهم السلام في جامعة العلم الكُبرىٰ (حوزة النَّجف الأَشرف) ، وكُلُّ ذلك إِداءً لواجب الدِّين والشَّريعة ، وقياماً بفروض الخدمة للحنيفيَّة البيضاء ، وإِحياءً لِـمَا قد اِنْدَرَسَ من معالم الدِّين والإِيمان ، وانْطَمَسَ تحت أَطباق البَلَىٰ ، وإِعلاءً لكلمة الحقِّ ؛ كلمة العدل والصِّدق ، ونشراً لأَلوية معارف الإِسلام المُقَدَّس والإِيمان الأَقدس ، وذبّاً عن مدرسة الحقيقة ؛ مدرسة أَهل البيت صلوات اللّٰـه عليهم.

وهذا الإِصدار يتعرَّض لحقيقة الوضع ، وقاعدة : (خذ الغايات واترك المبادئ) ، وهي قاعدة خطيرة في مقام الإِستنباط والتَّوصُّل إِلى النتائج الحقَّة ، وأَصل قويم ، ومُطَّرد في عَالَم الحقائق ، ونظريَّة لغويَّة

قديمة ، جزلة ، مُهمَّة جِدّاً ، وضروريَّة في مباحث المعارف الإِلٰهيَّة ، وفيها من الفحولة بمكان ، ومَنْ تَمسَّكَ بها استقام سيره العلمي والمعرفي بحركةٍ قويَّةٍ.

وإِليه جلَّ شأنه ابتهل أَنْ يَمُدَّني ويَمُدَّ إِخوتي بالتَّوفيق ، ويلحظ أَعمالنا بعين القبول إِنَّه سميع حميد مجيد ، وصلَّىٰ اللّـه على سيِّد رسله مُحَمَّدٍ وبقيَّة أَهل البيت الأَطهار.

من جوار مرقد أَمير المؤمنين عليه السلام

الشَّيخ كامل بدر الحلفيّ

الثلاثاء/ ٢٠ مُحَرَّم/ ١٤٤٥هـ.

حقيقة الوضع

قاعدة: (خذ الغايات واترك المبادئ)

هناك تساؤل ومبحث معرفيٌّ خطير جدّاً [١] ، مرتبط بمبحث لغويّ ، حاصله: هل الأَلفاظ موضوعة لحصص ومصاديق المعاني بقيد الوجودات والمصاديق الحسيَّة المألوفة أَوْ لا؟ فلفظ (اليد) مثلاً: هل هو موضوع لخصوص الجارحة أَو لغاياتها أَيضاً ؟

وقد طُرِحَ هذا التساؤل قديماً في مباحث: الأَدب والبلاغة واللُّغة بالشكل التالي: هل الأَلفاظ موضوعة لمبادئها ومصاديقها[٢] الحسيَّة المُنسبق إِليها الذهن[٣] في بَدْوِ الأَمر فقط ، أَو أَنَّها موضوعة للأَعمِّ منها ومن

---

(١) ينبغي الِالتفات: أَنَّ البناء المعرفي للإِنسان أَمر ضروريٌّ ؛ لأَنَّ المسير بعد الموت طويل ، بل لا نهاية له أَبداً ، ويحتاج فيه لقطع عوالم مهولة وخطيرة وعظيمة جِدّاً ، وتكون المعرفة الحقَّة هي بذرة المشاهدة فيها.

(٢) المراد من المبادئ: مصاديق الشيء ، فيكون هذا العطف عطفاً تفسيريّاً.

(٣) ليس المراد من عنوان ولفظ: (الذِّهن) الوارد في أَبواب المعارف المُخ ، بل الرُّوح. ←

الغايات ذات المعنى العام؟

فعلى القول الأَوَّل يكون إِطلاق اللَّفظ واستعماله في الغاية إِطلاقاً مجازيّاً.

بخلافه على القول الثَّاني ـ وهو المختار ـ ، ومِنْ ثَمَّ قالوا بقاعدة: «خذ الغايات واترك المبادئ».

والمراد من (الغايات): المعاني المُجرَّدة عن شوائب وأَعراض المصاديق.

والمراد من (المبادئ): المصاديق الماديَّة الحسيَّة. فيكون معنىٰ القاعدة: أَنَّ الأَصل في وضع الأَلفاظ لمعانيها[1]: أَنَّها وضعت للمعاني غير المشوبة بخصوصيَّات وأَعراض المصاديق الماديَّة الحسيَّة ، فمعنىٰ: (خذ الغايات) ،

← والمراد من عنوان ولفظ: (الأَفئدة) الوارد أَيضاً في أَبواب المعارف: الأَرواح ، ويُطلق أَيضاً على طبقات الرُّوح الصَّاعدة.

(١) لا بأس بالإِلتفات في المقام إِلى أَنَّ هناك محل جدل آخر جرىٰ بين اللُّغويِّين في وضع الأَلفاظ لمعانيها ؛ نتجت عنه نظريَّات ، تعرَّض لها علماء أُصول الفقه في مبحث إِستعمال الأَلفاظ.

ولهذا المبحث تأثير مُهمّ في علوم شتَّىٰ ، منها: علم فقه الفروع ، وعلم العقائد ، وعلم المعارف ، وعلم التَّفسير ، والعلوم الغريبة.

والنظريَّات :

١ـ إِنَّ جميع الأَلفاظ موضوعة للوجودات الخارجيَّة.

٢ـ إِنَّ جميع الأَلفاظ موضوعة للمعاني والوجودات الذهنيَّة.

٣ـ التَّفصيل بين أَسمآء الأَعلام ؛ وأَنَّها موضوعة للوجودات الخارجيَّة ، وأَسمآء الأَجناس ؛ وأَنَّها موضوعة للمعاني والوجودات الذهنيَّة.

٤ـ التَّوفيق بين النظريَّات المُتقدِّمة ؛ وأَنَّ لكُلٍّ من الوجودات الخارجيَّة والوجودات الذهنيَّة دوراً في الوضع.

أَي: خُذ المعاني السابحة الكليَّة ، (واترك المبادئ) ، أَي: أترك المصاديق الحسيَّة والماديَّة ، والأَجسام والأَبدان [١] ، وقشور المعاني وسطوحها وثقلها المادي.

---

(١) يجدر الِالتفات في المقام إِلى القضايا التَّالية:

القضيَّة الأُولىٰ:

مُصطلح الجسم

يُطلق مصطلح (الجسم) لدىٰ أَصحاب علم الفيزياء وسائر العلوم الطبيعيَّة ويُراد منه: المخلوقات الماديَّة صاحبة المادَّة الغليظة فحسب. بخلاف المخلوقات المادِّيَّة اللَّطيفة ؛ فإِنَّها قوىٰ وطاقات مُجَرَّدة ؛ وليست من عَالَمَ الأَجسام.

ويُطلق ـ مُصطلح الجسم ـ لدىٰ أَصحاب العلوم العقليَّة ـ كعلم: الفلسفة ، والكلام ، والعرفان ـ على جملة المخلوقات المُتَّصفة بـ: الكم والطول والعرض والعمق الجوهري ، والكم والطول والعرض والعمق العرضي.

ومرادهم من (العمق الجوهريّ): ثخن الجوهر.

وعليه: فيشمل مُصطلح (الجسم) ـ بحسب هذا الِاصطلاح ـ إِضافة للمخلوقات صاحبة المادَّة الغليظة ـ يشمل أَيضاً ـ القوىٰ والطاقات ، كـ: النَّار والهواء والكهرباء والمغناطيس وكافَّة أَنواع الأَشعَّة ، لأَنَّ للجميع مجالاً ومدىً وطولاً وعرضاً وعمقاً ومادَّةً لطيفةً غير مرئيَّةٍ.

إِذَنْ: المجال المغناطيسي وما شاكله يعني: أَبعاد ؛ فتكون أَجساماً باصطلاح لغة العقل.

هذا وقد وقع العلَّامة الطباطبائي في نهاية الحكمة ـ بحث الماهيَّة والجنس والفصل ـ في غفلة ، وخلط بين الِاصطلاحين ، فقد جعل المادَّة في قبال الجوهر الجسماني ، وهذا لا يُناسب اِصطلاح أَصحاب العلوم العقليَّة ، وإِنَّما يناسب اِصطلاح أَصحاب العلوم الطبيعيَّة. ←

← القضيَّة الثَّانية:

للجسم أَبعاد عرضيَّة وجوهريَّة

إِنَّ للجسم أَبعاداً عرضيَّة ـ طول ، وعرض ، وعمق (ارتفاع) ، وزمان ـ ، وأَبعاداً جوهريَّةً ـ بُعد وثخن جوهري ؛ أَي: ثخن متن الجوهر ، وطول جوهري ، وعرض جوهري ، وعمق جوهري ، وارتفاع جوهري ـ .

القضيَّة الثَّالثة:

اِعتقاد أَصحاب علم الفيزياء في جسمانيَّة الطَّاقات

اِتَّضح ممَّا سبق: أَنَّ أَصحاب علم الفيزياء كانوا يعتقدون أَنَّ الطَّاقات ليست من عَالَمِ الأَجسام ، لكنَّه في السنين الأَخيرة تراجعوا وبدؤوا يقولون بأَنَّها أَجسام عقليَّة ، أَي: يدركها العقل.

وبعبارة أُخرىٰ: أَنَّ المصطلح المستحدث للجسم عند الفيزيائيِّين يكاد يتقارب مع الاِصطلاح العقلي: الفلسفي والكلامي ، وَمِنْ ثَمَّ عدُّوا ـ أَخيراً ـ الهواء والصوت والمغناطيس وكافَّة أَنْوَاع الطَّاقات أَجساماً ، غايتها أَجسام لطيفة غير مرئيَّة بالأَبعاد الجسمانيَّة الثلاثة: (الطول والعرض والعمق (الاِرتفاع)).

وبالجملة: كان يَعتقد أَصحاب علم الفيزياء أَنَّ الطاقات والقوىٰ الطاقيَّة ـ كالصوت ، والضوء ، والهواء ، والذَّرَّة ، والكهرباء ، والمغناطيس ، والأَشعَّة ، والقوىٰ الطَّاردة عن المركز ، والقوىٰ الجاذبة إِلى المركز وهلمَّ جرّاً من أَنواع وأَجناس الطاقات ـ ليست من عَالَمِ الأَجسام ، لكنَّهم ـ وقبل عقدين من الزمان ـ لاحظوا ـ ومن خلال العين المُسلَّحة ـ أَنَّ لها أَشكالاً وأَبعاداً غير مرئيَّة بأَدوات حسّ البدن الغليظ ، ومن ثَمَّ تغيَّرت نظرتهم ومبانيهم وتعاريفهم لحقيقة الجسم ، وعدّوا الطَّاقات والقوىٰ المُختلفة من عَالَمِ الأَجسام اللطيفة.

إِذَنْ: كان أَصحاب العلوم الطبيعيَّة ـ كالفيزيائيِّين ـ ولقرون متمادية من البحث العلمي يبنون على أَنَّ الطاقات الماديَّة الموجودة في النشأة الأَرضيَّة ـ كـ: الطاقة المغناطيسيَّة والطاقة الكهربائيَّة والطاقة الالكترونيَّة ـ مُجرَّدات عن مطلق الجسميَّة ، ←

لكنَّه وبعد تطوُّر العلوم والاكتشافات ومن خلال أَجهزة الرصد المُسلَّحَة أَثبت البحث العلمي الفيزيائي والطبيعي: أَنَّها أَجسام لطيفة لا تُرىٰ بالعين المُجرَّدة ، لها أَلوان وروائح وأَبعاد الجسم الثلاثة ـ طول وعرض وعمق (اِرتفاع) ـ ، ولها حيِّز ، ومكان ، وزمان.

وسبب اِرْتِطَام أَصحاب العلوم الطبيعيَّة ـ كالفيزيائيِّين ـ بما سبق: أَنَّ طبيعة الجسم الأَغلظ يحسب أَنَّ الأَلطف منه من عَالَمَ الأَجسام ـ ونتيجة تجرُّده النسبي عن المادَّة الأَغلظ ، وسرعة حركته ، وعدم تمكُّنه من ملاحظتها والإِحساس بها ؛ وكأَنَّها كن فيكون ـ أَنَّه مُجرَّد تجرُّداً تامّاً. وهذا أَحد غفلات العقل.

القضيَّة الرَّابعة:

الطَّاقات على أَجناس وأَنواع

إِنَّ الطاقات على أَجناسٍ وأَنواعٍ مختلفة جِدّاً ، وكُلّ طاقةٍ لها مدىٰ جغرافي ـ عرض وطول وعمق (اِرتفاع) ـ.

القضيَّة الخامسة:

الطاقات والجواهر الخفيَّة أَقوىٰ تأثيراً من الطاقات والجواهر المرئيَّة

بات الآن في علم الفيزياء والعلوم التجريبيَّة: أَنَّ الطاقات والجواهر غير المرئيَّة ـ وإِنْ كانت دنيويَّة هي ـ أَقوىٰ تأثيراً وآثاراً وهيمنة من الأَجسام المرئيَّة الغليظة ؛ فإِنَّه كُلَّما غلظ الجسم كُلَّما ضعف ، والعكس بالعكس.

القضيَّة السَّادسة:

الضوء وما شاكله من عَالَمَ الأَجسام في اللُّغة العقليَّة

اِتَّضح مِمَّا تقدَّم: أَنَّ الضوء والصوت والروائح والطاقات والقوىٰ وما شاكلها يُعدُّ في اللُّغة العقليَّة من عَالَمَ الأَجسام ؛ لِاتِّصافها بأَحكام الجسم العامَّة ، فلها طول وعرض وعمق وحيِّز ، وكُلّ شيء اِتَّصف بهذه الأَحكام فهو إِمَّا جسم أَو جسماني.

ومنه تتَّضح: كثير من بيانات الوحي، منها :
بيان قوله تعالىٰ: ﴿اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا﴾ [الرعد: ٢].
فانَّه مُشير إلى أَنَّ السمآء رُفعت بعمدٍ وطاقات وقوىٰ، لكنَّها غير مرئيَّة.

أُمور لا بأس بالإلتفات إليها في المقام

ثُمَّ إنَّه لا بأس في المقام بالإلتفات إلى الأُمور التَّالية :
الأَوَّل: أَنَّه اِعْتَرَفَ أَصحاب العلوم الحديثة: أَنَّ ما تراه العين في السَّماء من لون يميل إلى الزرقة ليس هو لون أَو جسم السمآء الأُولىٰ، بل تلوينات ناتجة عن الغلاف الجوي المحيط بالكرة الأَرضية.
الثَّاني: أَنَّ السَّماوات والأَرضين أَبدان للملائكة، ولها نفوس كُلِّيَّة، وشعور وتأَثُّر.
مثاله: السَّمآء الأُولىٰ؛ فإِنَّها بدن للملك إسماعيل عليه السلام، ونفسها نفسه.
وهذا ما تشير إليه بيانات الوحي، منها :
بيان قوله تعالىٰ: ﴿فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنْظَرِينَ﴾ [الدخان: ٢٩].
ودلالته قد اِتَّضحت: وليس في هذا التعبير نحو تجوُّز، بل كشف عن حقيقة. بل شعورها وتأَثُّرها أَشدُّ بمراتب من شعور وتأَثُّر النفوس الجزئيَّة، وطريقة ونمط بكاؤها: إحمرارها.
الثالث: أَنَّ (سدرة المنتهىٰ): عَالَمَ من العوالم الجسمانيَّة اللَّطيفة بعد وفوق السَّمآء السَّابعة، بل بينهما عوالم وحُجُب جسمانيَّة نوريَّة أُخرىٰ عديدة.
هذا وذهب البعض إلى الوحدة بين (سدرة المنتهىٰ) و(شجرة طوبىٰ)، لكنَّ الحقَّ: عدم الاِتِّحَاد، فإِنَّ حقيقة سدرة المنتهىٰ مغايرة لحقيقة شجرة الطوبىٰ.
القضيَّة السَّابعة:

الفارق بين مُصطلح الجسم ومُصطلح الجسماني

→ الفارق بين عنوان ومُصطلح (الجسم) ، وعنوان ومُصطلح (الجسماني): أَنَّ الجسم يُطلق في اللُّغة العقليَّة على الشيء المُتَّصف بالأَبْعَاد الثلاثة ـ الطول ، والعرض ، والعمق (الإرتفاع) ـ .

أَمَّا الجسماني فيُطلق أَيضاً على الشيء العارض على الجسم والمُتعلِّق به والمتعانق معه.

القضيَّة الثَّامنة:

مُصطلح الجسم الكُل

يُعبَّر عن (الجسم الكل) في البحوث العقليَّة القديمة وعلوم المعارف بـ: «الجسم المُحيط» و«الجسم المُحدِّد للجهات».

وعُبِّرَ عنه بـ: (محدد الجهات) لكونه آخر العوالم الجسمانيَّة ، فيُحدِّد ما دونه من جميع الجهات الجغرافيَّة.

وقد اُختلف في مُنتهاه ، فذهب الفلاسفة والفلكيِّين: أَنَّه: (السَّماء السَّابعة). وذهب آخر كالميرداماد: أَنَّه: (سدرة المنتهىٰ).

والحقُّ وما يستفاد من بيانات الوحي: أَنَّه فوق ذلك بعوالم كثيرة تتخطَّىٰ العرش.

فانظر: بيانات الوحي ، منها :

بيان الإمام الباقر (صلوات اللّـه عليه): «**كان اللّـه ولا شيء غيره ، ولا معلوم ولا مجهول ، فأَوَّل ما ابتدأ من خلق خلقه أَن خلق مُحَمَّداً** ﷺ **، وخلقنا أَهل البيت معه من نوره وعظمته ... ثُمَّ بدا للّـه تعالىٰ أَنْ يخلق المكان فخلقه ، وكَتَبَ على المكان: لا إِلٰه إِلَّا اللّـه ، محمَّد رسول اللّـه ، عَلِيٌّ أَمير المؤمنين وصيِّه ... ثُمَّ خلق اللّـه العرش ...**». بحار الأَنوار ، ٢٥: ١٧/ ح٣١.

ودلالته واضحة على أَنَّ المكان ـ وهو من عَالَمَ الأَجسام ـ قد خُلِقَ في العوالم السَّابقة قبل العرش ، فيكون ـ المكان ـ مُتقدِّماً وجوداً وفوق العرش. وعليه: فيكون العرش بالأَولىٰ من عَالَمَ الأَجسام ، نعم من عَالَمَ الأَجسام اللطيفة.

القضيَّة التَّاسعة: ←

الفارق بين مصطلحات (الـجسم) و(الصُّورة) و(الصُّورة الـجوهريَّة) و(الصُّورة العرضيَّة)

هناك عناوين وحيانيَّة واصطلاحات كلاميَّة وعرفانيَّة وعقليَّة ، تحكي عن مُقدِّمات عقليَّة متداولة عقلاً في العلوم العقليَّة ، والعلوم التجريبيَّة ، تأتي في أبواب عوالم الأَجسام يجدر صرف النظر إليها ، والتعرُّف عليها ، مثمرة جِدّاً في معرفة عوالم الأَجسام ؛ ليلتفت ـ من خلال الإطِّلاع عليها ـ إلى الإشارات الإرشاديَّة المعرفيَّة والعقليَّة الموجودة في بيانات الوحي ، النَّافية للجسميَّة والصُّورة عن ساحة القدس الإلٰهيَّة.

وهناك فارق بين عنوان (الجسم) وعنوان (الصُّورة الجوهريَّة) ؛ حاصله: أَنَّ عنوان (الجسم) يُطلق في هذه المعارف والعلوم ويُراد به مجموع الصُّورة الجوهريَّة والمادَّة.

وهناك فارق بين الصُّورة الجوهريَّة والصُّورة العرضيَّة ؛ فإِنَّ المُراد من الصُّورة العرضيَّة: صاحبة

الأَبعاد الثلاثة ـ الطول والعرض والعمق (الإرتفاع) ـ ، والمراد من الصُّورة الجوهريَّة: الإمتداد والثخن الجوهري ، أَي: ثخن المتن ، ومن ثَمَّ تكون الصُّورة الجوهريَّة موضوع للصُّورة العرضيَّة ، ومعناه: أَنَّ للصُّورة الجوهريَّة كياناً قوَّاماً بحاله ؛ لا يعتمد على الصُّورة العرضيَّة ، بخلاف الصُّورة العرضيَّة ؛ فليس لها قِوَام بحاله مُستقل عن الصُّورة الجوهريَّة.

الفارق بين الصُّورة الجوهريَّة والمادَّة الجوهريَّة

وهناك فارق بين مُصطلح (الصُّورة الجوهريَّة) ومُصطلح (المادَّة الجوهريَّة) ، حاصله :

أَنَّ مُصطلح (الصُّورة الجوهريَّة) يُطلق ويُراد منه: متن وبطن وثخن جوهر الجسم. بخلاف مُصطلح (المادَّة الجوهريَّة) ؛ فإِنَّه يُطلق ويُراد منه عِدَّة معاني ، أَحدها ـ وهو المراد هنا ـ: الشيء القابل للإنقسام الجوهري الكمِّي ، فالكم هو الَّذي ينقسم.

ومنه يتَّضح: أَنَّه كما يوجد مقدار وكم عرضي يوجد أَيضاً مقدار وكم جوهري ـ أَي: امتداد وثخن جوهر الجسم ـ.

إِذَنْ: وإِنْ كان الأَصل في إِطلاق عنوان (الكم) على الكم العرضي ، لكنَّه يُطلق أَيضاً على المقدار والكم الجوهري ـ أَي: اِمتداد وثخن جوهر الجسم ـ. وعليه: تكون الصُّورة ـ بهذا اللِّحَاظ ـ كم ومقدار جوهري ؛ فتُلاحَظ أَبعاد الجسم ـ لا من جانب خارج وبشكل عرضيّ وطارئ على المادَّة ومتن الجوهر والجسم ، بل ـ من جهة متن وبطن وثخن الجسم ، وهذا بُعْد جوهريٌّ.

وينبغي الإِلتفات: أَنَّ المُستفاد من بيانات روايات أَهل البيت عليهم السلام: أَنَّ الصُّور لا تُطلق إِلَّا على الجسم اللطيف.

القضيَّة العاشرة:

الفارق بين عنوان (الصُّورة الجوهرية) و(الجسم)

قد تسأل وتقول: إِنَّ الصُّورة الجوهريَّة بعدما كانت جسمانيَّة فما الفارق بينها وبين الجسم؟.

والجواب: أَنَّ مصطلح الجسم يُطلق لدىٰ غير أَصحاب المدارس العقليَّة ويُراد منه: الجسم الغليظ.

ومُصطلح الصُّورة يُطلق أَيضاً ويُراد به الجسم اللطيف ، في قبال الجسم الغليظ.

ويُطلق مُصطلح الجسم لدىٰ أَصحاب العلوم العقليَّة ـ كالفلاسفة والمناطقة ـ ويُراد به: كُلّ مخلوقٍ اِتَّصف بالأَبعاد الثلاثة ـ الطول ، والعرض ، والعمق (الاِرتفاع) ـ.

ويُطلق مصطلح الصُّورة أَيضاً ـ لدىٰ أَصحاب العلوم العقليَّة كالفلاسفة والمناطقة ـ ويُراد به ـ بحسب قناعاتهم في التَّجرُّد ـ: المخلوقات والفصول المُجرَّدة عن الجسميَّة. ومِنْ ثَمَّ عرَّفوا العلم الحصولي: «الصُّورة الحاصلة في الذهن» ، ومقصودهم من مُصطلح (الصُّورة) المأخوذ في هذا التعريف: ما يعمُّ المخلوقات

المُجرَّدة ؛ كالعقل بحسب مبانيهم في التَّجرُّد وما فوقه ، والأَسمآء والصِّفات الإِلٰهيَّة.

القضيَّة الحادية عشرة:

لكُلِّ جسمٍ زمان بحسبه

إِنَّ من القضايا العقليَّة والفيزيائيَّة المُسلَّمة: (أَنَّ لكُلِّ جسمٍ زماناً بحسبه) ؛ فزمان الجسم الغليظ بطيء ، وزمان الجسم اللطيف لطيف.

القضيَّة الثَّانية عشرة:

منتهىٰ العَالَم الجسماني

ذهب الكثير من فلاسفة الشيعة: أَنَّ منتهىٰ العَالَم الجسماني عند سدرة المُنتهىٰ ، لكنَّ المُستفاد من بيانات أَهل البيت عليهم السلام بطلان هذه الفرضيَّة ، وتسميتها بـ: (سدرة المُنتهىٰ) لأَمر آخر ذكرته بياناتهم عليهم السلام أَيضاً.

والحقُّ: أَنَّ منتهىٰ العَالَم الجسماني حزورة معرفيَّة غامضة لا زالت أَجيال من علماء الإِماميَّة تَبحث عنه. ورُبَما مباحث الرُّوح تُعين في هذا المجال ؛ فإِنَّ الفلاسفة وإِنْ ذهبوا إِلى تجرُّدها ـ الرُّوح ـ تجرُّداً تامّاً عن الجسميَّة والمادَّة ، لكن الثابت في بيانات أَهل البيت عليهم السلام: أَنَّها: «جسم لطيف».

القضيَّة الثَّالثة عشر:

الجسم الحسِّي

لدىٰ كُلّ إِنسانٍ جسم دنيوي طاقيّ وشعاعيّ داخل في هذا البدن الغليظ ، ويُصطلح عليه في العلوم الرُّوحيَّة الفيزيائيَّة الغربيَّة الحديثة بـ: (مادَّة الاكتوبلازما)، ويُصطلح عليه في مباحث المعارف بـ: (الرُّوح البخاري) ، يعني: جسم مُتروِّح ومُتلطِّف كالبخار ، وعُبِّر عنه بذلك لكون لون شُعاعه أَبيضاً.

القضيَّة الرَّابعة عشرة:

تكوُّن الإِنسان في الرَّحم التحام بين جسمين طاقيِّين

ثبت في العلوم الرُّوحيَّة الحديثة ـ من خلال مسح اَجهزة الاشعاع والتَّحليل المُختبري لمئات المرَّات ـ حقيقة مُشاهدة ، حاصلها: أَنَّ بدء تكوُّن الإِنسان في الرحم ـ بناءً على بدء تكوُّنه في الرحم ـ ليس هو التحام الجينة النطفيَّة (الحيمن) بالبويضة ، وإِنَّما التحام سابق بين جسمين طاقيّين غير مرئيّين ـ ويُسميان علمياً بـ: (الاكتوبلازما) ، وهما أَلطف من الأَشعَّة البنفسجيَّة والأَشعَّة الحمراء ـ ، وبتبع اِلتحام هاتين الطَّاقتين يلتحم الحيمن بالبويضة.

وبهذا المقدار من هذا الاِكتِشاف فُتح أُفق لفهم جملة من الأَدعية الواردة في باب الإِنجاب وتغيير جنس المولود.

بعد الاِلتفات: أَنَّ هذا الاِكتشاف لا يُمثِّل تمام الحقيقة ، بل درجة من درجاتها الَّتي أَصحرت بها بيانات الوحي ، منها :

١ـ بيان قوله تعالىٰ ـ المقتصِ لخبر تكَبُّر إِبليس وعدم سجوده لخليفة اللّٰـه ـ: ﴿**وَشَارِكْهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ**﴾ [الاسراء: ٦٤].

٢ـ بيانَ أَبي جعفر عليه السلام ، قال: «**رأَىٰ أَمير المؤمنين عليه السلام على بابه شيخاً فعرفه أَنَّه الشَّيطان ، فصارعه وصرعه ، قال: قم عنِّي يا عَلِيّ حتَّىٰ أُبشِّرك فقام عنه فقال: ... والله يابن أَبي طالب ما أَحَد يبغضك إِلَّا شركت في رحم أُمِّه وفي ولده ، فقال له: أَما قرأت كتاب اللّٰـه: ﴿وَشَارِكْهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ﴾** الآية». بحار الأَنوار ، ٦٣: ٢٠٨/ ح٤٣. تفسير فرات: ٤٠.

٣ـ بيان الإِمام الصَّادق عليه السلام ، قال: «**إِنَّ الرَّجُل إِذا أَتَىٰ المرأة وجلس مجلسه حضره الشَّيطان ؛ فإِنْ هو ذكر اسم اللّٰـه تنحَّىٰ الشَّيطان عنه ، وإِنْ فعل ولم يُسَمِّ أَدخل الشَّيطان ذكره فكان العمل منهما جميعاً والنطفة واحدة ...**». بحار الأَنوار ، ٦٣: ٢٠٢/ ح٢٣. تهذيب الأَحكام ، ٧: ٤٠٧.

٤ـ بيانه عليه السلام ، عن هشام: «**في النطفتين اللتين للآدمي والشَّيطان إِذا اشتركا ، فقال أَبو عبد اللّٰـه عليه السلام: رُبَّما خلق من أَحدهما ، ورُبَّما خلق منهما جميعا**». بحار الأَنوار ، ٦٣: ٢٠٧/ ح٤٢. فروع الكافي ، ٥: ٥٠٣.

٥ـ بيانهم عليهم السلام: «**وإنَّ الشَّيطان يجيئ فيقعد كما يقعد الرَّجُل وينزل كما ينزل الرَّجُل**». بحار الأَنوار، ٦٣: ٢٠٧/ ح٤١. فروع الكافي، ٥: ٥٠٢.

ودلالتها قد اِتَّضحت؛ فإنَّ تلك الإكتشافات العلميَّة توضِّح ما ورد في هذه البيانات الوحيانيَّة وغيرها؛ فقبل التقاء حيمن الرَّجُل وبويضة المرأة يحصل تلاقي بين المادَّة الجسمانيَّة للجنِّ ـ وهي طاقات غير مرئيَّة؛ من سنخ ذبذبات جسم الجنّ ـ مع المادَّة الجسمانيَّة للإنسان ـ المُسمَّاة علمياً بـ: (الاكتو بلازما) ـ، فيحصل مزيج في أَصل تكوُّن الجنين بين هذه المادَّة، ومادَّة كهرومغناطيسيَّة جناويَّة حادَّة.

القضيَّة الخامسة عشرة:

مُصطلح (الجسد الدُّنيويّ الأَرضي)

إنَّ عنوان: (الجسد الدُّنيويّ الأَرضي) باصطلاح اللُّغة العقليَّة يشمل الطاقات اللطيفة السَّابحة غير المرئيَّة.

وهذا المبحث ينفع في مبحث: (النشوء) و(المعاد) و(البقاء) و(البرزخ) و(الرَّجعة) و(البعث الأَكبر في عَالَم القيامة) و(عَالَم الآخرة الأَبدية). وينفع أَيضاً في مبحث: (حقيقة جسمانيَّة الجنان وجهنَّم) وما شاكلها.

القضيَّة السَّادسة عشرة:

بدايات نُشوء حيوانيَّة الجسم الحيواني للإنسان

كان يظنّ المُلَّا صدرا: «أَنَّ حيوانيَّة الجسم الحيواني للإنسان تحصل في رحم أُمّه»، لكنَّها نظرية أَثبت العلم الحديث فسادها، فإنَّ الثَّابت في علم الهندسة الوراثيَّة الحديث وغيره أَنَّها حصلت في أَصلاب الآباء والأَجداد إلى آدم عليه السلام، غاية الأَمر: أَنَّ هذا الجسم الحيواني يتنامىٰ ويتطوَّر من طورٍ ومن نوع لآخرٍ.

وهذا ما تُشير إليه بيانات الوحي، منها:

١ـ بيان قوله تعالىٰ: ﴿**وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا**﴾ [نوح: ١٤].

٢ـ بيان قوله عزَّ وجلَّ: ﴿**يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِنْ بَعْدِ خَلْقٍ**﴾ [الزمر: ٦].

وبالجملة: اثبت العلم الحديث: أَنَّ لجسم الإِنسان الحيواني كينونات ذرِّيَّة مُتعدِّدة من آدم عليه السلام إِلى وَالِده المباشر ، ومتميِّز هذا الجسم الحيواني بكافَّة صفاته ، ومُتعلِّقة به روح حيوانيَّة.

وهذه قضيَّة قد حُسِمَت في العصر الرَّاهن ، وليست مجرَّد تنظير.

القضيَّة السَّابعة عشرة:

شُمول عنوان (الأَجسام) للعوالم السَّماويَّة

إِنَّ الأَجسام ليست منحصرة في الأَجسام الأَرضيَّة ، بل تشمل العوالم السَّماويَّة ؛ ففيها ما لا يُحصىٰ عدده من طبقات الأَجسام اللطيفة الشَّفَّافة.

القضيَّة الثَّامنة عشرة:

السَّماوات عوالم أَلطف من عوالم الأَرض

عوالم السَّماوات حياة أَبديَّة مُستقبليَّة لبني البشر

إِرتباط العوالم الصَّاعدة بنشأتنا الأَرضيَّة هذه وبمخلوقاتها

يوجد في تعابير بيانات الروايات دلائل وإِشارات دالَّة على أَنَّ عوالم السَّماوات تعني: حياة مستقبليَّة لبني البشر.

مثاله: (يوم القيامة) ؛ فإِنَّه عَالَمٌ من عوالم السَّماوات ـ سوآء أَكان في السَّمآء السَّابعة أَو السَّادسة أَو غيرهما ـ وحياة مستقبليَّة سيمرّ بها بني البشر شاؤوا أَم أَبوا ، مقدارها: خمسون أَلف سنة ، كما صرَّحت بذلك بيانات الوحي.

ويظهر من كثير من بيانات الروايات: أَنَّ للعوالم المُستقبليَّة الَّتي سيمرّ بها الإِنسان كـ: (عَالَمَ البرزخ) و(عَالَمَ الرَّجعة) إِرتباطات على مرِّ عصور وأَزمان نشأتنا الأَرضيَّة هذه ، وارتباطات أُخرىٰ بعوالم السَّماوات ؛ فإِنَّ السَّماوات تعني: عوالم أَلطف من هذه النشأة الأَرضيَّة (عَالَمَ الدُّنيا الأُولىٰ) ، ومن نشأة عَالَمَ البرزخ ، ومن نشأة عَالَمَ الرَّجعة (آخرة الدُّنيا) ، ومن المعلوم: أَنَّ الأَلطف داخلٌ في جميع شراشر وجزئيَّات العوالم الأَغلظ لكن بالممازجة والمزاولة ، ويحيط بها ويهيمن عليها. وهذا ما صرَّحت به بيانات الوحي المستفيضة ، بل المتواترة ، بل فهمه علماء الفيزياء

الجدد ، المُتضلِّعين بـ: (علوم الروح) ، وقالوا: أَنَّنا نفهم من سمآء أُولىٰ ، وثانية ، وثالثة ، وهلمَّ جرّاً: عوالم أُخرىٰ ؛ أَلطف فأَلطف ، وطاقات أَبهر فأَبهر ، وأَشدُّ فأَشدّ.

القضيَّة التَّاسعة عشرة:

عَالَمَ الجسمانيَّات على طبقات في اللطافة

إِنَّ عَالَمَ الجسمانيَّات ذو طبقات تختلف لطافةً وشِدَّةً وغلظةً.

القضيَّة العشرون:

حركة الجسم اللطيف تُوهِم بتجرُّده تجرُّداً تامّاً

إِنَّ الجسم الأَغلظ ما أَن يُشاهِد جسم أَلطف منه إِلَّا وحسبه مُجَرَّداً تجرُّداً تامّاً ، وليس له مقدار وحدود ونهايات ، وأَنَّ فعله كُن فيكون ؛ وذلك لعدم تمكُّنه من ضبط مقداريَّة وحدود ونهايات ذلك الجسم الأَلطف.

وهذه حقيقة لابُدَّ من صرف النَّظر إِليها ، فإِنَّ الجسم الأَغلظ ليست لديه المكنة والقدرة والقوىٰ الإِدراكيَّة لدرك مقدار وحدود ونهايات الأَلطف منه ، نعم الجسم الأَلطف يُدرك مقدار وحدود ونهايات ما هو في رتبته فضلاً عن الأَغلظ. بعد الإِلتفات: أَنَّ الأَجسام تتفاوت فيما بينها من حيث الغلظة والكثافة واللطافة والشفَّافيَّة والرِّقَّة بدرجات ومراتب وطبقات خارجة عن العدِّ والإِحصاء.

القضيَّة الحادية والعشرون:

تَعَدُّد أَجسام شخص الإِنسان الواحد

إِنَّ الأَجسام الدُّنيويَّة لجسم شخص الإِنسان الواحد في عَالَمَ النشأة الأَرضيَّة هذه ـ ، بل وسائر أَجسامه في العوالم الأُخرىٰ ؛ كعَالَمَ البرزخ ، وعَالَمَ الرَّجعة ، وعَالَمَ القيامة ، وعَالَمَ الآخرة الأَبديَّة ، وعوالم ما بعدها ـ على درجات وطبقات من حيث القوَّة والضَّعف.

ومنه تتَّضح: كثير من بيانات الوحي والنقول التأريخيَّة ، منها:

ما ذكرته مصادر المخالفين من أَنَّ أَمير المؤمنين (صلوات اللّـه عليه) صدَّ بمفرده وبسيفه ـ قبل التحام الجيشين في معركة صفِّين ـ جيش أَهل الشَّام الجرَّار البالغ قوامه (٩٠ أَلف) مُقاتل ، وقهرهم في أَرض المعركة ، لكن فِعْلَه (صلوات اللّـه عليه) هذا كان من خلال أَحد أَجسامه الدُّنيويَّة غير المرئيَّة.

القضيَّة الثانية والعشرون:

طبقات أَجسام الشَّخص الواحد

إِنَّ للإِنسان أَجساماً مُتعدِّدة على مراتب وطبقات ، منها :

١ـ الجسم الدُّنيوي الغليظ المرئي.

٢ـ الجسم الدُّنيوي الحسِّي غير المرئي ، المُعبَّر عنه علمياً بـ: (الأُكتو بلاما).

٣ـ الجسم البرزخي.

٤ـ جسم عَالَم الرَّجعة.

٥ـ جسم عَالَم القيامة.

٦ـ جسم عَالَم الآخرة الأَبديَّة.

٧ـ أَجسام فوق عَالَم الآخرة الأَبديَّة.

٨ـ جسم عَالَم الأَظلَّة.

٩ـ جسم عَالَم الأَشباح.

١٠ـ جسم عَالَم الذَّرِّ والميثاق.

وغيرها الكثير.

ثُمَّ إِنَّهُ كُلَّما كان الجسم أَشَفُّ وأَلطف كُلَّما كانت طاقته وقوَّته أَعظم وأَخطر.

القضيَّة الثَّالثة والعشرون:

تعدُّد جسم الإِنسان وبدنه الدُّنيوي

المُستفاد من بيانات الوحي وما اُكتشف في العلوم الحديثة: أَنَّ للإِنسان وهو في هذه النشأة الأَرضيَّة أَجساماً وأَبداناً مُتعدِّدة ، بل للجسم والبدن الدُّنيوي أَجسام وأَبدان مُتعدِّدة أَيضاً ، منها :

١ـ الجسم والبدن الغليظ والكثيف.

٢ـ الجسم والبدن الحسِّي ، والمُسمَّىٰ في المُصطلح العلمي بـ: (الإكتوبلام) ، والمُسمَّىٰ لدىٰ أَهل المعرفة بـ: (الجسم البخاري) ؛ وسمِّي بذلك لكونه يشبه سحابة بيضاء تُحيط بالبدن الغليظ ، وهو يشبه أَجسامنا وأَبداننا الأَرضيَّة الغليظة هذه ، لكنَّه أَقصر منها قليلاً.

وهناك طبّ يُسمَّىٰ بـ: (طب الهالة الاشعاعيَّة الضوئيَّة) تُعالج به أَبداننا الغليظة هذه عن طريق معالجة البدن الحسِّي.

القضيَّة الرَّابعة والعشرون:

للمخلوق ـ كـ: (الإنسان) ـ أَجسام فوق عَالَم الآخرة الأَبديَّة

الثابت في طوائف بيانات الوحي ـ الَّتي لم يلتفت إِليها الفلاسفة والمُتكلِّمون والعرفاء والـمُفسِّرون ـ: «أَنَّ للمخلوقات ـ لا سيما الإِنسان ـ أَجساماً فوق وأَلطف من جسم الآخرة الأَبديَّة ـ الجنَّة والنَّار الأَبديَّتان ـ».

وهذه القضيَّة تحتاج إِلى بذل جهد وتدبُّر وتمعُّن وتدقيق في بيانات الوحي.

القضيَّة الخامسة والعشرون:

الجسم الغليظ أَضعف الأَجسام الماديَّة

إِنَّ أَوَّل وأَغْلَظ الموجودات الجسمانيَّة وأَضعفها الجسم المادِّي الغليظ ، وهذه غلظة ضعف ، ثُمَّ الجسم المادِّي الحسِّي ، ثُمَّ جسم عَالَم الخيال ، ثُمَّ ، الوهم ، ثُمَّ العقل.

القضيَّة السَّادسة والعشرون:

المخلوق لا يُدرِك بأَبدانه إِلَّا ما يُناسبها من الآيات الإِلٰهيَّة

إِنَّ لكُلِّ مخلوق من عَالَم الأَجسام طبقات من الأَجسام. وهذه قضيَّة لا تختصُّ بالإِنسان.

لكن: كُلّ مخلوقٍ يُدرِك ببدنه الآيات المُختصَّة بعَالَمه ، فالإِنسان ـ مثلاً ـ وهو في هذه النَّشْأة الأَرضيَّة لا يُدرِك ببدنه الغليظ هذا إِلَّا الآيات الإِلٰهيَّة الغليظة ، أَمَّا آيات عَالَم الحسّ اللطيف ، وآيات عَالَم البرزخ ، وآيات عَالَم القيامة ، وآيات عَالَم الآخرة الأَبديَّة وعوالم ما فوقها ـ كعَالَم العقل ـ فلا.

وعلى هذا قس الإنسان ببدنه الحسِّي اللطيف ، أَو ببدنه البرزخي أَو ببدن عَالَم القيامة أَو ببدنه الأُخروي أَو أَبدانه الأُخرىٰ ؛ فإنَّه لا يُدرِك إِلَّا الآيات الإِلٰهيَّة المُختصَّة بعوالم تلك الأَجسام.

القضيَّة السَّابعة والعشرون:

مِنَ المُهمِّ معرفة أَحكام وقواعد عَالَم الأَجسام

إِنَّ من المباحث المُهمَّة في أَبواب المعارف الإِلٰهيَّة معرفة أَحكام وقواعد عَالَم الأَجسام ، لكن حيث إِنَّ الأَجسام على مراتب وطبقات متفاوتة من حيث الغلظة واللطافة كان بينها اشتراك في جانبٍ من هذه الأَحكام والقواعد ، وافتراق في جانبٍ آخر ؛ ومِنْ ثَمَّ يجب على الباحث ـ مع ضبطه للأَحكام والقواعد المُشتركة والعامَّة لجملة عوالم الأَجسام ـ ضبطه ـ أَيضاً ـ للأَحكام والقواعد المُميِّزة بين عوالم الأَجسام.

القضيَّة الثَّامنة والعشرون:

الأَبعاد الجسميَّة

كان الإِعتقاد السَّائد لدىٰ الفلاسفة إِلى زمان المُلَّا صدرا: أَنَّ لِكُلِّ جسم أَبعاداً خمسة ، وهي: (الطول ، والعرض ، والعمق ، والمكان ، والزمان). لكنَّه اُكتشف في العلوم الحديثة ستَّة أَبعاد أُخرىٰ ليبلغ المجموع عشرة أَبعاد ، وهي: (الوزن ، والموج الصوتي ، والموج الاشعاعي ، والاشعاع الضوئي ، والاشعاع الموجي ، والبعد المغناطيسي). واكتشفوا أَيضاً: أَنَّ للجسم هالة محيطة به.

وهذه أُمورٌ وخطوطٌ وقواعدُ عامَّة مُهمَّة جِدّاً في مباحث أَبواب المعارف ـ كمباحث: التَّوحيد والنُّبوَّة ، والإِمامة ، والمعاد ـ لا يمكن فهم هذه المباحث إِلَّا بعد اتقان هذه الأُمور والخطوط والقواعد العامَّة وما شاكلها.

وهذه الأَبعاد وغيرها قد أُشير إِليها في بيانات الوحي ، لكن لم تلتفت إِليها أَجيال قوافل علماء مدارس البشر المعرفيَّة ، ومن ثَمَّ مَرَّت أَجيال من الفلاسفة والمُتكلِّمين والعرفاء وغيرهم لم يقفوا عليها ؛ نتيجة اتكاء جملة كبيرة من أَبحاثهم على نتائج

← أَبحاث العلوم الطبيعيَّة السَّابقة ، والحال أَنَّ العلوم الطبيعيَّة كغيرها في حالة تطوُّر وتغيُّر مُستمر.

القضيَّة التَّاسعة والعشرون:

أَحكام مُشتركة بين الأَجسام

هناك أَحكام يحكم بها العقل عامَّة ومشتركة بين الأَجسام ، منها :

١ـ أَنَّ جملتها محكومة بالتناهي.

٢ـ قبولها لِلاِنْقِسَام والتشطير.

القضيَّة الثَّلاثون:

العرش وما دونه من عوالم الأَجسام

المُستفاد من بيانات أَهل البيت عليهم السلام العقليَّة: أَنَّ العرش وما دونه أَجسام لطيفة ، تراها العوالم الأَغلظ كأَنَّها من عَالَم الابداع.

القضيَّة الحادية والثَّلاثون:

السِّنَة والنَّوم من خصائص عوالم الأَجسام

إِنَّ جملة العوالم الجسمانيَّة تُصيبها السِّنَة والنَّوم ، بخلاف العوالم غير الجسمانيَّة ؛ فلا يُصيبها ذلك.

القضيَّة الثَّانية والثَّلاثون:

خطورة طاقة السَّمآء السَّابعة

ورد في بيانات أَهل البيت عليهم السلام : «**أَنَّ طاقة الجسم في السَّمآء السَّابعة عظيمة ومهولة جِدّاً ، فشذرة وشعاع يسير منها يُبيد عَالَم الدُّنيا**».

القضيَّة الثَّالثة والثَّلاثون:

تعذُّر وصول أَصحاب مدارس البشر المعرفيَّة إِلى نهاية تلطُّف عوالم الأَجسام

اعترف الفلاسفة والمُتكلِّمون والعرفاء ، بل جملة أَصحاب المدارس البشريَّة منهم الفيزيائيُّون: أَنَّهم لم يتمكَّنوا من الوصول إِلى الجسم الأَوَّل ـ أَي: الكينونة ←

← الأَجساميَّة للإِنسان في العوالم المُتقدِّمة ـ المُسمَّىٰ: (نهاية العَالَم الجسماني) ؛ أَي: نهاية تلطُّف عوالم الأَجسام ، ولم يشمُّوا رائحته مع أَنَّه أُشير إِليه في بيانات الوحي.

القضيَّة الرَّابعة والثَّلاثون:

تفاوت درجات الحسّ في الغلظة واللَّطافة

إِنَّ درجات الحسّ في العوالم الحسِّيَّة ، بل في العالم الواحد منها متفاوتة في الغلظة واللَّطافة.

وهذه القضيَّة وإِنْ التفت الفلاسفة والمُتكلِّمون والعرفاء إِليها إِجمالاً ، لكنَّهم لم يغوصوا فيها تفصيلاً ولم يُرتِّبوا عليها الآثار تفصيلاً.

القضيَّة الخامسة والثَّلاثون:

في الأَفعال الجسمانيَّة لابُدَّ من وجود اِتصال تكويني بين السبب والمُسبَّب

تأثير مراتب الأَجسام الصَّاعدة في مراتبها النَّازلة

إِنَّ أُسس أَساس الأَفعال الجسمانيَّة أَو باب الأَسباب والمُسبَّبات: أَنَّه لابُدَّ أَن يكون بين السبب والمُسبَّب اِتِّصال وصله.

ثُمَّ إِنَّه كان يُظنّ في العلوم الطبيعيَّة: أَنَّ الأَفعال الطبيعيَّة هي أَفعال الأَجسام الَّتي في مرتبةٍ عرضيَّةٍ واحدةٍ من حيث الغلظة واللطافة. لكنَّه بعد تقدُّم العلم أُكتشف أَنَّ الأَجسام باختلاف مراتبها تُؤثِّر مراتبها الصَّاعدة بمراتبها النَّازلة ، بل كُلَّما تلطَّف الجسم نفذ وأَثَّر أَكثر في الجسم الأَغلظ.

القضيَّة السَّادسة والثَّلاثون:

الطَّاقات من عوالم الأَجسام

كان الفلاسفة والفيزيائيُّون ولقرون من البحث العلمي يبنون على أَنَّ القوىٰ والطَّاقات الماديَّة ـ كالالكترونيَّة والكهربائيَّة والمغناطيسيَّة ـ مُجرَّدة تجرُّداً تامّاً عن الجسميَّة ، لكن بعد تطوُّر العلوم والبحوث العلميَّة أُكتشف ـ من خلال الأَجهزة ←

الحسيَّة المُسلَّحة ـ: أَنَّ هذه القوىٰ والطَّاقات الماديَّة أَجسام ولها أَلوان وروائح لطيفة لا تُحسّ بأَدوات حسّ البدن الغليظ.

القضيَّة السَّابعة والثَّلاثون:

طبقات تلطُّف الأَجسام

إِنَّ لطافة الأَجسام على طبقات إِلى ما شاء الله تعالىٰ ، ففوق كُلّ جسم لطيف جسم أَلطف منه حتَّىٰ تتلاشىٰ الجسميَّة وتضمحل.

وهذا مبحثٌ معرفيٌّ خطير زلَّت فيه أَفهام أَصحاب مدارس البشير المعرفيَّة ـ كالفلاسفة والمتكلِّمين والعرفاء ـ فمثلاً: العَلَّامة الطباطبائي ؛ فمع إِنَّه جهبذ كبير في الفلسفة وعلوم المعارف لكنَّه لم يعتبر في كتابه (نهاية الحكمة) الطَّاقات من عَالَم الأَجسام. وهذه غفلة كبيرة ؛ فإِنَّ ضابطة الجسم العقليَّة تحدّ الجسم بانَّه: كُلّ جوهر يتَّصف بالأَبعاد الجغرافيَّة الثَّلاثة ـ الطول والعرض والعمق ـ وله مسافة جوهريَّة أَو جوهر مسافي ، وله كمّ ـ مرئيّ كان أَم لا ـ وحيث إِنَّ جملة القوىٰ والطاقات ـ كالمغناطيس والكهرباء ـ تتَّصف بهذه الأَبعاد كانت أَجساماً عقليَّةً.

نعم هي لست أَجساماً بالاصطلاح القديم لأَصحاب العلوم الطبيعيَّة ـ كعلم: الفيزياء والأَحياء والكيمياء ـ ؛ فإِنَّ مرادهم منه: الجسم الغليظ والكثيف ، وحيث إِنَّ القوىٰ والطَّاقات لا تتَّصف بغلظة وكثافة الأَجسام المرئيَّة في نشأتنا الأَرضيَّة هذه لم تكن أَجساماً بالإِصطلاح القديم للعلوم الطبيعيَّة.

هذا وقد طعن بعض المُثقَّفين على بيانات الوحي الحاكمة بالجسميَّة على تلك القوىٰ والطَّاقات ورماها بالخرافة ؛ غفلة منه عن تعدُّد عنوان ومصطلح الجسم.

القضيَّة الثَّامنة والثَّلاثون:

الأَجسام على طبقات ومقادير وطبائع وخواص لا يمكن حصرها

إنَّ من أَغفل الغفلات الَّتي يقع فيها الذهن البشري ، بل ذهن المخلوقات ظنَّهم بأَنَّ الجسم على وتيرة واحدة أَو على مقدار محدود من المراتب أَو على شاكلة واحدة من الطبيعة أَو الطبائع أَو الخواص.

والحقُّ وما يُستفاد من بيانات الوحي: أَنَّها على طبقات ومراتب ومقادير وطبائع وخواص مختلفة لا حصر لها.

وهذا ما أَثبته العلم الحديث ، وأَذهل مسيرة البشر العلميَّة ، فعلماء الفيزياء ـ مثلاً ـ وجدوا: أَنَّ الأَجسام على أَقسام وأَطوار وأَنواع وطبقات ومراتب وخواص وحركات عجيبة وغريبة ، ومن ثَمَّ كان يُعتقد: أَنَّ أَبْعَاد الأَجسام المحسوسة ثلاثة أَو أَربعة ، لكنَّهم اكتشفوا في العصر الحديث: أَنَّ لها عشرة أَبْعَاد.

وبالجملة: هناك كم هائل من الحقائق والطَّبقات الجسمانيَّة اللطيفة والخفيَّة والغامضة جِدّاً في الطبيعة الدُّنيويَّة العرضيَّة.

وعليه: فمن الخطأ الفَادح بناء وارتكاز تفكير الإِنسان واستنتاجاته على وحدة الأَجسام والجسمانيَّات والصُّورة والمادَّة وهلمَّ جرّاً ، وما عداها من عَالَمَ المُجرَّدات تجرُّداً تامّاً ، والحال أَنَّها من عوالم الأَجسام اللطيفة والمُجرَّدة تجرُّداً نسبيّاً عن الجسمانيَّة والمادَّة الأَغلظ.

القضيَّة التَّاسعة والثَّلاثون:

كُلَّما تلطَّف الجسم صار روحاً للأَغلظ

المخلوق الأَشرف وجوداً يكون أَعلىٰ رتبةً ومقاماً وكمالاً

إنَّ الأَجسام اللطيفة ليست على مرتبةٍ فاردة من حيث اللَّطافة ، بل على مراتب ، وكُلَّما كان الجسم أَلطف صار روحاً للأَقلِّ لطافة ، وهذا ما يُشير إِليه بيان القاعدة المعرفيَّة: «أَنَّ المخلوق الأَشرف والأَكمل أَسبق خلقة وصدوراً من المخلوق الأَدنىٰ».

وهذه القاعدة المعرفيَّة تنفتح منها قواعد معرفيَّة وعلميَّة عديدة.

→ ثُمَّ إِنَّه عندما يكون المخلوق أَشرف وأَكمل من غيره ؛ فمعناه: أَنَّ جملة الفضائل والكمالات فيه أَعلىٰ رتبةً ومقاماً.

ومنه تتَّضح: بيانات الوحي الواردة في حقِّ فاطمة الزهراء عليها السلام عند الفريقين ، والمُصرِّحة بـ: (أَنَّ نورها (صلوات اللّـه عليها) أَسبق صدوراً من نور سيِّد شباب أَهل الجنَّة والتسعة المعصومين من ذرِّيَّة الحسين عليهم السلام).

فانظر:

١ـ بيان سيِّد الأَنبياء صلى الله عليه وآله ، عن سلمان الفارسي رضي الله عنه ، قال: «... **يا سلمان ، خلقني اللّـه من صفآء نوره فدعاني فأَطعته ، وخلق من نوري عليّاً ، فدعاه إِلى طاعته فأَطاعه ، وخلق من نوري ونور عَلِيّ عليه السلام فاطمة فدعاها فأَطاعته ، وخلق منِّي ومن عَلِيٍّ ومن فاطمةٍ الحسن والحسين فدعاهما فأطاعاه ، فسمَّانا اللّـه عزوجل بخمسةٍ من أَسمائه ... ثُمَّ خلق من نور الحسين تسعة أَئِمَّة فدعاهم فأَطاعوه قبل أَنْ يخلق اللّـه سمآء مبنيَّة أَو أَرضاً مدحيَّة ، أَو هواءً أَو ماءً أَو مَلَكاً أَو بَشَراً ، وكُنَّا بعلمه أَنواراً نُسَبِّحه ونسمع له ونطيع ...**». بحار الأَنوار ، ٢٥: ٦ـ ٨/ ح٩. المختصر: ١٥٢ ـ ١٥٣.

٢ـ بيان الإِمام الجواد عليه السلام ، عن مُحَمَّد بن سنان ، قال: «**كُنتُ عند أَبي جعفر الثَّاني عليه السلام فذكرت اختلاف الشيعة فقال: إِنَّ اللّـه لم يزل فرداً مُتفرِّداً في وحدانيَّته ، ثُمَّ خلق مُحَمَّداً وعَلِيّاً وفاطمة فمكثوا أَلف أَلف دهر ، ثُمَّ خلق الأَشياء وأَشهدهم خلقها وأجرىٰ عليها طاعتهم وجعل فيهم منه ما شآء ، وفوَّض أَمر الأَشياء إِليهم فهم قائمون مقامه يحلِّلون ما شاؤا ويُحرِّمون ما شاؤا ، ولا يفعلون إِلَّا ما شاء اللّـه. فهذه الدِّيانة الَّتي مَنْ تقدَّمها غرق ، ومَنْ تأَخَّر عنها محق ، خذها يا مُحَمَّد ، فإِنَّها من مخزون العلم ومكنونه**». بحار الأَنوار ، ٢٥: ٢٥/ ح٤٤.

ودلالتهما واضحة ، لكنَّهما مُشيران لشفرةٍ معرفيَّة يمكن من خلالها استخراج مئات ، بل آلاف القواعد المعرفيَّة والعلميَّة والعقليَّة ، فمع أَنَّه لم يرد في بيانات ←

الوحي في حقِّها (صلوات اللّـه عليها) كلمة (أَنَّها عليها السلام أَفضل من الأَئِمَّة الأَحد عشر عليهم السلام) ، لكنَّه ـ وكما يُقال: الحرّ تكفيه الإِشارة ـ ورد في حقِّها عليها السلام في بيانات الوحي ـ كهذين البيانين ـ: أَنَّها الأَسبق خلقة وصدوراً من الأَئِمَّة الأَحد عشر عليهم السلام ، ومعناه: أَنَّ جملة الفضائل والكمالات والمقامات والحُجِّيَّة الإِلٰهيَّة المُتمتِّعة بها (صلوات اللّـه عليها) مُهيمنة على كافَّة الفضائل والكمالات والمقامات والحُجَج الإِلٰهيَّة المُتمتِّع بها الأَئِمَّة الأَحد عشر عليهم السلام.

وهذا ما أَشارت إِليه بيانات الوحي الأُخرىٰ ، منها :

بيان الإِمام الحسن العسكري (صلوات اللّـه عليه): «نَحنُ حُجَج اللّـه على خلقه ، وجدَّتنا فاطمة حُجَّة علينا». تفسير أَطيب البيان: ٢٢٥/ ١٣.

القضيَّة الأَربعون:

طبقات الأَجسام الصَّاعدة لا تبعُّض فيها

إِنَّه لا يوجد تبعُّض في الطَّبقات الصَّاعدة للأَجسام اللطيفة.

القضيَّة الحادية والأَربعون:

لكُلِّ جسمٍ نفس حسَّاسة

المُستفاد من بيانات الوحي ، منها:

١ـ بيان قوله تعالىٰ: ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾ [الاسراء: ٤٤].

٢ـ بيان قوله عزَّ قوله: ﴿الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰ أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [يس: ٦٥].

أَنَّ لكلِّ جسم نفساً حسَّاسة وإِنْ كان ظاهرها الجمود.

القضيَّة الثَّانية والأَربعون:

الفاعل المباشر للمادَّة الدُّنيويَّة لابُدَّ أَنْ يكون جسمانيّاً

→ هناك قاعدة معرفيَّة إِلٰهيَّة عامَّة ترد في أَبواب المعارف ينبغي صرف النَّظر إِليها ، وهي: أَنَّه (لابُدَّ أَنْ يكون الفاعل المباشر للمادَّة الدُّنيويَّة جسمانيّاً).

القضيَّة الثَّالثة والأَربعون:

هناك فارق جوهري بين الفاعل بالآلة والفاعل بالتَّجلِّي

هناك خلط حصل لدىٰ البعض بين الفاعل بالآلة ـ كحالة عزرائيل وإِسرافيل وجندهما عليهم السلام ـ ، والفاعل بالتَّجلِّي ـ كحال الباري المُسَمَّىٰ (تعالىٰ ذكره) ، والأَسمآء والصفات الإِلٰهيَّة ؛ طبقات حقائق أَهل البيت عليهم السلام الصَّاعدة ـ وحكم بالوحدة.

والحقُّ: أَنَّ بينهما فرق وبون شاسع ؛ فإِنَّ الفاعل بالآلة ناقص ؛ لإِحتياجه إِلى حركة ، وقرب وبُعد ، ومُوازاة ، ومباشر ومعالجة. بخلاف الفاعل بالتَّجلِّي ؛ فإِنَّه أَكمل أَنواع الفاعل ، ولا نقص فيه ؛ ومن ثَمَّ لا يحتاج إِلى جملة ذلك.

وإِلى هذا تُشير بيانات الوحي ، منها :

بيان الإِمام الصَّادق عليه السلام في ردِّه على سؤال الزنديق: «... فما هو؟ قال أَبو عبد اللّٰـه عليه السلام: **هو الرَّبُّ ، وهو المَعْبُود ، وهو اللّٰـهُ** ... قال السَّائلُ: فيُعاني الأَشياء بنفسه؟ قال أَبو عبد اللّٰـه عليه السلام: **هو أَجَلُّ من أَنْ يُعَانِيَ الأَشياء بمباشرةٍ ومعالجةٍ ؛ لأَنَّ ذلك صِفَةُ المخلوق الَّذي لا تجِيءُ الأَشياءُ له إِلَّا بالمباشرةِ والمعالجةِ ، وهو مُتَعَالٍ نافِذُ الإِرادة والمَشِيئَة ، فَعَّالٌ لِـمَا يَشاءُ**». أُصول الكافي ، ١: ٥٩ـ ٦١/ ح٦.

ودلالته واضحة.

القضيَّة الرَّابعة والأَربعون:

اِنتساب الفعل إِلى فاعله الحقيقي

إِنَّ نسبة الفعل إِلى الفاعل الحقيقي أَحقُّ من نسبته إِلى المفعول. ←

وبالجملة: هذه القاعدة قاعدة خطيرة ، وأَصل قويم ومُطَّرد في عَالَم الحقائق ، ونظريَّة لغويَّة قديمة جزلة ، مُهمَّة جِدّاً ، وضروريَّة في مباحث المعارف ، وفيها من الفحولة بمكان ، ومَنْ تمسَّك بها استقام سيره العلمي بحركةٍ قويَّةٍ.

ومضمونها: أَنَّ الأَصل الأَوَّلي في وضع الأَلفاظ أَنَّها لم تُوْضَع للمبادئ والآليَّات والمصاديق الحسِّيَّة المادِّيَّة النَّازلة ؛ الَّتي تكون مبدأ لصدور الغايات ، بل وُضِعَت حقيقة للغايات. والمصاديق الحسيَّة والمادِّيَّة إِنَّما تكتسي ثوب الحقيقة اللغويَّة ؛ لكونها مُوصِلَة للغايات ، فإِنَّ أَسْطُح الحقائق تكتسي دائماً ـ ببركة تلك الحقائق ـ ثوباً من أَثواب الحقيقة وشعاعاً من أَشعَّتها.

وبعبارة مختصرة: هذه القاعدة تُريد أَنْ تُثبت: أَنَّ المبادئ والمصاديق الحسيَّة مجازات عقليَّة وإِنْ لم تكن مجازات لغويَّة.

وللتَّوضيح أَكثر: خذ الأَمثلة التَّالية :

الأَوَّل: لفظ (اليد) ؛ فإِنَّه لم يوضع حقيقة لمعنىٰ الجارحة ، بل لغاياتها ، وهي: حقيقة: (البسط) ، و(البطش) ، و(القبض) ، و(القوَّة) ، و(القدرة) ، و(السلطنة) ، و(الهيمنة) ، واليد الجارحة هي المبدأ والمنطق والآلة لحصول تلك الغايات ، وحينئذٍ يصدق لفظ: (اليد) حقيقة إِذا حصلت تلك الغايات أَو بعضها ، سواء حصلت ببركة اليد الجارحة أَو بغيرها.

← **ومنه يتَّضح**: أَنَّ اِنتساب فعل اللّٰـه وخلقه إِليه (تقدَّس ذكره) الجاري على أَيدي المخلوقات أَحَقُّ وأَشَدُّ نِسبَة من اِنتسابه إِلى المخلوقات.

وعليه: فإنْ أُستعمل لفظ: (اليد) في خصوص معنىٰ الجارحة بخصوصيَّتها الماديَّة كان اِستعمالاً مجازيّاً ، وإنْ أُستعمل في المعنىٰ الجامع بين المصداق الـمـادِّي ـ وهو: (الجارحة) ـ وغاياته ـ كـ: (القوَّة) ، و(القدرة) ، و(السلطنة) ، و(البطش) ، و(الهيمنة) ـ كان اِستعمالاً حقيقيّاً.

فقوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾[1][2] ، يعني: قوَّة الله وقدرته وسلطنته وهيمنته فوق قوَّة وقدرة وسلطنة

---

(١) الفتح: ١٠.

(٢) يجدر صرف النظر في المقام إلى التنبيهات التَّالية:

التنبيه الأَوَّل:

قضايا معرفيَّة ثلاث بتَّت بها بيانات مدرسة أَهل البيت عليهم السلام

حكمت مدرسة أَهل البيت (صلوات اللّٰـه عليهم) بعدم اِمكان اِكتناه المخلوق للذات الإِلٰهيَّة الأَزليَّة المُقدَّسة ، وكذا حكمت ببطلان تعطيل معرفة الذَّات الإِلٰهيَّة المُقدَّسة ، وحكمت أَيضاً ببطلان كون مُطلق الصِّفات الإِلٰهيَّة ـ فعليَّة كانت أَم ذاتيَّة ـ عين الذات المُقدَّسة تحقُّقا ، بل عينها حكاية ، فمطلق الصِّفات الإِلٰهيَّة ـ كالأَسماء الإِلٰهيَّة ـ مخلوقات مُكرَّمة من مخلوقات عَالَم السرمد والأَزل تحكي الذَّات المُقدَّسة من وجه.

أَدلَّة اِستحالة اِكتناه كُنْه الذات المُقدَّسة

وتُشير إِلى النحو الأَوَّل كثير من بيانات الوحي المعرفيَّة ، منها:

١ـ بيان أَمير المؤمنين عليه السلام: «... **وَكَمَالُ اَلْإِخْلاَصِ لَهُ نَفْيُ اَلصِّفَاتِ عَنْهُ ؛ لِشَهَادَةِ كُلِّ صِفَةٍ أَنَّهَا غَيْرُ اَلْـمَوْصُوفِ ، وَشَهَادَةِ كُلِّ مَوْصُوفٍ أَنَّهُ غَيْرُ اَلصِّفَةِ ، فَمَنْ وَصَفَ اَللّٰـهَ سُبْحَانَهُ فَقَدْ قَرَنَهُ ، وَمَنْ قَرَنَهُ فَقَدْ ثَنَّاهُ ، وَمَنْ ثَنَّاهُ فَقَدْ جَزَّأَهُ ، وَمَنْ جَزَّأَهُ فَقَدْ** ←

جَهِلَهُ [وَمَنْ جَهِلَهُ فَقَدْ أَشَارَ إِلَيْهِ] ، وَمَنْ أَشَارَ إِلَيْهِ فَقَدْ حَدَّهُ ، وَمَنْ حَدَّهُ فَقَدْ عَدَّهُ ...». نهج البلاغة/ خ١: ٤١.

٢ـ بيان أَبي جعفر عليه السلام: «... **اللّـه أَعظم من أَنْ يوصف** ...» بحار الأَنوار ، ٢٤: ٢٠٠/ح٣١.

٣ـ بيان الإِمام الرِّضا عليه السلام: «... **فليس اللّـه من عرف بالتَّشبيه ذاته ، ولا إِيَّاه وحَّد مَنْ اِكتنهه ... ولا به صَدَّق مَنْ نهَّاه ... ولا إِيَّاه أَراد من توهَّمه ... وقد تعدَّاه مَنْ اشتمله ، وقد أَخطأ من اكتنهه** ...». بحار الأَنوار ، ٤: ٢٢٨ـ٢٢٩/ح٣.

٤ـ بيانه عليه السلام أَيضاً: «... **الحمدُ للّـه ... الممتنع من ... الأَوهام الإِحاطة به ... الَّذي قد حسَرت دون كُنْهه نواقد الأَبصار ، وامتنع وجوده جوائل الأَوهام** ...». توحيد الصدوق: ٥٦/ح١٤.

٥ـ بيانه عليه السلام أَيضاً: «... **وكُلّ ما وقع عليه حدّ فهو خلق اللّـه عزّ وجلّ** ...». توحيد الصدوق: ٤٢٥/ح١.

٦ـ بيانه عليه السلام أَيضاً: «... **واعلم أَنَّه لا يكون ... حدّ لغير محدود ، والصِّفات والأَسمآء كُلّها تدلّ على الكمال والوجود ، ولا تدلّ على الإِحاطة** ...». عيون أَخبار الرِّضا عليه السلام ، ١: ١٣٣/ح١.

ودلالة الجميع واضحة.

٧ـ بيان القاعدة المعرفيَّة العقليَّة المُستفادة من بيانات الوحي المعرفيَّة العقليَّة ، منها: ما تقدَّم ، وهي: «**مَنْ وصف شيئاً بكُنهه كان أَعظم من الموصوف**».

وهذه القاعدة تنحلّ إِلى قاعدتين :

الأُولىٰ: «مَنْ وصف شيئاً بِكُنهه فقد أَحاط به».

الثَّانية: «مَنْ أَحاط بشيءٍ كان أَعظم من المُحاط».

والمُراد من الإِحاطة في هذه القاعدة أَعَمّ من التَّجَرُّديَّة والعقليَّة والجسميَّة. وسيأتي (إِنْ شاء الله تعالىٰ) في محلِّه بيان هذه الأَنواع الثلاثة.

وهذه القاعدة العقليَّة الجزلة رغم بداهتها غفل عنها كثير من أَصحاب المدارس البشريَّة المعرفيَّة ، منهم: فلاسفة الشيعة فضلاً عن غيرهم.

وعصارة القول: أَنَّ المعرفة بالكُنْه وإِنْ كانت معرفة عظيمة ؛ لكنَّها مُمتنعة في حقِّ معرفة المخلوق بكُنْه الباري سبحانه وتعالىٰ ؛ للزوم محاذير عدَّة ، منها :

١ـ إِحاطة المخلوق (والعياذ باللّٰـه تعالىٰ) بذات الخالق تبارك وتعالىٰ ، ولازمه كون المخلوق أَعظم من خالقه جلَّ وتقدَّس.

٢ـ تناهي ذات الباري تعالىٰ ومحدوديَّته.

٣ـ الغلو في حقِّ المخلوق والتقصير في حقِّ الباري جلَّ قدسه.

٤ـ تشبيه الباري تعالىٰ ذكره بالمخلوقات.

وهذا أَحد تفاسير بيان قوله عزَّ قوله: ﴿**وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ**﴾ [آل عمران: ٢٨].

وَمِنْ ثَمَّ أَسَّس أَهل المعرفة أَصلاً في أَبواب المعارف مُستفاد من بيانات الوحي ، وهو: (أَنَّ الحقيقة الأَزليَّة غيب الغيوب) ، وهذا ما تُشير إِليه بيانات الوحي بلفظة وعنوان: (هو) ، ونفس هذا العنوان مؤسِّس لبيانات وقواعد ومعادلات ومعارف إِلٰهيَّة وحيانيَّة وعقليَّة جمَّة ، بل جملة منظومة معارف التَّوحيد مطويَّة ومخبوَّة في هذا العنوان ؛ فإِنَّه يعني: اِستحالة معرفة كنه الذَّات الإِلٰهيَّة المقدَّسة.

تفسير (الاسم المستأثر)

هذا وقد وقع اِختلاف في تفسير الاسم المستأثر ، وهو اسم باطن لا يظهر أَبداً.

معنىٰ (الاسم المُستتر)

ومعنىٰ الاسم المستتر ؛ اسم ، يعني: ظهور ، ومستتر ، يعني: بطون ، وهو فوق الاسم الأَعظم ، نعم ذهب البعض إِلى أَنَّه نفس الاسم الأَعظم.

ثُمَّ إِنَّه لولا بيانات الثقلين لَـمَا أَمكن لمخلوق البتَّة شَمَّ رائحته ، كحال كثير من المعارف والعقائد الإِلٰهيَّة.

إِذَنْ: المعرفة المُطلقة بالذَّات الإِلٰهيَّة الأَزليَّة المُقدَّسة مُمتنعة بقول مُطلق ؛ لاستلزامها جملة محاذير ، منها: التشبيه ، سوآء أَكان جسمانيّاً أَم عقليّاً أَم روحيّاً أَم عرشيّاً أَم غيرها.

ومعناه: أَنَّ التشبيه على أَقسام.

وعلى هذا قس التعطيل ؛ فإِنَّه على أَقسام أَيضاً ، أَحدها: اِعتقاد المخلوق: بعدم تمكُّن المخلوقات من معرفة الذَّات الإِلٰهيَّة الأَزليَّة المُقدَّسة في عَالَمٍ ما ، فإِنَّ هذا نحو تعطيل ؛ لأَنَّ آيات التَّوحيد لا يخلو منها عَالَمَ من عوالم الخلقة.

أَدلَّة نفي تعطيل معرفة الذَّات المُقدَّسة

ويُشير إِلى النحو الثاني جمّ غفير من بيانات الوحي المعرفيَّة أَيضاً ، منها :

أَوَّلاً: بيان أَمير المؤمنين عليه السلام: «... **تتلقَّاه الأَذهان لا بمشاعرة ، وتشهد له المرائي لا بمحاضرةٍ ، لم تحط به الأَوهام ، بل تجلَّىٰ لها بها** ...» بحار الأنوار ، ٤: ٢٦١/ ح٩.

ثانياً: بيان الإِمام الصَّادق عليه السلام: «**رأته القلوب بنور الإِيمان ، وَأَثبتته العقول بيقظتها إِثبات العيان ، وَأَبصرته الأَبصار بما رأته من حسن التركيب وإِحكام التأليف** ...». بحار الأَنوار ، ١٠: ١٦٤/ ح٢.

ثالثاً: بيان الإِمام الرِّضا عليه السلام: «... **يُدلُّ على اللّٰـه عزّ وجلّ بصفاته ، ويُدرك بأَسمائه ، ويُستدلّ عليه بخلقه حتَّىٰ لا يحتاج في ذلك الطالب المرتاد إِلى رؤية عين ولا استماع أُذْن ولا لمس كف ، ولا إِحاطة بقلب ، ولو كانت صفاته (جلَّ ثناؤه) لا تدلُّ عليه ، وأَسماؤه لا تدعو إِليه ، والمعلمة من الخلق لا تدركه لمعناه كانت العبادة من الخلق لأَسمائه وصفاته دون معناه ، فلولا أَنَّ ذلك كذلك لكان المعبود المُوَحَّد غير اللّٰـه ؛ لأَنَّ صفاته وأَسمائه غيره** ...». عيون أَخبار الرِّضا عليه السلام ، ١: ١٣٤/ ح١.

رابعاً: بيان دعاء أَمير المؤمنين عليه السلام: «... **إِلٰهي ، أَسألكَ مسألة المسكين الَّذي قد تحيَّر في رجاه ، فلا يجد ملجأً ولا مستنداً يصل به إِليكَ ، ولا يستدلّ به عليكَ إِلَّا بكَ وبأَركانكَ ومقاماتك الَّتي لا تعطيل لها منكَ ، فأَسألك باسمك الَّذي ظهرت به**

→ **لخاصَّة أَوليائك ، فوحَّدوك وعرفوك يعبدوكَ بحقيقتك أَنْ تُعَرِّفني نفسك لأقرّ لكَ بربوبيَّتكَ على حقيقة الإِيمان بِكَ ، ولا تجعلني يا إِلٰهي مِمَّن يعبد الاسم دون المعنىٰ ، والحظني بلحظة من لحظات تُنوِّر بها قلبي بمعرفتكَ خاصَّة ومعرفة أَوليائك ...»**. بحار الأَنوار ، ٩١: ٩٦/ح١٢.

خامساً: بيان الدُّعاء: «**... ويا مَنْ تجلَّىٰ لعقول الموحِّدين بالشَّواهد والدلالات ، ودلّ العباد على وجوده بالآيات البيِّنَات القاهرات ...**». بحار الأَنوار ، ٩٧: ٢٢٤. المزار الكبير: ٢٦ ـ ٢٧.

ودلالة الجميع على المُدَّعىٰ واضحة.

أَدلَّة أَنَّ مُطلق الصِّفات الإِلٰهيَّة مخلوقات مُكرَّمة تحكي الذَّات الإِلٰهيَّة من وجهٍ

ويُشير إِلى النحو الثالث الكثير من بيانات الوحي المعرفيَّة أَيضاً ، منها :

الأَوَّل: بيان أَمير المؤمنين عليه السلام: «**... المستشهِد آياته على قدرته ، المُمتنع من الصِّفات ذاته ...**». توحيد الصدوق: ٥٦/ح١٤.

الثَّاني: بيان الإِمام الرِّضا عليه السلام: «**... ونظام توحيد الله نفي الصِّفات عنه لشهادة العقول أَنَّ كُلّ صفةٍ وموصوفٍ مخلوق ، وشهادة كُلّ موصوف أَنّ له خالقاً ليس بصفة ولا موصوف ، وشهادة كُلّ صفة وموصوف بالاقتران ، وشهادة الاقتران بالحدث ...**». بحار الأَنوار ، ٤: ٢٢٨/ح٣.

الثَّالث: بيانه عليه السلام أَيضاً ، في جوابه على سؤال عمران الصَّابي: «... ياسيِّدي ، فبأَيِّ شيء عرفناه؟ قال: **بغيره** ، قال: فأَيّ شيء غيره؟ قال الرِّضا عليه السلام: **مشيَّته واسمه وصفته وما أَشبه ذلك ، وكُلّ ذلك مُحدث مخلوق مدبر** ، قال عمران: ياسيِّدي ، فأَيّ شيء هو؟ قال: **هو نور بمعنىٰ إِنَّه هاد خلقه من أَهل السَّماء وَأَهل الأَرض ، وليس لكَ على أَكثر من توحيدي إِيَّاه ... وما أَوقعت عليه من الكُلِّ فهي صفات محدثه ، وترجمة يفهم بها من فهم ...**». عيون أَخبار الرِّضا عليه السلام ، ١: ١٣١ ـ ١٣٢/ح١. ←

الرَّابع: بيان الإمام الجواد عليه السلام ، عن أَبي هاشم الجعفري ، قال: «كُنتُ عند أَبي جعفر الثاني عليه السلام فسأله رجلٌ فقال: أَخبرني عن الرَّبِّ (تبارك وتعالىٰ) أَلَه أَسماء وصفات في كتابه؟ وهل أَسماؤه وصفاته هي هو؟ فقال أَبو جعفر عليه السلام: **إِنَّ لهذا الكلام وجهين: إِنْ كُنتَ تقول هي هو أَنَّه ذو عدد وكثرة فتعالىٰ الله عن ذلك ، وإِن كُنتَ تقول هذه الأَسمآء والصِّفات لم تزل فإِنَّما لم تزل مُحتملٌ معنيين ؛ فإِنْ قلتَ: لم تزل عنده في علمه وهو يستحقّها فنعم ، وإِنْ كُنتَ تقول: لم يزل صورها وهجاؤها وتقطيع حروفها فمعاذ الله أَن يكون معه شيء غيره ، بل كان الله (تعالىٰ ذكره) ولا خلق ثُمَّ خلقها وسيلة بينه وبين خلقه ، يتضرَّعون بها إِليه ويعبدونه وهي ذكره ... والأَسمآء والصِّفات مخلوقات ، والمعنيُّ بها هو الله الَّذي لا يليق به الاختلاف ولا الايتلاف ...**». بحار الأَنوار ، ٤: ١٥٣ ـ ١٥٤/ ح١.

ودلالتها واضحة على المُدَّعىٰ أَيضاً.

إِذَنْ: مدرسة أَهل البيت (صلوات اللّـه عليهم) تحكم بإِمكان معرفة الذَّات الإِلٰهيَّة الأَزليَّة المُقدَّسة ، لكن من وجهٍ ؛ ومن خلال الأَفعال والآيات والأَسمآء والصِّفات الإِلٰهيَّة ومرادفاتها الإِلٰهيَّة العقليَّة ، فتحكي الذَّات الإِلٰهيَّة المُقدَّسة من وجهٍ ؛ من خلال ما حلَّ ويحلُّ فيها من تجلِّيات إِلٰهيَّة.

ومعناه: أَنَّ الباري (تقدَّس ذكره) مُنزَّه عن جملة المخلوقات وصفاتها وشؤونها ، منها: الأَسمآء والصِّفات الإِلٰهيَّة وإِنْ كانت ذاتيَّة ، وإِلَّا ـ أَي: لو كانت الصِّفات الإِلٰهيَّة الذاتيَّة عين الذَّات الإِلٰهيَّة المُقدَّسة تحقُّقاً ـ لزمت محاذير عِدَّة ، منها :

١ـ زيادة الفرع على أَصله.

٢ـ كفؤيّة المخلوق ونديَّته وضديَّته لباريه (جلَّ قدسه).

٣ـ إِحاطة المخلوق بخالقه (تبارك وتعالىٰ).

٤ـ يكون المخلوق أَعظم من خالقه (عزَّ جلاله).

٥ـ حصول كثرة وتعدُّد وشراكه في الذَّات الإِلٰهيَّة المُقدَّسة ، والواحد غير الكثير ، بل الكثرة دليل على المحدوديَّة. وحدود الأَسمآء والصِّفات الإِلٰهيَّة وإِنْ لم تكن ←

حدود مخلوقيَّة ، لكنَّها نمط من الحدود ، فعندما يُقال: (أَوَّل) لا يُغني عن ذكر (الآخر) ، وكذا العكس ، وهما لا يغنيان عن ذكر (العَالِم) ، وهذه الثلاثة لا تُغني عن ذكر (الحي) ، وهلمَّ جرّاً.

وهذا برهانٌ عقليٌّ دالٌّ على أَنَّ كمال (الأَوَّل) و(الأَوَّليَّة) لا يستوعبان جملة كمالات الذَّات المُقدَّسة.

إِذَنْ: كمالات ذات الباري ـ المُسمَّىٰ ـ (جلَّ ثناؤه) أَوسع ـ من دون قياس ـ من كمالات الأَسمآء والصِّفات الإِلٰهيَّة ، ويحيط (جلّ اسمه) بها ، ويهيمن عليها ، وجامع لجملة الكمالات ، ويترشَّح من ذاته (علا ذكره) كمال الأَسمآء والصِّفات الإِلٰهيَّة. خلافاً لِـمَا تخرصته الأَشاعرة ؛ من خواء الذَّات المُقدَّسة من الكمالات.

وتصوير هذه الدرجة عصت على كثير من علماء الإِماميَّة ـ كالمُلَّا صدرا والسيِّد الطباطبائي ـ فضلاً عن غيرهم ، نعم هضمها أَهل المعرفة إِلى درجةٍ ما ، وقالوا: إِنَّ الصِّفات الإِلٰهيَّة الذاتيَّة عين الذات المُقدَّسة حكاية ، وتحكي الذات المُقدَّسة من وجهٍ.

التنبيه الثَّاني:

دليل على أَنَّ الصِّفات الإِلٰهيَّة الذَّاتيَّة عين الذَّات المُقدَّسة حكاية

هناك دليل وبرهان عقليٌّ مُركَّب من مُقدِّمات أَربع ، دالٌّ على حقَّانيَّة النظريَّة الثانية ـ وهي المختارة ـ ، الواردة في باب الصَّفات والأَسمآء الإِلٰهيَّة ، والدَّالَّة على أَنَّ الصِّفات الإِلٰهيَّة الذَّاتيَّة عين الذات الإِلٰهيَّة الأَزليَّة المُقدَّسة حكاية ـ لا تحقُّقاً ؛ كما عليه النظريَّة الأُولى ـ ، وصفات فعليَّة بالمعنىٰ الأَعم تحكي الذَّات الإِلٰهيَّة المُقدَّسة من وجهٍ ، لكن لا يشوب تلك الحكاية انانيَّة وذات المخلوق الحاكي ؛ لفنائها في الحكاية ، بخلاف الصِّفات الفعلية بالمعنىٰ الأَخصّ.

والمقدِّمات هي:

المُقدِّمة الأَولىٰ:

الصِّفات الإِلٰهيَّة الفعليَّة مع كثرتها تؤول إِلى شيءٍ واحدٍ

ذكر المُتكلِّمون والفلاسفة والمُفسِّرون والمُحدِّثون ـ على وفق مبناهم في الصِّفات الإلٰهيَّة الذاتيَّة ، وأنَّها عين الذات المُقدَّسة تحقُّقاً ـ: أنَّ الصِّفات الإلٰهيَّة الفعليَّة ـ مع كثرتها ـ تؤول إلى شيءٍ فاردٍ ، ويكون المحكي والمرئي بها واحداً ، ومن ثَمَّ لا تتنافىٰ مع الأَحديَّة والواحديَّة ؛ فلذا أَوَّلوا جميع الصِّفات الفعليَّة وارجعوها إلى صفةٍ فعليَّة واحدة ، وارجعها مشهورهم إلى القيُّوميَّة ، وحقيقة هذه الصفة ـ أي: صفة القيُّوميَّة ـ تارة صفة فعل وأُخرىٰ صفة ذات.

وبالجملة: صفات الفعل مع كثرتها لا تُنَافِي وحدة المحكي.

المُقدِّمة الثَّانية:

وحدة المحكي لا تُنَافِي تعدُّد الحاكي

إنَّ المحكي بالصِّفات الفعليَّة وإن كان واحداً لكنَّه لا يعني وحدة الصِّفات الذاتيَّة تحقُّقاً.

إذَنْ: وحدة المحكي والمرئي بهذه الصِّفات لا تُنافي تعدُّد الحاكي ؛ فكثرة الحاكي وإنْ كانت تحقُّقيَّة ، لكن إرائتها وحكايتها عن المحكي واحدة.

وعليه: فلا تَنَافِي واصْطِكَاك بين هذه المقدِّمة وسابقتها.

المُقدِّمة الثَّالثة:

وحدة الحكاية رغم تكثُّر الحاكي

إنَّ الحكاية وإنْ كانت مُتكثِّرة بلحاظ الحاكي ؛ لكنَّها واحدة بلحاظ المحكي ؛ فما يحكيه المُميت غير ما يحكيه الرازق ، وما يحكيانه غير ما يحكيه القابض ، وما تحكيه هذه الثلاثة غير ما يحكيه الباسط وهلمَّ جرّاً ، لكن حكاية الجميع بلحاظ الذَّات الإلٰهيَّة الأَزليَّة المقدَّسة واحدة.

المُقدِّمة الرَّابعة:

الصِّفات الفعليَّة واحدة في المحكي حكاية لا تحقُّقاً

إنَّ صفات الفعل واحدة في الحكاية ـ كما تقدَّم ـ وواحدة في المحكي ، فلها وحدة محكي ذاتاً ، فآلت صفة الفعل إلى صفة ذات لكنَّها حكاية لا تحقُّقاً.

والنتيجة: أَنَّ الصِّفات الفعليَّة بالمعنىٰ الأَعم ـ ذاتيَّة كانت أَم فعليَّة بالمعنىٰ الأَخَصّ ـ بالدِّقَّة صفات ذاتيَّة حكاية ـ أَي: تحكي الذَّات المقدَّسة من وجهٍ ـ لا تحقُّقاً ، ومُتَّحدة في حكاية الذات الإِلٰهيَّة المُقدَّسة ، فكلتاهما ـ أَي: الصِّفات الإِلٰهيَّة الذاتيَّة ، والصِّفات الإِلٰهيَّة الفعليَّة بالمعنىٰ الأَخَصّ ـ فعل الله ومخلوقات له (تقدَّس ذكره) ، لكن حيث إِنَّ الأُولىٰ محو فناء في الحكاية ؛ فلا تُري نفسها ، بل محكيِّها ـ الذات الإِلٰهيَّة الأَزليَّة المُقدَّسة ـ فقط أُصطلح عليها بـ: (الصِّفات الذاتيَّة) ، بخلاف الثانية؛ فإِنَّها حيث تُري محكيِّها ـ الذات الإِلٰهيَّة المُقدَّسة ـ وقد شاب تلك الإراءة والحكاية شوب الفعل ؛ ولم تكن خالصة وفانية في الحكاية أُصطلح عليها بـ: (الصِّفات الفعليَّة).

وبالجملة: ما ذهب إِليه أَصحاب النظرية الأُولىٰ من أَنَّ الصِّفات الإِلٰهيَّة الذاتيَّة عين كُنْه وحقيقة الذات الإِلٰهيَّة الأَزليَّة المقدَّسة تحقُّقاً والعقل يدركها دعوة جهالة ؛ لأَنَّها معرفة لُـميَّة لكُنْه الذات المقدَّسة ، وهي باطلة بالضرورة ، وهذا ما أَكدت وأَصرَّت عليه بيانات الوحي المستفيضة ، بل المتواترة.

مضافاً: أَنَّ الثابت في بيانات الوحي وما أَكَّدت وأَصرَّت عليه: أَنَّ مُطلق الصِّفات الإِلٰهيَّة ـ كالأَسمآء الإِلٰهيَّة ـ ذاتيَّة كانت أَم فعليَّة مخلوقات إِلٰهيَّة تحكي الذات المُقدَّسة من وجهٍ.

فانظر: بيانات الوحي ، منها :

١ـ بيان الإِمام الرِّضا عليه السلام: «... **ونظام توحيد اللّٰـه نفي الصِّفات عنه ؛ لشهادة العقول أَنَّ كُلَّ صفةٍ وموصوف مخلوق ، وشهادة كُلّ موصوف أَنَّ له خالقاً ليس بصفةٍ ولا موصوفٍ ، وشهادة كُلّ صفة وموصوف بالاقتران ، وشهادة الاقتران بالحدث ، وشهادة الحدث بالامتناع من الأَزل الممتنع من الحدث ، فليس الله من عرف بالتشبيه ذاته ، ولا إِيَّاه وحَّد مَنْ اكتنهه ... بصنع الله يُستدلُّ عليه ، وبالعقول**

→ **تُعتقد معرفته ... فقد جهل الله من استوصفه ، وقد تعدَّاه من اشتمله ، وقد أَخطأه من اكتنهه ... ولا تحدَّه الصِّفات ...**». بحار الأَنوار ، ٤: ٢٢٧ ـ ٢٣٠/ ح٣.

٢ـ بيانه عليه السلام أَيضاً في جوابه على سؤال عمران الصابي: «... ياسيِّدي ، فبأَيِّ شيءٍ عرفناه؟ قال: **بغيره** . قال: فأَيّ شيء غيره؟ قال الرِّضا عليه السلام: **مشيَّته واسمه وصفته وما أَشبه ذلك ، وكُلّ ذلك محدث مخلوق مدبر** ...». عيون أَخبار الرِّضا عليه السلام ، ١: ١٣١/ ح١.

٣ـ بيان الإِمام الجواد عليه السلام ، عن أَبي هاشم الجعفري ، قال: «كُنْتُ عند أَبي جعفر الثَّاني عليه السلام فسأله رَجُلٌ ، فقال: أَخبرني عن الرَّبِّ تبارك وتعالى أَلَه أَسمآءٌ وصفاتٌ في كتابه؟ وهل أَسمآؤهْ وصفاتُهُ هي هو؟ فقال أَبو جعفر عليه السلام: **إن لهذا الكلام وجهين: إِنْ كُنتَ تقول: هي هو ؛ أَي إِنَّه ذُو عددٍ وكثرةٍ ؛ فتعالىٰ الله عن ذلك. وإِن كُنتَ تقول: هذه الأَسمآء والصِّفات لم تزل ؛ فإِنَّ «لَمْ تَزَل» مُحتملٌ معنيين ؛ فإِن قُلتَ: لم تزل عنده في علمه وهو مُستحِقُّها فَنَعَمْ ، وإِنْ كُنتَ تقول: لم يزل تصوِيرُهَا وهجاؤُها وتقطيع حُرُوفِها فمعاذ الله أَنْ يكون معه شيءٌ غيره ، بل كان الله تعالىٰ ذكره ولا خلق ، ثُمَّ خلقها وسيلةٌ بينه وبين خلقه ، يتضرَّعون بها إِليه ويعبدونه ، وهي ذِكرُهُ ، وكان الله سبحانه ولا ذكر ، والمذكور بالذكر هو الله القديم الَّذي لم يزل ، والأَسمآء والصِّفات مخلوقات ، والمعنيُّ بها هو الله الَّذي لا يَليقُ به الإِختلاف ولا الائتلافُ ...**». بحار الأَنوار ، ٤: ١٥٣/ ح١. أُصول الكافي ، ١: ب: معاني الأَسمآء واشتقاقها: ٨١/ ح٧.

ودلالته ـ كدلالة سابقيه ـ واضحة.

إِذَنْ: إِدْرَاك العقول للذَّات المُقدَّسة لا يكون إِلَّا عبر الآيات والآثار والأَفعال الإِلٰهيَّة ، لا بالكُنْه وتمام الحقيقة ، ومن ثَمَّ الإِعْتِرَاف بالعجز عن معرفة كُنْه وتمام حقيقة الذَّات المُقدَّسة عين المعرفة الصَّادقة ، لأَنَّه إِعْتِرَافٌ بأَنَّه سبحانه وتعالىٰ محيط بالأَشياء ولا يُحاط به تقدَّس ذكره. ومنه يتَّضح: أَنَّ نفي التوسُّل بالآيات والأَسمآء الإِلٰهيَّة ومرادفاتها الإِلٰهيَّة العقليَّة شرك وتشبيه وإِلحاد وكفر باللّٰـه العزيز الجبَّار. ←

وهذا ما تُشير إليه بيانات الوحي ، منها :

أَوَّلاً: بيان قوله تعالىٰ: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ**﴾ [المائدة: ٣٥].

ثانياً: بيان قول تقدَّس ذكره: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُجْرِمِينَ**﴾ [الأعراف: ٤٠].

التنبيه الثَّالث:

غاية الآيات الإلٰهيَّة

إنَّ ما ورد في بيان قوله تعالىٰ: ﴿**سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ**﴾ [فُصِّلَت: ٥٣] برهانٌ وحيانيٌّ دالٌّ على أَنَّ غاية رؤية الآيات الإلٰهيَّة: التعرُّف على ساحة القدس الإلٰهيَّة ، ومن ثَمَّ وجب على المخلوق أَنْ لا ينشغل بالآية ، بل عبورها لمعرفة ذيها (ساحة القدس الإلٰهيَّة).

وينبغي الإلتفات :

أَوَّلاً: أَنَّ المُراد من عنوان (التبيُّنْ) الوارد في هذا البيان الوحياني: (التجلِّي) ، المُشار إليه في بيان قوله تعالىٰ: ﴿**فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ**﴾ [الأعراف: ١٤٣].

ثانياً: أَنَّ هذا البيان الوحياني شامل ـ كسائر بيانات الوحي المعرفيَّة ـ لمُطلق الآفاق ؛ سواء كانت ماديَّة أَم حسيَّة أَم خياليَّة أَم وهميَّة أَم عقليَّة أَم عرشيَّة.

التنبيه الرَّابع:

معنىٰ الصِّفات السَّلبيَّة

← ليس المراد من الصِّفات السلبيَّة المعنىٰ الرَّائج في ثقافة العصر ؛ وأَنَّه ليس في الذَّات الإِلٰهيَّة الأَزليَّة المُقدَّسة سلب ونقص ، بل المراد منها: صفة مسلوبة ومنفيَّة عن ذاته تعالىٰ المُقدَّسة ولا يتَّصَف بها.

النَّفي في الصِّفات السلبيَّة يختصُّ بجانب النقص دون جانب الكمال

ويجدر الإلتفات: أَنَّ الصِّفات السلبيَّة صفات مشوبة بنقائص تُنفى عن الذَّات الإِلٰهيَّة المُقدَّسة ، لكن هذا النَّفي يختصُّ بجانب وحيثيَّة النقص ، أَمَّا جانب الكمال فلا يُنفىٰ عن الذَّات المُقدَّسة. وهذا ميزانٌ معرفيٌّ مُهمٌّ جِدّاً يأتي في أَبواب الصِّفات الإِلٰهيَّة.

التنبيه الخامس:

لابُدَّ من رجوع الصِّفات السَّلبيَّة إلى إثبات وتحقُّق

إِنَّ الصِّفات السلبيَّة لابُدَّ أَنْ ترجع إِلى إِثبات وتحقُّق ، وإِلَّا لزم تعطيل معرفة الذَّات الإِلٰهيَّة الأَزليَّة المُقدَّسة ، ومن ثَمَّ قُرن التَّسبيح بالتَّحميد في كثير من بيانات الوحي ، وأَذْكَار الصَّلاة كأَذكار ركوعها وسجودها وتسبيحها الأَكبر وتسبيح فاطمة عليها السلام.

وهذا ما تُشير إِليه بيانات الوحي ، منها :

بيان جواب الإِمام الصَّادق عليه السلام على سُؤال الزنديق: «... قال: فما هو؟ قال: شيءٌ بخلاف الأَشياء ، ارْجِعْ بقولي إِلى إِثبات معنىً وأَنَّه شيءٌ بحقيقة الشَّيئيَّة ...».أُصول الكافي ، ١: ٥٨ـ ٥٩/ ح٥.

فمراد قوله عليه السلام: «**ارْجِعْ بقولي إِلى إِثبات معنىٰ**» ما ذكرناه آنِفاً.

التنبيه السَّادس:

مآل التَّنزيه والتَّحميد ←

← إِنَّ التنزيه والتَّحميد يرجعان ـ بالدِّقَّة ـ إِلى صفات الجلال والجمال ، فالتنزيه جلال والتَّحميد جمال.

التنبيه السَّابع:

قاعدة: (الأَمر بين الأَمرين)

إِنَّ ما ورد في بيانات الوحي ، منها: بيان الإِمام الصَّادق (صلوات اللّـه عليه): «**لا جبر ولا تفويض ، ولكنْ أَمرٌ بين أَمرين**» [أُصول الكافي ، ١: ١٠٨/ ح١٣] قاعدة وحيانيَّة شريفة ، مهولة وخطيرة وعظيمة جِدّاً ، من أَنوار جواهر علوم أَهل البيت (صلوات اللّـه عليهم) ، ولولاهم لما أَمكن لبشرٍ قَطُّ الِالتفات إِليها ، بل وفقهها وفهمها.

وهناك بُعد لهذه القاعدة الشَّريفة لم يُثر في كلمات الأَعلام ، فإِنَّ المعروف عندهم نظرها إِلى فعل اللّـه ﷻ مع مخلوقاته ليس إِلَّا ، وأَنَّه جلَّت آلاؤه جعل السُّنَّة التَّكوينيَّة هكذا.

لكنَّه: تضييق اِسْتَنْبَطَه المُتكلِّمون.

والحقُّ: أَنَّ هذه القاعدة شاملة لكُلِّ علاقةٍ بين الباري جلَّ قدسه ومخلوقاته ، سوآء أَكانت علاقة تكوينيَّة أَم تشريعيَّة ، بل وشاملة تكويناً إِلى الجانب المُعاكس ، يعني من جهة المخلوق اِتِّجاه السَّاحة الإِلٰهيَّة ، فعلاقة المخلوق ومسؤوليَّاته اِتِّجاه باريه جلَّ ذكره واِتِّجاه الدِّين واِتِّجاه سيِّد الأَنبياء وأَمير المؤمنين وسائر أَهل البيت عليهم السلام لا جبر فيها ولا تفويض ولكن أَمر بين أَمرين ؛ فإِنَّ للمخلوق دوراً لابُدَّ منه في نصرة الباري علا ذكره ونصرة دينه ونبيَّه وسائر أَهل البيت (صلوات اللّـه عليهم) ، فانتصار السَّاحة الإِلٰهيَّة ليس بقائم على الجبر والملكوت والمعجزات الإِلٰهيَّة ، بل يحتاج إِلى الأُمور المادِّيَّة والطبيعيَّة وتجنيد المخلوقات ، لكن ليس معناه تفويض ؛ وأَنَّه إِذا لم تقم المخلوقات بدورها تعطَّلت الدولة الإِلٰهيَّة ؛ دولة أَهل البيت عليهم السلام وتعطَّلت أَدوارهم ، وإِنَّما لا جبر ولا تفويض ، ولكن أَمر بين أَمرين ، وعلى وفق ←

الموازين الإلٰهيَّة والعلميَّة ، فالتَّمهيد لقيام الدَّولة الإلٰهيَّة الحتميَّة ، دولة أَهل البيت (صلوات اللّٰـه عليهم) المُشار إليها في بيانات الوحي ، منها: بيان قول العزيز الجبَّار: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾ [التوبة: ٣٣] قائمٌ على قدم وساق ، سواء أَتَىٰ المخلوق بمسؤولياته وأَدواره أَو لا.

التنبيه الثَّامن:

شمول قاعدة: (الأَمر بين الأَمرين) لكافَّة العوالم وجملة المخلوقات

إنَّ قاعدة: (الأَمر بين الأَمرين) لا تشمل أَفعال الإنس والجنّ فقط ، بل تشمل أَفعال جملة المخلوقات وفي طُرِّ العوالم غير المتناهية ، بل وتشمل أَصل وجود جواهر جميع المخلوقات ؛ فلا يوجد مخلوق البَتَّة وفي سائر العوالم ، قد أُفيضت عليه نعمة الوجود ، وخرج من طور العدم إلى نور الوجود إلَّا بِاختياره ، وإلَّا فمخالف لضرورة العدل الإلٰهي ، ومعنىٰ الإختيار: (لا جبر ولا تفويض ، ولكن أَمر بين أَمرين) ، ومن ثَمَّ لا يحقّ لمخلوقٍ (والعياذ بالله تعالىٰ) الإعْتِرَاض على ساحة القدس الإلٰهيَّة وأَنَّه لماذا خُلِقتُ.

وبالجملة: أَنَّ هذه القاعدة لَـمَّا كانت قاعدة معرفيَّة عقائديَّة دينيَّة كانت شاملة ـ كالدِّين ـ لكُلِّ علاقةٍ بين الخالق جلَّ ذكره والمخلوقات غير المتناهية وفي كافَّة العوالم غير المتناهية أَيضاً.

وينبغي الإلتفات: أَنَّه ليس معنىٰ هذه القاعدة: أَنَّ حيثيَّة العبد في الفعل في عَرْضِ حيثيَّة الباريّ ﷻ في الفعل أَيضاً ، وإنَّما حيثيَّة العبد في الفعل في طول حيثيَّة الباري تعالىٰ في الفعل ؛ لأَنَّ جملة قوام العبد وحوله وقوَّته وقدرته قائمة باللّٰـه جلَّ شأنه.

التنبيه التَّاسع:

الإعتقاد بأَنَّ الجبر معلم توحيدي مِنْ أَشْنَعِ المُعتقدات الفاسدة

اعتقد اليهود والجبريَّة والقدريَّة: أَنَّ مُعتقد الجبر والقول به يصبُّ في توحيد اللّـه وتعظيمه وتعظيم قدرته ، ومعلم لأَحديَّته (تبارك اسمه) وواحديَّته وتوحيده في مقام القدرة ؛ فهو يفعل ما يشآء ولا يفعل ما يشآء غيره ، بخلاف مُعتقَد: (لا جبر ولا تفويض ، ولكن أَمر بين أَمرين) فإِنَّ معناه خلط بين جهتين ، نصف جبر ونصف تفويض.

ومعناه: أَنَّ للّـه شريك ؛ لأَنَّ التفويض يعني: استقلال المخلوق عن خالقه ، وأَنَّ هناك مساحةً من عَالَمَ الإِمكان وعَالَمَ الأَفعال وعَالَمَ المخلوقات مُفوَّضة لنفس المخلوقات ، وتتصرَّف فيها باستقلاليَّة عن ساحة القدس الإِلٰهيَّة ، ومعناه: شرك باللّـه وانحسار قدرته تعالىٰ وهيمنته عن بقعة من بقاع عَالَمَ الإِمكان ، والحال أَنَّ كُلَّ شيءٍ قائمٌ به تعالىٰ.

والجواب: أَنَّ الإِعتقادَ والظَّنَّ والقول بأَنَّ الجبر مَعْلَم لِعِظَم قدرة الله ومعلم لتوحيده ﷻ واحديَّته وواحديَّته في القدرة من أَكبر الأَخطاء والمعتقدات الفاسدة والغفلات الفاحشة ؛ لأَنَّ القائل به وإِنْ كان يسند الأَحداث والأَفعال إِلى الباري تبارك وتعالىٰ فَحَسْب ، لكنَّه من جهةٍ أُخرىٰ يقول: إِنَّ الأَمر قد فُرغ منه ولا يتبدَّل، ومعناه: أَنَّه ليس للّـه تعالىٰ القدرة على التبديل ، ولازمه: محدوديَّة قدرة الله ﷻ. وهو كما ترىٰ.

فانظر:

١ـ بيان قوله تعالىٰ: ﴿**وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنْفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ**﴾ [المائدة: ٦٤].

٢ـ بيان قوله جَلَّ شأنه: ﴿**يَسْأَلُهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ**﴾ [الرحمٰن: ٢٩].

ودلالتهما واضحة.

إِذَنْ: بسط قدرة الله وتوحيده في القدرة ليس في الجبر ، بل يكمن في الأَمر بين الأَمرين.

→ **ومنه يتَّضح**: أَنَّ (البَدَاء) يعني: الإِختيار من الوجهة الرَّبانيَّة ومن الوجهة المخلوقيَّة.

لكن: توَهَّم بعض الجبريَّة والقدريَّة والمُفوِّضة ، بل وبعض الصُّوفيَّة والعرفاء ـ كابن عربي ـ أَنَّ إِختيار المخلوق نوع ند وشرك وشراكة لِإختيار الخالق عظمت آلاؤه ؛ ومناددة له تعالىٰ في قدرته وإِختياره.

والحقُّ: أَنَّ إِختيار المخلوق مظهر لعدم تناهي قدرة الله ﷻ ، ومظهر لبيانات الوحي الواردة في المقام ، منها: ما تقدَّم.

إِذَنْ: إِختيار المخلوق بمعنىٰ الأَمر بين الأَمرين معلم توحيديٌّ ، وقائم على دعامتين: الخوف والرجاء ، والرهبة والرَّغبة ، وكُلَّمَا اِشْتَدَّ أَحدهما عند المؤمن البالغ درجات الإِيمان كُلَّما اِشْتَدَّ الآخر عنده بدرجته ، ومعناه: أَنَّه لا إِياس ولا ضمان حتمي ، وإِنَّما أَمر بين امرين ؛ فإِذا توسَّط المخلوق وأَخذ بالوسط كان على مراتب لا حدَّ لها اِشْتِدَاداً في التَّوسُّط.

التنبيه العاشر:

مُقدَّرات الأُمور لا تُحبس على الأَسباب المعهودة

أَحد أَلوان الشرك الخفي: اِعْتِقَاد المخلوق بأَنَّ مُجريات كافَّة الأُمور حبيسة على الأَسباب والمُسبِّبات ، فإِنَّه وإِنْ ورد في بيانات الوحي: «أَبىٰ الله أَن يجري الأَشياء إِلَّا بالأَسباب» [بحار الأَنوار ، ٢: ٩/ ح١٤] ، لكن هذه القاعدة المعرفيَّة لا تُنافي: أَنَّ مُقَدَّرات الأُمور ليست محبوسة على الأَسباب الموجودة ، فمن قال أَنَّها مُنحصرة بتلك الأَسباب ، فإِنَّه سبحانه وتعالىٰ يمكن أَنْ يفتح باباً لم يكن موجوداً من قَبْل ، ويخلق أَسباباً لم تكن ؛ ولم تخطر على بالِ مخلوق قطُّ.

وهذا المبحث أَحد معالم قاعدة: «لا جبر ولا تفويض ولكن أَمر بين أَمرين».

التنبيه الحادي عشر:

دركات الشرك الخفيَّة ←

إِنَّ ما ورد في بيانات الوحي ، منها :

١ـ بيان قوله تعالىٰ: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ﴾ [يوسف: ١٠٦].

٢ـ بيان سيِّد الأَنبياء صلى الله عليه وآله: «**إِنَّ الشِّرك أَخْفىٰ من دَبِيب النَّمل على صفاة سوداء في ليلة ظلماء**». بحار الأَنوار ، ٦٩: ٦٣/ ح٣. تفسير القمي: ٢٠٠.

٣ـ بيان الإِمام الصَّادق عليه السلام: «**إِنَّ الشرك أَخفىٰ من دبيب النمل** ، وقال: **منه تحويل الخاتم ليذكر الحاجة وشبه هذا**». بحار الأَنوار ، ٦٩: ٩٦/ ح٩. معاني الأَخبار: ٣٦٩.

براهينٌ وحيانيَّة دالَّة: أَنَّ للشرك دركات خفيَّة تدق وتخفىٰ على الكثير ، منهم الأَولياء.

التنبيه الثَّاني عشر:

عنوان: (مرجئة الشيعة)

إِنَّ المراد من تعبير: (مرجئة الشيعة) الوارد في بيانات الوحي كذم لبعض الشيعة: مَنْ يقول بالتَّفويض الخفي ، والمراد منه:

إِمَّا الإِعتقاد والقول بأَنَّ الأُمور مُفوَّضة إِلى نفس المخلوق ؛ وأَنَّه الَّذي يُحدث التَّغيير من دون تدخُّل السَّاحة الإِلٰهيَّة ولا الإِمام عليه السلام.

وإِمَّا الإِعتقاد والقول بأَنَّ كافَّة الأُمور وما يحدث من تغيير لا يكون إِلَّا بيد السَّاحة الإِلٰهيَّة ، وعلى المخلوق المراقبة والتَّفرُّج.

وهاتان قراءتان خاطئتان للدِّين ولمدرسة أَهل البيت عليهم السلام. **والحقُّ**: يكمن في (الأَمر بين الأَمرين) ؛ فلا جبر ولا تفويض.

والإِستنباط في أَبواب المعارف وفقه الفروع إِذا كان قائماً على أَحد هاتين القراءتين فسيرتطم المُسْتَنْبِط لا محالة إِمَّا بجانب الإِفراط ، وظنّ المسؤوليَّة بشكلٍ مُتطرِّف ، وإِمَّا بجانب التَّفريط وتواني عن المسؤوليَّة.

التنبيه الثَّالث عشر:

اِدعاء إِحاطة المخلوق بالذَّات المُقدَّسة غلوّ في معرفته

قد يقع المخلوق في الغُلُوِّ ، لكن لا من جهة المعرفة الإِلٰهيَّة وفي حقِّ الباري تعالىٰ ، وإِنَّما من جهة نفس من يَدَّعي المعرفة بالله تعالىٰ ، فيتوهَّم أَنَّ معرفته هذه تُحيط بكُنْه الذَّات الإِلٰهيَّة الأَزليَّة المُقدَّسة ، فغُلُوّه ليس في المخلوقات ، بل في معرفته المرتبطة به تقدَّس ذكره.

وهذا النحو من الغُلُوِّ ارتطمت به المُجسِّمة والمُشبِّهة ؛ فإِنَّهم ـ بالدِّقَّة ـ لم يُغالوا في المخلوقات ، وإِنَّما غالوا في أَنفسهم وفي معرفتهم ؛ وأَنَّ لديهم المُكْنَة مِنْ معرفة كُنْه الذَّات الإِلٰهيَّة المُقدَّسة.

التنبيه الرَّابع عشر:

أَخطر أَنواع الغُلُوّ والتَّقصير

إِنَّ أَخطر شيء يُصيب المخلوق على الإِطلاق أَن يحبس في أُفق فكره كُنْه الذَّات الإِلٰهيَّة الأَزليَّة المُقدَّسة ، بل وكُنْه التَّوحيد والنُّبوَّة والإِمامة الإِلٰهيَّة.

إِذَنْ: مَنْ يَدَّعي إِحاطة عقله أَو فكره أَو سائر طبقات حقيقته بكُنْهِ الذَّات الإِلٰهيَّة أَو بِكُنْه التَّوحيد أَو بِكُنْه النُّبوَّة أَو بكُنْه الإِمامة الإِلٰهيَّة ، بل وبِكُنْهِ الآيات الكُبرىٰ والمخلوقات العظمىٰ ، بل مَنْ يدَّعي بسبر فكره وبقراءته ومطالعته للمباحث الفكريَّة والمعرفيَّة أَنَّه أَحاط بكنهها وبتمام حقيقتها فقد اِرتكب شططاً ؛ وارتطم بالكفر والإِلحَاد الخفي ، ووقع في محذور الفرعونيَّة ، وصيَّر نفسه جبتاً وطاغوتاً تُعبد من دون الله تعالىٰ.

وإِلى هذا أَشارت بيانات الوحي ، منها :

ما تقدَّم من بيان القاعدة الوحيانيَّة المعرفيَّة العقليَّة الجزلة ، المُستفادة من بيانات الوحي المعرفيَّة العقليَّة ، وهي: «مَنْ وصف شيئاً بكُنْهه كان أَعظم من الموصوف».

وهذه القاعدة تنحلّ إِلى قاعدتين:

الأُولىٰ: «مَنْ وصف شيئاً بكُنْهه فقد أَحاط به».
الثَّانية: «مَنْ أَحاط بشيءٍ كان أَعظم من المُحاط».
بل وأَشارت إِليه بيانات العلوم العقليَّة ؛ فإِنَّها حاكمة باستحالة إِحاطة المعلول بعلَّته وإِنْ كانت ـ تلك العلَّة ـ واسطة فيض إِلٰهي.

التنبيه الخامس عشر:

اِعتقاد المخلوق بأَنَّ ما حواه حازه بنحو الِاستقلاليَّة نحو غلوّ

إِنَّ أَحد مصاديق غُلُوّ وتأليه المخلوق لنفسه: اِعتقاده ـ ولو كان ذلك الِاعتقاد بمقدار حبَّة من خردلٍ ـ بأَنَّ ما مُتِّع به من قوىٰ وقابليَّات وشؤون وأَحوال وفضائل وكمالات ومقامات علميَّة وغيرها حاز وحصل عليها من تلقاء نفسه ، وبنحو الِاستقلاليَّة.

التنبيه السَّادس عشر:

اِستحالة إِحاطة فعل اللّٰـه النَّازل بكُنْهِ فعل الله الصَّاعد

هناك قاعدة وضابطة معرفيَّة عقليَّة واردة في بيانات الوحي المعرفيَّة العقليَّة يجدر صرف النظر إِليها ، وهي: «أَنَّه لا يُمكن لفعل اللّٰـه النَّازل اِكتناه حقيقة فعل اللّٰـه الصَّاعد» ؛ وذلك للزوم عِدَّة محاذير ، منها: الغُلُوّ في حقِّ المخلوق النَّازل ، والتَّقصير في حقِّ المخلوق العالي.
وإِلى كُلّ هذا أَشارت بيانات الوحي ، منها:
بيانهم (صلوات اللّٰـه عليهم): «أَنَّ اللّٰـه تبارك وتعالىٰ لا يوصف ، ورسوله لا يوصف ، والمؤمن لا يوصف ، فَمَن احتمل حديثهم فقد حدَّهم ، وَمَنْ حدَّهم فقد وصفهم ، وَمَنْ وصفهم بكمالهم فقد أَحاط بهم ، وهو أَعلم منهم». بحار الأَنوار ، ٢: ١٩٣ـ ١٩٤/ ح٣٩. بصائر الدرجات ، ١: ب ١١ ، في أَئِمَّة آل مُحَمَّد ﷺ «حديثهم صعب مستصعب»: ٦٧ ـ ٦٨/ ح١٠٠ ـ ١٥.

← **التنبيه السَّابع عشر:**

الغُلُوّ والتَّقصير أَحدهما يستبطن الآخر

إِنَّ الثَّابت في علوم المعارف الإِلٰهيَّة: أَنَّ في كُلِّ غُلُوٍّ تقصيراً ، وفي كُلِّ تقصيرٍ غُلُوٌّ ، فيوجد في حاقِّ أَحد هما الآخر.

توضيحه ببيان رياضي ، حاصله: أَنَّه لو أُريد توزيع مادَّة معيَّنة على أَقسام ولتكن ثلاثة ، فلو فرض أَنَّ القسم الأَوَّل زيد في حصَّته وحصلت فيه زيادةً وغُلُوّاً ، فلازمه حصول نقص وتقصير في أَحد القسمين الآخرين أَو في كليهما.

وعلى هذا قس العكس ؛ فإِنَّه لو فُرِضَ أَنَّ القسم الأَوَّل أُنقص من مادَّته ، وحصل فيه نقص وتقصير فتلقائيّاً ستحصل زيادة وغلوّ في أَحد القسمين الآخرين أَو في كليهما.

ومعناه: أَنَّ كُلّ مُغالٍ مُقَصِّرٌ ، وكُلّ مُقصِّرٍ مُغال ، والنجاة في لزوم الجَادَّة الوسطىٰ غير المتناهية.

وعليه: فإِذا قَصَّرَ المخلوق في جهةٍ كما لو قصَّر في إِمامة أَهل البيت (صلوات اللّٰـه عليهم) فلابُدَّ أَنْ تدفع مقاماتهم إِلى طرفٍ آخر ؛ فصار غلوّاً ، كما فعل أَصحاب السقيفة وأَتباعهم ؛ فإِنَّهم حينما نفوا الإِمامة والعصمة وما شاكلهما من المقامات الإِلٰهيَّة عن أَهل البيت عليهم السلام حصل تقصير. لكنَّهم أَثبتوها لأَصحاب السقيفة والفقهاء الأَربعة فصار غلوّاً. وعلى هذا قس حال الصوفيَّة والعرفاء ؛ فإِنَّهم يسلبون بعض المقامات والخصوصيَّات الثابتة لأَهل البيت (صلوات اللّٰـه عليهم) ويثبتوها لآخرين.

التنبيه الثَّامن عشر:

معنىٰ (سُبُحَات الأَزَل) ←

وهيمنة مَنْ بايع سيِّد الأَنبياء ﷺ[1] من المسلمين في بيعة الحديبيَّة ـ بيعة

← إنَّ معنىٰ: (سُبُحَات الأَزَل) الواردة في المعارف الإِلٰهيَّة: تنزُّه الباري ـ المُسَمَّىٰ ـ (جلَّ قدسه) عن صفات المخلوقات ؛ كـ: الضعف والحدود.

التنبيه التَّاسع عشر:

المُراد من (الرؤية القلبيَّة)

يُقصد من (الرُّؤيا القلبيَّة) في بحوث المعارف: الإِدراكات العيانيَّة والعلم الحضوري.

التنبيه العشرون:

الإِكتشافات العلميَّة تزيد المُطَّلِع عليها رهبة لخالقه

إنَّ لهول عظمة الفعل الإِلٰهي من خلال الإِطِّلاع على ما توصَّلت إِليه إِكتشافات واختراعات العلم الحديث المذهلة في شتَّىٰ العلوم تَزيد المُطَّلِع عليها تعظيماً وهيبةً ورهبةً لخالقه سبحانه وتعالىٰ.

التنبيه الحادي والعشرون:

الخلقة والتَّقادير الإِلٰهيَّة تكلُّم من الخالق مع مخلوقاته

إنَّ في خلقة الباري وتقاديره تكلّم منه ﷻ على مدار السَّاعة مع مخلوقاته ، لكن الَّذي يَسمعها ويُبصرها ويَفهمها ويُترجمها كُمَّل المخلوقات.

وبالجملة: كُلُّ مخلوقٍ من مخلوقات الله تبارك وتعالىٰ ، وكُلُّ تقديرٍ إِلٰهيٍّ يُنبئ عن صفةٍ واسمٍ من الصِّفات والأَسمآء الإِلٰهيَّة العظيمة ، وحكمة من حكمه جلَّ وعلا المهولة ، وكمال من كمالاته جلَّت آلاؤه الخطيرة.

(١) ينبغي صرف النظر في المقام إِلى القضايا التَّالية :

القضيَّة الأُوْلَىٰ:

جملة من الحروف المُقَطَّعَة الواردة في القرآن الكريم مُشيرة إِلى مقامات سيِّد الأَنبياء ﷺ ←

إِنَّ ما ورد في بيان دعاء الإمام زين العابدين (صلوات اللّـه عليه) الوارد لبيان جملة من مقامات سيِّد الأَنبياء ﷺ الإلٰهيَّة: «... **وقُلْتَ جلَّ قولكَ له حين اختصصته بما سمَّيته من الأَسمآء: ﴿طٰه* مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى﴾** [طٰه: ١ـ٢] ، **وقلت عَزَّ قولكَ: ﴿يس * وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ﴾** [يس: ١ـ٢] ، **وقُلْتَ تقدَّست أَسمآؤك: ﴿ص وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ﴾** [ص: ١] ، **وَقُلْتَ عظمت آلاؤكَ: ﴿ق وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ﴾** [ق: ١] ، **فخصصته أَنْ جعلته قسمك حين أسميته ، وقرنت القرآن معه ؛ فما في كتابكَ من شاهد قسم والقرآن مردف به إِلَّا وهو اسمه ، وذلك شرف شرَّفته به ، وفضل بعثته إِليه ، تعجز الأَلسن والأَفهام عن علم وصف مرادك به ، وتكلُّ عن علم ثنائكَ عليه ، فقلتَ عزَّ جلالكَ في تأكيد الكتاب وقبول ما جاء فيه: ﴿هَذَا كِتَابُنَا يَنْطِقُ عَلَيْكُمْ بِالْحَقِّ﴾** [الجاثية: ٢٩] ، **وقلت عزَّيت وجلَّيت: ﴿مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ﴾** [الأَنعام: ٣٨] ، **وقلت تباركتَ وتعاليتَ في عامَّة ابتدائه: ﴿الر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ﴾** [يونس: ١] ، **﴿الر كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ﴾** [هود: ١] ، **﴿الر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ﴾** [يوسف: ١] ، **﴿المر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ﴾** [الرعد: ١] ، **﴿الر كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ﴾** [إبراهيم: ١] ، **﴿الر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ﴾** [الحجر: ١] ، و **﴿الم * ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ﴾** [البقرة: ١ـ٢] ، **وفي أَمثالها من السُّوَر والطواسين والحواميم في كُلِّ ذلك ثنَّيت بالكتاب مع القسم الَّذي هو اسم من اختصصته لوحيكَ ، واستودعته سرّ غيبكَ** ...». بحار الأَنوار ، ٨٨: ٨.

برهانٌ وحيانيٌّ دالٌّ على أَنَّ الحروف المُقَطَّعَة الواردة في بدايات سور القرآن الكريم إِذا أُردفت بلفظ (القرآن) أَو بلفظ (الكتاب) ؛ فتلك الحروف المُقَطَّعَة رموز معرفيَّة غيبيَّة مُشيرة لبعض أَسمآء سيِّد الأَنبياء ﷺ ، وجملة من مقاماته وشؤونه الغيبيَّة الملكوتيَّة ، وهي أَعظم شأناً ومقاماً إِلٰهيّاً ، وأَخطر هولاً من حقيقة القرآن الكريم ومقاماته الصَّاعدة مع عظمتها وهول خطرها ، بل أَسمآؤه تلك ومقاماته وشؤونه ﷺ تخرس الأَلسن عن وصفها ، والقلوب عن توهمها والفكر فيها ، ومن

ثَمَّ إذا كان القرآن الكريم وحقيقته ومقاماته الصَّاعدة لا يمسُّها ولا يصل إليها إلَّا المُطهَّرون ـ كما صرَّحت بذلك بيانات الوحي ـ فكيف بحقيقة سيِّد الأَنبياء ﷺ وبمقاماته وشؤونه الصَّاعدة.

وبالجملة: هذا البيان الوحيانيّ الشَّريف دالٌّ على أَنَّ حقيقة القرآن الكريم وجمله مقاماته تابعة لمفادات أَسمآء سيِّد الأَنبياء ﷺ ومقاماته وشؤونه الغيبيَّة الملكوتيَّة ؛ المُكنَّىٰ عنها بتلك الحروف المُقَطَّعَة.

ومعناه: أَنَّ ذات سيِّد الأَنبياء ﷺ أَشمخ وأَعظم هولاً وخطراً من حقيقة القرآن الكريم الصَّاعدة ، بل من قمم ذاته ﷺ تنحدر حقيقة القرآن الكريم الصَّاعدة ، فالتفت.

مَفَادُ هذا الدُّعاء نفس مفاد حديث الثقلين

ومفاد هذا البيان الوحيانيُّ الشَّريف نفس مفاد حديث الثقلين ، الوارد في بيان سيِّد الأَنبياء ﷺ: «**إِنِّي تارك فيكم الثقلين ، أَحدهما أَكبر من الآخر: كتاب اللّـه ؛ حبل ممدود من السَّمآء إلى الأَرض ، وعترتي أَهل بيتي ، وإِنَّهما لن يفترقا حتَّىٰ يردا عَلَيَّ الحوض**». بحار الأَنوار ، ٢٣: ١٣٦/ ح٧٦. إكمال الدِّين: ١٣٩.

فإِنَّه برهانٌ وحيانيٌّ دالٌّ على أَنَّه ﷺ مصدر للثقلين ولِاعتبارهما ، ومبدؤهما ومنتهاهما ، والمهيمن عليهما.

وهذه العقيدة هي ما عليه مدرسة أَهل البيت عليهم السلام.

مفاد بيان هذا الدُّعاء نفس مفادات بيانات بعض زياراته ﷺ وبيانات أُخرىٰ

ومفاده أَيضاً نفس مفاد ما ورد في بيان زيارته ﷺ: «**السَّلام على رسول اللّـه أَمين اللّـه وعلى وحيه وعزائم أَمره الخاتم لِـمَا سبق ، والفاتح لِـمَا استقبل والمهيمن على ذلك كلّه ورحمة اللّـه وبركاته ...**». بحار الأَنوار ، ٩٧: ١٤٨ ـ ١٤٩/ ح١٢. مصباح الكفعمي: ٢٧٤. مجمع البيان ، ٥: ١٧.

ونفس مفاد بيان قوله تعالىٰ: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ * فَمَنْ تَوَلَّىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ * أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ﴾ [آل عمران: ٨١ ـ ٨٣].

فإنَّه برهانٌ وحيانيٌّ دالٌّ على أَنَّ نبوَّة أَيِّ نبيٍّ كان لا يمكن حصولها والتمتُّع بها إلَّا بعد الإِقْرَار بسيِّد الأَنبياء ﷺ وبنبوَّته ورسالته ، وبعد تعظيمه والتَّوسُّل والتَّشفُّع به إلى ساحة القدس الإِلٰهيَّة ، ولم ينال نبيّ ولا رسول قَطُّ نبوَّة ولا رسالة إِلٰهيَّة إلَّا بعد وساطته ﷺ. بل ووساطة سائر أَهل البيت (صلوات اللّٰـه عليهم).

وَمِنْ كُلِّ هذا يتَّضح: مدىٰ الإِخْفَاق والقصور والتَّقصير الشنيع والغفلة الشَّاسعة الحاصلة في تعاريف كُتُب البشر المعرفيَّة ـ كالكلاميَّة والفقهيَّة والتَّفسيريَّة ـ لحقيقة النُّبوَّة والإِمامة الإِلٰهيَّة المُتمتِّع بها سيِّد الأَنبياء ﷺ ؛ فإِنَّه من يُلاحظ جملة تلك التَّعاريف فسيجدها ترسم لمقامه ﷺ دور ساعي بريد ؛ يقوم بتسليم الطَّرد البريدي المدفوع له من يد ساحة القدس الإِلٰهيَّة ، فهو حامل وحي ليس إِلَّا ، ومِنْ ثَمَّ قد يكون حامل وحي إِلى مَنْ هو أَعظم منه ، فحقيقة هذا الموقف تحمل في طيَّاتها مقولة ذاك القائل: «حسبنا كتاب اللّٰـه». بحار الأَنوار ، ٢٢: ٤٧٢ـ ٤٧٣/ ح٢١.

وعلى طرز هذا الإِعْتِرَاض هناك إِعْتِرَاض آخر ، وهو ما حصل في صلح الحديبيَّة ، وإِعْتِرَاض نفس قائلهم قبل ذلك على الصلح الَّذي أَجراه سيِّد الأَنبياء ﷺ مع المشركين بقوله: «... فعلام نعطي الدَّنِيَّة في ديننا ...» [بحار الأَنوار ، ٢: ٣٣٣] ؛ ومن ثَمَّ هاج سائر الصحابة على سيِّد الأَنبياء ﷺ إِلَّا أَمير المؤمنين (صلوات اللّٰـه عليه) ؛ فلذا أَخَذَ ﷺ عليهم البيعة مرَّة أُخرىٰ لتصحيح إِسلامهم وموالاتهم له ﷺ.

وهذه المقولة الخطيرة لازالت مُعشْعِشَة في ذوات أَجيال كثير من علماء المسلمين. وهذا يُعطي مُؤَشِّراً خطيراً على مدىٰ فظاعة القصور الشنيع في المعرفة به ﷺ.
وعلى هذا قس حال سائر الحقائق والمعارف الإِلٰهيَّة كالإِمامة والمعاد.
وَمِنْ ثَمَّ حصلت كثير من الشُّبُهات والإِشْكَالات والإِثارات والتساؤلات المعرفيَّة من قِبَلِ العلمانيِّين وَأَصحاب الفلسفات الغربيَّة وأَصحاب المِلَل والنِّحَل على المعارف الإِلٰهيَّة ، الواردة في أَبواب النُّبوَّة ، منها: أَنَّه ما دمتم ترسمون تعريفاً بهذا الشَّكْل للنَّبيّ فلا يكون لدين الإِسلام خلوداً أَبديّاً ومسار هداية للبشريَّة إِلى يوم القيامة.
وعلى هذا قس أَيضاً المعارف الإِلٰهيَّة الواردة في باب الإِمامة الإِلٰهيَّة والمعاد ، والمباني والمبتنيات الَّتي نُظِّرَت على صعيد الفقه السياسي الإِسلامي في عصر الغيبة الكُبرىٰ؛ فإِنَّها مُبْتَنِيَة على قصور معرفي.
مثاله: تفسير الإِمامة الإِلٰهيَّة بالرئاسة البشريَّة ببعدها السياسي ، وبالقيادة والإِدارة الظاهريَّة للمجتمعات البشريَّة ؛ فإِنَّه ينبعث منه شُبهات وإِشكالات وتساؤلات كثيرة أَيضاً حول غيبة الإِمام صاحب العصر والزمان ﷺ ، وأَين هو في ظلِّ هذه القرون المتمادية؟ بل لا معنىٰ للخلاف في الإِمام والخلافة الإِلٰهيَّة في عصر الغيبة ؛ لِاختصاصها بحضور الإِمامعليه السلام ووجوده الشَّريف المُعْلَن ، وإِلَّا فلا موضوع لهذا الخلاف ، ويكون من باب السَّالبة بانتفاء موضوعها ، وهكذا لا معنىٰ لتحكيم النَّصِّ الوحيانيّ في عصر الغيبة ما دمتم ترسمون تعريفاً للإِمامة الإِلٰهيَّة بهذا الشَّكْل.
وكُلّ ذلك وغيره يُدفع أَو يُرفع ، بل لا يُخَالِج الذِّهن والنَّفس لو اُسْتُقْصِي تعريف الإِمامة الإِلٰهيَّة من بيانات الوحي ؛ فإِنَّه سيتَّضح أَنَّ الإِمامة الإِلٰهيَّة ذات مواقع وشؤون تكوينيَّة وملكوتيَّة لا تنحصر ولا تقتصر على الإِدارة السياسيَّة المُعْلَنَة ، بل هناك أَنماط وأَنواع من الإِدارة الخفيَّة والملكوتيَّة والملكيَّة الأَرضيَّة ، والإِدارة المُعْلَنَة

والمكشوفة مع عظمتها ، لكنَّها أَدناها وأَبسطها ، بل الإِمامة الإِلٰهيَّة لا تقتصر على عَالَمَ الدُّنيا وعلى الثقلين ـ الجنِّ والإِنس ـ ، بل تشمل جملة عوالم الخلقة ومخلوقاتها غير المتناهية من بداية الخلقة والوجود إِلى ما لا نهاية له ما دام للّٰـه تعالىٰ حاجة في خلقه.

القضيَّة الثَّانية:

خطر نبوَّة سيِّد الأَنبياء صلى الله عليه وآله

إِنَّ أَعظم نبيّ أَبدىٰ لأُمَّته عناية ورعاية ورأفة ورحمة ليس هو إِلَّا نبيَّنا الأَعظم صلى الله عليه وآله ، وهذا نوع زيادة في التَّعَقُّل والخيريَّة.

ثُمَّ إِنَّ ما يقوم به ليس بمنحصر في هذه النشأة الأَرضيَّة ، بل قام به في العوالم السَّالفة ، كعَالَمَ الذَّرِّ والميثاق ، ويقوم به في العوالم اللَّاحقة ، كعَالَمَ: (البرزخ الصَّاعد) ، و(الرَّجعة) ، و(القيامة) ، و(الآخرة الأَبديَّة) ، وما بعدها.

فلا يزال صلى الله عليه وآله ـ وهو في عَالَمَ البرزخ الصَّاعد ـ مُشْرِفاً على ملفَّات وشؤون وأَحوال جملة المخلوقات وفي كافَّة العوالم يُراقبها ويُديرها بيده الكريمة ، بل وكذا حال سائر أَهل البيت (صلوات اللّٰـه عليهم) ، ومِنْ ثَمَّ ورد في روايات متواترة عند الفريقين: أَنَّ أَعمال الخلائق تُعْرَض عليه صلى الله عليه وآله ، بل وعلى سائر أَهل البيت عليهم السلام في كُلِّ يوم.

فلاحظ:

أَوَّلاً: بيان الإِمام الصَّادق عليه السلام ، عن أَبي بصير ، قال: «قلت له: إِنَّ أَبا الخطَّاب كان يقول: إِنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله تُعْرَض عليه أَعمال أُمَّته كُلّ خميس . فقال أَبو عبدالله عليه السلام: ليس هو هكذا ، ولكن رسول الله تُعرَضْ عليه أَعمال هذه الأُمَّة كُلّ صباح ، أَبرارها وفجَّارها ، فاحذروا ، وهو قول الله عزوجل: ﴿**وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ**﴾ [التوبة: ١٠٥]. بصائر الدرجات ، ٢: ٣١٨/ح١٥٠٦ـ٤.

ثانياً: بيان تفسيره عليه السلام أيضاً: «قوله: ﴿**وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ**﴾ قال: هم الأَئمَّة ، تُعْرَض عليهم أَعمال العباد كُلّ يوم إِلى يوم القيامة». بصائر الدرجات ، ٢: ٣٢٢ـ ٣٢٣./ ح١٥٢٢ـ٤.

ودلالته ـ كدلالة سابقه ـ قد اِتَّضحت ؛ فإِنَّ أَعمال العباد تُعْرَض عليه صلى الله عليه وآله وعلى سائر أَهل البيت عليهم السلام ليُراقبوها ويُديروها ؛ لأَجل أَن يُراعوها ويُزكُّوها ويُربُّوها عبر الدُّهور وعوالم المخلوقات غير المتناهية.

وهذا ما تُشير إِليه بيانات الوحي الأُخرىٰ ، منها:

بيان قوله تعالىٰ: ﴿**هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ**﴾ [الجمعة: ٢].

وتقريب الدلالة واضح ، فإِنَّه حيث عبَّر بيان الآية الكريمة بالفعل المضارع في المواضع الثلاثة ـ (يتلو) و(يُزكِّيهم) و(يُعلِّمهم) ـ دلَّ ذلك على الاستمرار والتَّجدُّد التأبيدي لتعليمه صلى الله عليه وآله لكافَّة العباد وتزكيتهم عبر جملة العوالم غير المُتناهية.

وَمِنْ كُلِّ ما تقدَّم يتّضح: الجمّ الغفير من طوائف بيانات الوحي ، منها :

الطائفة الأَولىٰ:

ويُمثِّلها :

أَوَّلاً: بيان سيِّد الأَنبياء منضمّاً إِليه بيان أَمير المؤمنين (صلوات اللّـه عليهما وعلى آلهما) : «... **أَيُّهَا النَّاس ، خذوها عن خاتم النَّبيِّين** صلى الله عليه وآله: «**إِنَّه يموت من مات مِنَّا وليس بميِّت ، ويبلىٰ مَنْ بلي مِنَّا وليس ببالٍ**» **فلا تقولوا بما لا تعرفون ، فإِنَّ أَكثر الحقّ فيما تنكرون ، واعذروا من لا حُجَّة لكم عليه ، وأَنا هو** ...». نهج البلاغة ، خ٨٦: ١٤٣.

ثانياً: بيان الإِمام الحسن المجتبىٰ منضمّاً إِليه بيان أَبي جعفر عليهما السلام ، قال: «جاء النَّاس إِلى الحسن بن عَلِيّ عليهما السلام ، فقالوا: أَرِنا من عجائب أَبيكَ الَّتي كان يرينا ! فقال:

→ **وتؤمنون بذلك؟** قالوا: نعم ، نؤمن والله بذلك. قال: **أَليس تعرفون أَبي؟** قالوا جميعاً: بل نعرفه. فرفع لهم جانب الستر فإذا أَمير المؤمنين عليه السلام قاعد ، فقال: **تعرفونه؟** قالوا بأَجمعهم: هذا أَمير المؤمنين عليه السلام ، ونشهد أَنَّكَ أَنتَ وليُّ الله حقّاً والإِمام من بعده ، ولقد أَريتنا أَمير المؤمنين عليه السلام بعد موته كما أَرىٰ أَبوكَ أَبا بكر رسول الله صلى الله عليه وآله في مسجد قُبا بعد موته ، فقال الحسين عليه السلام: **ويحكم أَما سمعتم قول الله** عز وجل: ﴿**وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَكِنْ لَا تَشْعُرُونَ**﴾ [البقرة: ١٥٤] ، **فإِذا كان هَذَا نزل فيمن يُقتل في سبيل الله ما تقولون فينا؟** قالوا: آمنا وصدَّقنا يا بن رسول الله». بحار الأَنوار ، ٤٣: ٣٢٨/ ح٨.

ودلالته ـ كدلالة سابقه ـ قد اتَّضحت.

الطائفة الثَّانية:

ويُمثِّلها :

١ـ بيان أَمير المؤمنين (صلوات اللّـه عليه): «... **وأنا ... الحُجَّة على أَهل السَّماوات والأَرضين وما فيهما وما بينهما ، وأَنا الَّذي احتجَّ الله به عليكم في ابتداء خلقكم ، وأَنا الشَّاهد يوم الدِّين ، وأَنا الَّذي علمت علم المنايا والبلايا والقضايا وفصل الخطاب والأَنساب ، واستحفظتُ آيات النَّبيِّين المستخفين المستحفظين ... وأَنا الَّذي أَهلكتُ عاداً وثموداً ، وأَصحاب الرسّ وقروناً بين ذلك كثيرة ، وأَنا الَّذي ذلَّلتُ الجبابرة ، وأَنا صاحب مَدْيَن ، ومُهلك فرعون ، ومنجي موسىٰ** عليه السلام...». مختصر البصائر: ١٣٠/ ح١٠٢ ـ ٢/ .

٢ـ بيان سيِّد الأَنبياء الوارد في حَقِّ أَمير المؤمنين (صلوات اللّـه عليهما وعلى آلهما): «**يا عَلِيّ ، كُنتَ مع الأَنبياء سرّاً ومعي جهراً**». الأَنوار النعمانيَّة ، ١: ٣٠. معارج العُلىٰ (مخطوط).

٣ـ بيان أَمير المؤمنين عليه السلام: «**كُنتُ مع الأَنبياء باطناً ، ومع رسول الله ظاهراً**»). مصباح الهداية: ١٤٢. ←

ودلالته ـ كدلالة سابقيه ـ قد اِتَّضحت ؛ من أَنَّ أَحوال أَمير المؤمنين ، بل وسائر أَهل البيت عليهم السلام وشؤونهم وصفاتهم وأَفعالهم تختلف سنخاً وحقيقة عن أَحوال وشؤون وصفات وأَفعال سائر المخلوقات وفي جملة العوالم الإِلٰهيَّة التكوينيَّة غير المتناهية ـ وقد تقدَّم وسيأتي (إِنْ شاء الله تعالىٰ) تفصيل ذلك فراجع ـ ؛ فيتصرَّفون (صلوات اللّٰـه عليهم) وهم في عَالَمهم ـ كعالم الدُّنيا الأُولىٰ ، أَو عَالَم البرزخ ـ بجملة العوالم ومخلوقاتها غير المتناهية ، ويُديرون أُمور تلك العوالم والمخلوقات ويُدبِّرون أُمورها وأَحوالها وشؤونها ، ويزكُّوها ويبثون فيها العلم والمعلومة الحقَّة ؛ فإِنَّ حقيقة العلم والمعلومة الحقَّة: أَنَّ المخلوق ليس فاعلاً له ولها ، بل مُتَقَبِّل له ولها ومُنفعل به وبها ، مبثوث ومبثوثة عليه من عوالم إِلٰهيَّة تكوينيَّة غيبيَّة صاعدة ، من مخلوقات إِلٰهيَّة مُقدَّسة في عوالم صاعدة ، وهي طبقات حقائق أَهل البيت عليهم السلام الصَّاعدة ، المشار إِليها في جَمّ غفير من بيانات الوحي المعرفيَّة ، منها:

١ـ بيان سيِّد الأَنبياء صلى الله عليه وآله: «**أَنَا مدينة العلم وَعَلِيّ بابها ، وقد أَوجب اللّٰـه على خلقه الاستكانة لِعَلِيّ** عليه السلام **بقوله: ﴿ادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةٌ نَغْفِرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ وَسَنَزِيدُ الْـمُحْسِنِينَ﴾** [البقرة: ٥٨]». بحار الأَنوار ، ٢٤: ٢٠٣.

٢ـ بيانه صلى الله عليه وآله أَيضاً: «**أَنَا مدينة العلم وَعَلِيّ بابها ، وَلَنْ يدخل المدينة إِلَّا من بابها ...**». بحار الأَنوار ، ٣١: ٤٣٦.

٣ـ بيانه صلى الله عليه وآله أَيضاً: «**أَنَا مدينة العلم وَعَلِيّ بابها ، فَمَنْ أَراد العلم فليأتِ الباب**». بحار الأَنوار ، ٣١: ٣٤/ ح١٨٩.

٤ـ بيانه صلى الله عليه وآله أَيضاً: «**أَنَا مدينة العلم وَعَلِيّ بابها ، فَمَنْ أَرَادَ العلم فليقتبسه مِنْ عَلِيٍّ**». بحار الأَنوار ، ٤٠: ٢٠٣/ ح٩. الإِرشاد ، المفيد: ١٥.

٥ـ بيانه صلى الله عليه وآله أَيضاً: «**يا عَلِيّ ، أَنَا مدينة الحكمة وَأَنت بابها ، وَلَنْ تُؤْتَىٰ المدينة إِلَّا مِنْ قِبَلِ الباب ...**». بحار الأَنوار ، ٢٣: ١٢٦/ ح٥٣. أَمالي الصدوق: ١٦٢. إِكمال الدِّين: ١٤٠.

٦ـ بيانه صلى الله عليه وآله أَيضاً: «**أَنَا مدينة العلم وَعَلِيّ بابها ، فَمَنْ أَراد الحكمة فليأتها من بابها ، وَأَنتم جميعاً مصطرخون فيما أُشكل عليكم من أُمور دينكم إِليه ، وهو مستغن عن**

← **كُلِّ أَحَدٍ منكم ؛ إلى ماله من السَّوابق الَّتي ليست لأَفضلكم عند نفسه ...**». بحار الأَنوار ، ٢٨: ١٩٩/ ح٦.

٧ـ بيانه ﷺ أَيضاً: «... **يَا عَلِيّ ، أَنا مدينة الحكمة وَأَنْتَ بابها ، فَمَنْ أَتَىٰ المدينة من الباب وصل ، يا عَلِيّ أَنتَ بابي الَّذي أُوتىٰ منه ، وَأَنا باب اللّـه ، فَمَنْ أَتاني من سواك لم يصل ، ومَنْ أَتىٰ سواي لم يصل** ...». بحار الأَنوار ، ٤٠: ٢٠٤.

٨ ـ بيانه ﷺ أَيضاً: «**أَنا مدينة الفقه وَعَلِيّ بابها**». تذكرة خواص الأَئمَّة: ٢٩. اللآلي المصنوعة ، ١: ٣٢٩. طبعة بيروت.

ودلالة الجميع قد اِتَّضحت أَيضاً ؛ فإِنَّ أَهل البيت الأَطهار عليهم السلام لَـمَّا كانت طبقات حقائقهم الصَّاعدة وتتبعها طبقاتها المتوسطة والنَّازلة هي: نظام عَالَم الوجود على الإِطلاق ، ووسائط الفيض الإِلٰهيّ في قوس النزول ، والوسيلة الإِلٰهيَّة الحصريَّة في قوس الصعود والنزول ، وجنب اللّـه ووجهه (جلَّ شأنه) ؛ والسَّبيل والسَّبب والباب والحجاب والرِّباط الإِلٰهيّ الفارد والأَدنىٰ في قوس الصعود والنزول بين الخالق ـ المُسَمَّىٰ ـ (جلَّ وعلا) وكافَّة العوالم وسائر المخلوقات بقضِّها وقضيضها على الإِطلاق قاطبة ؛ فلا ينزل فيضٍ ـ كالعلم والحكمة والفقه ـ من ساحة القدس الإِلٰهيَّة ولو كان بمقدار مثقال ذرَّةٍ إِلَّا عن سبيلها ، وحيث إِنَّ طبقات حقيقة سيِّد الأَنبياء ﷺ الصَّاعدة وتتبعها طبقاتها المتوسطة والنَّازلة مُتقدِّمة على سائر طبقات حقائق سائر أَهل البيت عليهم السلام نابها الأَكبر وسنامها الأَطول ، وهامتها الأَعظم ، ورأس هرمها ، والأَلصق بالذَّات الإِلٰهيَّة الأَزليَّة المُقدَّسة على الإِطلاق ، أبد الآباد ودهر الدُّهور كانت طبقات حقيقته ﷺ: الظهور والتَّجلِّي الأَعظم على الإِطلاق لحقيقة علم الذَّات الإِلٰهيَّة المُقدَّسة وحكمته وفقهه (جلَّ قدسه) ، فصارت ذاته وحقيقته ﷺ مدينة الوحي والعلم والفقه الإِلٰهيّ ، والحكمة الإِلٰهيَّة ، ونظام لا يختل ولا يتبدَّل ولا يتخلَّف ولا يختلف أَبداً ، وبحور زاخرة لا تنزف ، وكنوز لا تفند ، وجبال شامخة لا تُقْهَر ، الكالّ عن نعتها أَفهام النَّاعتين ، والعاجز عن وصفها لسان الواصفين. وحيث إِنَّ طبقات حقيقة أَمير المؤمنين (صلوات اللّـه عليه)التَّالية والأَلصق بها على الإِطلاق كان كُلُّ ما يرد من خيرٍ ووحيٍ إِلٰهيٍّ ، وعلومٍ وحِكَمٍ ←

إِلٰهيَّةٍ وفقهٍ إِلٰهيٍّ لجملة العوالم ولطُرٍّ المخلوقات ، وعبر كافَّة النَّشَآت ؛ من بداية الخلقة وعبر سالف الأَزمان وغابر الدُّهور إِلى أَبد الآباد ودهر الدهور ما دام للّـه حاجة في خلقه لا يكون إِلَّا عن طريق باب فارد أَوحد: طبقات حقيقة أَمير المؤمنين (صلوات اللّـه عليه)ليس إِلَّا ، مفاتيح أَبواب الكرم ، ومجاديع هواطل النعم ، مَنْ أَتاها عرف من أَين تؤكل الكتف ، ومَنْ تخلَّفَ عنها كَمَنْ يتعلَّق بنسيج العنكبوت للعروج إِلى أَسباب السَّماوات!!

وهذا ما يشير إِليه بيان سيِّد الأَنبياء صلى الله عليه وآله: «**لو يعلم النَّاس متىٰ سُمِّيَ عَلِيّ أَمير المؤمنين لَـمَا أَنكروا فضائله ، سُمِّيَ بذلك وآدم بين الرُّوح والجسد ، وحين قال اللّـه: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ﴾ [الأَعراف: ١٧٢] فقال اللّـه تعالىٰ: أَنَا رَبّكم ، وَمحمَّد نَبِيُّكم ، وَعَلِيّ أَميركم**» [بحار الأَنوار ، ٢٦: ٢٧٨/ ح٢٠] ، منضمّاً إِليه بيان أَبي جعفر عليه السلام ، عن عبد المؤمن الأَنصاري ، قال: «قلتُ له: لِمَ سُمِّيَ أَمير المؤمنين (صلوات اللّـه عليه) أمير المؤمنين؟ قال: **لأَنَّ ميرة المؤمنين منه ، وهو كان يميرهم العلم**» [بحار الأَنوار ، ٣٧: ٢٩٥/ ح١١. بصائر الدرجات: ١٤٩] ، وبيانه عليه السلام أَيضاً ، عن جابر ، قال: «قلتُ: جُعِلْتُ فداك ، لِمَ سُمِّيَ أَمير المؤمنين أَمير المؤمنين؟ قال: **لأَنَّه يميرهم العلم ، أَمَا سمعتَ كتاب اللّـه عزّ وجلّ: ﴿وَنَمِيرُ أَهْلَنَا﴾** [يوسف: ٦٥]». بحار الأَنوار ، ٣٧: ٢٩٣/ ح٧. معاني الأَخبار: ٦٣. علل الشرائع: ٦٥. البرهان: ٢٥٨.

فإِنَّ البيان الأَوَّل دالٌّ على أَنَّ أَمير المؤمنين (صلوات اللّـه عليه) تمتَّع بهذا المقام الإِلٰهيّ وهو في عَالَمَ الذَّرِّ والميثاق ، والبيان الثَّاني والثَّالث دالَّان على أَنَّ دور هذا المقام علَّة فاعليَّة لإِمارة العلم وإِفاضته وتزويد المخلوقات به ، وحيث إِنَّ المقام والهبة الإِلٰهيَّة أَمر تكوينيّ يُفعَّل لدىٰ المخلوق من حين تمتُّعه به كان أَمير المؤمنين (صلوات اللّـه عليه) هو العلَّة الفاعليَّة لإِمارة المخلوقات وتزويدها بالعلم والمعرفة في العوالم السَّابقة ، كـ: عَالَمَ: الذَّرِّ والميثاق ، والبرزخ النَّازل ، والأَصلاب ، والأَرحام.

ويُشير إلى هذه القضيَّة في عَالَم الأَصلاب بيانه (صلوات اللّـه عليه): «... **وأَنا الخضر عَالَمَ موسىٰ ، وأَنَا مُعَلِّم سليمان بن داود** ...». بحار الأَنوار ، ٢٦: ٥/ ح١.

جملة علوم طُرّ المخلوقات وفي كافَّة العوالم لا تكون إِلاَّ مِنْ أَمير المؤمنين عليه السلام

وممَّا تقدَّم يتَّضح: الجمّ الغفير من بيانات الوحي ، منها :

أَوَّلاً: بيان أَمير المؤمنين عليه السلام ، مخاطباً كميل بن زياد: «**يا كميل ، ما مِنْ علم إِلَّا وأَنا أفتحه** ...». بحار الأَنوار ، ٧٤: ٢٦٦ ـ ٢٧٧/ ح١. بشارة المصطفى: ٢٩.

ثانياً: بيانه عليه السلام أَيضاً: «**علم ما كان وما يكون كُلّه في القرآن الكريم ، وعلم القرآن كُلّه في سورة الفاتحة ، وعلم الفاتحة كُلّه في البسملة منها ، وعلم البسملة كلّها في بائها ، وأَنَا النقطة تحت الباء**». مشارق أَنوار اليقين: ٢٥.

ثالثاً: بيان الإِمام الباقر عليه السلام: «... **ليس أَحَد عنده علم شيءٍ إِلَّا خرج من عند أَمير المؤمنين** عليه السلام **؛ فليذهب النَّاس حيث شاءوا ، فواللّـه ليأتين الأَمر هٰهنا**. وَأَشار بيده إلى صدره». بحار الأَنوار ، ٢: ٩٤/ ح٣٤. بصائر الدرجات ، ١: ٤٦/ ح٥٥.

رابعاً: بيانه عليه السلام أَيضاً: «**أَمَا إِنَّه ليس عند أَحَدٍ علم وَلَا حَقّ وَلَا فتيا إِلَّا شيء أُخذ عن عَلِيّ بن أَبي طالب** عليه السلام ، **وَعَنّا أَهل البيت ، وما مِنْ قضاءٍ يُقْضَىٰ بِهِ بحقٍّ وصوابٍ إِلَّا بدء ذلك ومفتاحه وسببه وعلمه مِنْ عَلِيٍّ** عليه السلام **وَمِنّا. فإِذا اختلف عليهم أَمرهم قاسوا وعملوا بالرأي ، وكان الخطأ مِنْ قِبَلهم إِذا قاسوا ، وكان الصَّواب إِذا اتَّبعوا الآثار من قِبَلِ عَلِيّ** عليه السلام». بحار الأَنوار ، ٢: ٩٥/ ح٣٦.

خامساً: بيانه عليه السلام أَيضاً: «**كُلُّ ما لم يخرج من هذا البيت فهو باطل**». مختصر البصائر: ١٩٨/ ح١٧٩ ـ ٢٠.

سادساً: بيان الإِمام الصَّادق عليه السلام: «... **أعلم ما في المشرق والمغرب ، وَمَا في السَّماوات والأَرض ، وَمَا في البرِّ والبحر وعدد ما فيهنَّ ، وليس ذلك لإِبليس وَلَا لملك الموت**». بحار الأَنوار ، ٦٣: ٢٧٥ ـ ٢٧٦/ ح١٦٣. دلائل الإِمامة: ١٢٥.

سابعاً: بيانه عليه السلام أَيضاً: «... **فكُلُّ علم خرج إِلى أَهل السَّماوات والأَرض فمنَّا وعنَّا** ...». بحار الأَنوار ، ٢٥: ٢٤/ ح٤١.

ودلالتها قد اِتَّضحت أَيضاً ، فإنَّه إِضافة إِلى إِطلاقها وما تقدَّم بيانه دالَّة بقرينة ما تقدَّم أَنَّه لا يوجد علمٌ ولا حقٌّ ولا فتيا ولا صوابٌ من بداية الخلقة إِلى ما لا نهاية ، لدىٰ كُلّ العوالم وجميع المخلوقات إِلَّا وكان أَمير المؤمنين وسائر أَهل البيت (صلوات اللّٰـه عليهم) هم العلل الفاعليَّة لها ؛ لكون طبقات حقائقهم عليهم السلام الصَّاعدة هي الصِّفات والأَسمآء الإِلٰهيَّة ، كـ: الاسم الإِلٰهيّ: (الوهاب ، والعليم ، والهادي ، والمغني ، والنَّافع ، والنُّور ، والوارث ، والرشيد) ، ووسائط الفيض الإِلٰهيَّة ، والعلل التَّكوينيَّة الفاعليَّة الإِلٰهيَّة ، والأَسباب الإِلٰهيَّة التَّكوينيَّة ، يُفاض من خلالها كُلّ خيرٍ وعلمٍ وحكمةٍ وحقٍّ وفتيا وصوابٍ ؛ على طُرِّ العوالم وجملة المخلوقات من بداية الخلقة والوجود إِلى ما لا نهاية ، في هذه النَّشْأة وفي سائر النَّشَآت.

ومنه يتَّضح: ما تقدَّم من بيان أَمير المؤمنين عليه السلام: «... **وأَنا النقطة تحت الباء**» ، أَي: (باء الِاسْتِعَانَة) ؛ فعلم ما كان وما يكون كلّه موجود في القرآن الكريم ، وعلم القرآن كلّه في سورة الفاتحة ، وعلم الفاتحة كلّه في البسملة منها ، وعلم البسملة كُلّه في بائها ، وأَمير المؤمنين هو: (باء الِاسْتِعَانَة) ، أَي: أَنَّه عليه السلام هو: النقطة والمحور والوسيلة والباب الَّذي لا يمكن لأَحدٍ قَطُّ ـ سواء أَكان نبيّاً مرسلاً أَم ملكاً مُقرَّباً أَم مؤمناً ممتحناً ـ في جملة العوالم والنَّشَآت اِحْتِوَاء خيرٍ ووحيٍّ وعلمٍ وحكمةٍ وحقٍّ وفتيا حقَّةٍ وصوابٍ وهلمَّ جرّاً إِلَّا بعد التَّوسُّل والتَّشَبُّث والِاسْتِعَانَة بطبقات حقيقته ؛ وطبقات حقائق سائر أَهل البيت صلوات اللّٰـه عليهم ، وإِلَّا فشطط كلام وشطح مقال ، شعر المخلوق بذلك أَم لا.

وحي القرآن لا يكون إِلاَّ من طبقات حقائق أَهل البيت عليهم السلام

وحي القرآن شُعاع من بحور وحي حقائق أَهل البيت عليهم السلام

ومنه يتَّضح: أَنَّ ما يأتي به جبرئيل عليه السلام من وحي لا يكون إِلَّا بتوسُّط طبقات حقيقة سيِّد الأَنبياء صلى الله عليه وآله المتوسطة ؛ لأَنَّها المنبع ، وبتوسط طبقات حقيقة أَمير

المؤمنين وسائر أَهل البيت (صلوات اللّـه عليهم) المتوسُّطة أَيضاً ؛ لأَنَّها باب ذلك المنبع المُقدَّس الكريم الشَّريف.

بل الوحي الصَّاعدة ـ وحي (روح القدس) حقيقة القرآن الكريم الصَّاعدة ـ لا يكون منبعه إِلَّا الطَّبقات الصَّاعدة لذات حقيقة سيِّد الأَنبياءﷺ ، وباب إِفاضته ونزوله على مراتب طبقات ذات سيِّد الأَنبياء ﷺ المُتوسِّطة لا يكون إِلَّا طبقات حقائق ذات أَمير المؤمنين وسائر أَهل البيتعليهم السلام الصَّاعدة.

بل وحي القرآن الكريم بطبقته الصَّاعدة ـ أَي: طبقة (روح القدس) و(الروح الأَمري) ـ فضلاً عن النَّازلة لا يكون إِلَّا شيء يسير وشعاع نازل من أَشعَّة نور وبحور وحي ذوات وحقائق أَهل البيت (صلوات اللّـه عليهم) الطمطامة المُتلاطمة وغير المُتناهية أَبد الآباد ودهر الدُّهور.

وهذا ما تُشير إِليه بيانات الوحي ، منها :

بيان الإِمام الحسن العسكري (صلوات اللّـه عليه): «**قد صعدنا ذرىٰ** [الذُّرىٰ: جمع (الذُّرْوَة) ، وهو: العلو والمكان المرتفع. وأَعلىٰ الشيء وقمَّته] **الحقائق بأَقدام النُّبوَّة والولاية ، ونوَّرنا** [في نُسخة: (ونوَّرنا سبع طبقات النُّبوَّة والهداية). وفي أُخرىٰ: (سبع طبقات أَعلام الفتوَّة والهداية)] **سبع طبقات أَعلام الفتوىٰ بالهداية ، فنحن ... غيوث الندىٰ ... وروح القدس في جنان الصَّاقورة** [في نسخة: (الصَّاغورة)] **ذاق من حدائقنا الباكورة...**». بحار الأَنوار ، ٢٦: ٢٦٤ـ ٢٦٥/ ح٥٠.

ودلالته قد اِتَّضحت ؛ فإِنَّه بعدما تقدَّم وسيأتي (إِنْ شاء الله تعالىٰ) من أَنَّ حقائق أَهل البيت (صلوات اللّـه عليهم) الصَّاعدة هي: وسائط الفيض الإِلٰهيّ الحصريَّة الفاردة ، والوسيلة الإِلٰهيَّة التَّكوينيَّة الحصريَّة ، ووجه اللّـه ، والسَّبيل والسَّبب والباب والحجاب والرباط الإِلٰهيّ التَّكويني الحصري والأَدنىٰ بين الخالق ـ المُسَمَّىٰ ـ (جلَّ وتقدَّس) ، وكافَّة العوالم وسائر المخلوقات غير المتناهية وسيأتي (إِنْ شاء الله تعالىٰ) ، وتقدَّم أَيضاً: أَنَّ طبقات حقائقهم (صلوات اللّـه عليهم) الصَّاعدة

→ هي: الأَسمآء والصِّفات الإِلٰهيَّة ذاتيَّة كانت أَم فعليَّة ، وتقدَّم كذلك: أَنَّ نفس القرآن الكريم وصف حقيقته ووحيه بصيغة الماضي (أَوحينا) الدَّالَّة على المحدوديَّة والتناهي ، ووصف حقيقة ووحي ذات سيِّد الأَنبياء وبالتَّبع سائر أَهل البيت (صلوات اللّٰـه عليهم) في أَكثر من بيانٍ بصيغة المضارع (يوحىٰ) الدَّالَّة على الاستمرار والتجدُّد التأبيدي ، يتَّضح ويتجلَّىٰ هذا البيان الشَّريف أَكثر ، لاسيما عجزه ؛ فإِنَّ المراد من بيان قوله عليه السلام: «وروح القدس» أَي: حقيقة القرآن الكريم الصَّاعدة ، والمُعبَّر عنها في بيانات الوحي الأُخرىٰ بـ: (الرُّوح الأَمري) ، وهو شُعْبَة من شُعَب أَرواح أَهل البيت عليهم السلام ، وشريحة صغيرة من أَرواحهم المُقدَّسة ، ومرتبة هذه الرُّوح في السَّمآء الرَّابعة أَو الثَّالثة ـ على اختلاف التَّفاسير ـ ، موجودة في جنَّة أسمها: (الصَّاقورة) على وزن فاعولة ، مأخوذة من مادَّة الصغر ـ هذا بالقياس إِلى جنان وحدائق وحي ومعارف حقائق أَهل البيت (صلوات اللّٰـه عليهم) الأُخرىٰ الصَّاعدة ـ وفي هذه الجنَّة يأخذ روح القدس ـ أَي: حقيقة القرآن الكريم الصَّاعدة ـ وحيه ومعارفه من حدائق وبحور حقائق أَهل البيت عليهم السلام الطمطامة غير المتناهية ، لكن: كُلّ ذلك الوحي الشَّريف وتلك المعارف الإِلٰهيَّة الَّتي حوتها حقيقة القرآن الكريم الصَّاعدة لم تتعدَّ مقام الذوق ، أَي: شيء محدود وقليل جِدّاً بلحاظ ما عند أَهل البيت عليهم السلام من وحيٍّ غير متناهي ، وكميَّة الذوق ونوعيَّته كانت بمقدار الباكورة ، أَي: من ثمار بحور معارف ووحي حقائق أَهل البيت عليهم السلام غير المتناهي ؛ لكن في بداية نضوجها ، وهذا دالٌّ على مدىٰ عظمت وخطر وهول ما تحويه حقائق أَهل البيت عليهم السلام من وحي ومعارف إِلٰهيَّة .

إِذَنْ: حقيقة القرآن الكريم ووحيه ومعارفه وإِنْ كانت بنفسها وبلحاظ ما تحتها غير متناهية وعظيمة ومهولة جِدّاً ، لكنَّها إِذا قيست إِلى ما فوقها ؛ أَي: إِلى حقائق وحي ومعارف أَهل البيت عليهم السلام الصَّاعدة كانت شعاعاً ضعيفاً ونازلاً من أَشعَّة نور ←

وبحور وحيهم ومعارفهم وحقائقهم (صلوات اللّـه عليهم) الطمطامة المتلاطمة غير المتناهية أبداً وأزلاً.

وهذه قاعدة عظيمة جِدّاً لفهم معضلات أَحوال وشؤون أَهل البيت صلوات اللّـه عليهم. فالتفت، وتدبَّر جيِّداً، واغتنم.

وعليه: فوحي القرآن الكريم ـ سوآء أَكان الوحي النَّازل عن طريق جبرئل عليه السلام، أَو الوحي الصَّاعدة عن طريق (روح القدس) ـ من سيِّد الأَنبياء صلى الله عليه وآله؛ لكونه صلى الله عليه وآله قمَّة الهرم، إِلى سيِّد الأَنبياء صلى الله عليه وآله. فتأَمَّل جيداً.

وهذه وغيرها نكات بكر ما فُضَّت من قبل قَطُّ، خذها واغتنم، وعظ عليها بضرس قاطع تربت يداك.

أَهل البيت عليهم السلام مُعلِّمون إِلهيُّون لجملة الخلائق وفي كافَّة العوالم

وهكذا تتَّضح: بيانات الوحي الشَّريفة الأُخرىٰ، منها:

أَوَّلاً: بيان سيِّد الأَنبياء صلى الله عليه وآله: «... **إِنَّ اللّـه تعالىٰ خلقني وخلق عليّاً عليه السلام قبل أَنْ يخلق آدم ... ثُمَّ خلق الملائكة فسبَّحنا وسبَّحَت الملائكة، فهلَّلنا فهلَّلت الملائكة، وكبَّرنا فكبَّرت الملائكة، وكان ذلك بتعليمي وتعليم عَلِيّ، وكان ذلك في علم اللّـه السَّابق: أَنَّ الملائكة تتعلَّم مِنَّا التَّسبيح والتَّهليل، وكلّ شيءٍ يُسَبِّح للّـه ويُكبِّره ويُهلِّله بتعليمي، وتعليم عَلِيّ ...**». بحار الأَنوار، ٢٦: ٣٤٥ـ ٣٤٦/ ح١٨. إِرشاد القلوب: ٢١٥ ـ ٢١٦.

ثانياً: بيانه صلى الله عليه وآله أَيضاً: «... **إِنَّ اللّـه خلقني وعليّاً من نورٍ واحدٍ قبل خلق آدم ... ثُمَّ خلق الأَشياء من نوري ونور عَلِيّ عليه السلام ... فَكُلّ مَنْ سَبَّحَ اللّـه وكبَّره فإِنَّ ذلك من تعليم عَلِيّ عليه السلام**». بحار الأَنوار، ٢٥: ٢٤/ ح٤٢.

→ **ثالثاً**: بيان الإمام الصَّادق عليه السلام: «... **لم نزل أَنواراً حول العرش نُسَبِّح فيُسَبِّح أَهل السَّمآء لتسبيحنا ، فَلَمَّا نزلنا إِلى الأَرض سَبَّحْنا فَسَبَّحَ أَهل الأَرض ، فَكُلُّ علمٍ خرج إِلى أَهل السَّماوات والأَرض فَمِنَّا وَعَنَّا** ...». بحار الأَنوار ، ٢٥: ٢٤/ ح٤١.
ودلالتها قد اِتَّضحت ، فإِنَّ طبقات حقائق أَهل البيت عليهم السلام الصَّاعدة لَـمَّا كانت هي واسطة الفيض الإِلٰهيّ الفاردة ، وجنب اللّٰـه ووجهه الكريم ، والوسيلة الإِلٰهيَّة الوحيدة ، والسَّبيل والسَّبب والباب والحجاب والرباط الإِلٰهيّ الأَدنىٰ الحصري بين الخالق ـ المُسَمَّىٰ ـ (تبارك وتعالىٰ) وجملة العوالم وسائر المخلوقات ، فكلّ ما كان يصدر إِلى الملائكة وينزل عليها وعلى سائر المخلوقات من ساحة القدس الإِلٰهيَّة مهول وخطير وعظيم كان ذلك الشيء النَّازل أَم كان بمقدار حبَّةٍ من خردلٍ، لا يكون إِلَّا عن طريق حقائق أَهل البيت عليهم السلام ، فيكونوا (صلوات اللّٰـه عليهم) بلحاظ العلم وسائر المعارف الإِلٰهيَّة مُعلِّمين إِلٰهيِّين لكافَّة الملائكة وجملة بقيَّة المخلوقات ؛ في سائر العوالم والنَّشَآت ، من بداية الخلقة إِلى مالا نهاية.
وهذه من المطالب الَّتي لم يتعرَّض إِليها أَصحاب علم الكلام والفلسفة والعرفان ، بل تعريفهم لماهيَّة وحقيقة النُّبوَّة والإِمامة الإِلٰهيَّتين دالٌّ على اِنْقِطَاعهما بمُجَرَّد اِلتِحَاق سيِّد الأَنبياء وسائر أَهل البيت (صلوات اللّٰـه عليهم) بالرفيق الأَعلىٰ وانتقالهم لعَالَمَ البرزخ الصَّاعدة مع أَنَّ بيانات الوحي البالغة حدّ التواتر اللَّفظي والعقلي ، بل فوقهما صارخة بأَنَّهم (صلوات اللّٰـه عليهم) لازالوا يتمتَّعون بحياةٍ غَضَّةٍ طريَّةٍ ؛ يمارسون من خلالها نفس الأَدوار والأَعمال السَّابقة من تعليم الأُمَّة ورعايتها وتربيتها وتزكيتها ، بل وتعليم الكُفَّار والمشركين والمُلْحِدِين ورعايتهم وتربيتهم وتزكيتهم مادام هناك خطّاً وطريقاً للعودة إِلى جادَّة الحقّ وصراط الله المُستقيم ، والَّتي أُخذت عليهم العهود والمواثيق في العوالم السَّابقة كعَالَمَ الذَّرّ والميثاق للبقاء عليه وعدم الزيغ والانحراف عن جادته. ←

وهذه الأَدوار الَّتي يقومون عليهم السلام بها تبقىٰ مستمرَّة في عَالَم البرزخ وعَالَم الرَّجعة وعَالَم القيامة وعَالَم الآخرة الأَبديَّة بِجِنَانه ونِيرَانه ؛ وفي العوالم الآتية بعد عَالَم الآخرة الأَبديَّة.

بل أَنَّهم (صلوات اللّٰـه عليهم) قاموا بهذه الأَعمال والأَدوار من بداية الخلقة والوجود قبل خِلقة آدم عليه السلام.

فانظر: بيانات الوحي ، منها :

بيان الإِمام الصَّادق عليه السلام ، عن المُفضَّل ، قال: «قال لي أَبو عبد الله عليه السلام: **يا مُفضّل ، أَمَا علمتَ أَنَّ الله تبارك وتعالىٰ بعث رسول الله صلى الله عليه وآله وهو روح إِلى الأَنبياء عليهم السلام وهم أَرواح قبل خلق آدم بأَلفي عام؟** قلتُ: بلىٰ. قال: **أَمَا علمتَ أَنَّه دعاهم إِلى توحيد الله وطاعته واتباع أَمره ووعدهم الجنَّة على ذلك ، وأَوعد مَنْ خالف ما أَجابوا إِليه وأَنكره النَّار؟** فقلتُ بلىٰ ...». بحار الأَنوار ، ١٥: ١٤/ ح١٧.

ودلالته واضحة ولا غبار عليها.

وَمِنْ كُلّ ما تقدَّم يتَّضح: أَنَّ جلَّ الإِشكالات المثارة على النُّبوَّة والإِمامة الإِلٰهيَّة ناشئة من قصور تعاريف الفريقين لهما.

وكُلُّ ما تقدَّم منبِّه على مدىٰ سعة حقيقة النُّبوَّة والإِمامة الإِلٰهيَّة.

القضيَّة الثَّالثة:

الإِتِّصال بين سيِّد الأَنبياء صلى الله عليه وآله والإِمام الحُجَّة ابن الحسن عجل الله تعالى فرجه الشريف

اِتَّضح مِمَّا سبق: أَنَّه لا زال سيِّد الأَنبياء صلى الله عليه وآله يُبلِّغ عن الله عز وجل الإِمام الحجَّة ابن الحسن عجل الله تعالى فرجه الشريف.

وهذه هي السَّفارة الإِلٰهيَّة والسبب المُتصَّل بين الأَرض والسَّمآء.

القضيَّة الرَّابعة:

اِدراك نخب البشر لِلَمسات الإِمام الحُجَّة ابن الحسن عجل الله تعالى فرجه الشريف الطَّافحة

← يقرُّ لباب ونخب البشر ، وذوي القوىٰ والشأن والنفوذ ـ بغضِّ النَّظر عن إيمانهم وتديّنهم ـ ويذعنون بوجود صاحب العصر والزمان عجل الله فرجه الشريف ، وبلمساته الطَّافحة ، ويدركون وجود يد غيبيَّة ولاعب دولي هو الَّذي يُحرِّك جملة السَّاحة الدوليَّة.

القضيَّة الخامسة:

هول وعظمة حقيقة سيِّد الأَنبياء صلى الله عليه وآله ودولته

قد تسأل وتقول: إنَّه لماذا لم يُكتفَ بنبوَّة سيِّد الأَنبياء صلى الله عليه وآله ورسالته عن نبوَّات سائر الأَنبياء والمرسلين عليهم السلام ورسالاتهم الإلٰهيَّة بعدما كان ما عنده صلى الله عليه وآله ما عندهم عليهم السلام وزيادة؟

فلاحظ: بيانات الوحي المعرفيَّة ، منها:

بيان أَمير المؤمنين (صلوات اللّٰه عليه): «... **ما أَعطىٰ اللّٰه سبحانه نبيّاً درجة ولا مرسلاً فضيلة إلَّا وقد جمعها لمُحمَّدٍ** صلى الله عليه وآله ، **وزاد مُحمَّد** صلى الله عليه وآله **على الأَنبياء أَضعافاً مضاعفة** ...». بحار الأَنوار ، ١٠ : ٢٨/ ح١.

ودلالته واضحة.

بل ذاته صلى الله عليه وآله بحر وحي زَخَّار لا نهاية له أَبداً.

فانظر: بيانات الوحي ، منها:

بيان قوله عزَّ قوله: ﴿**وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ * مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ * وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ**﴾ [النجم: ١ـ٤].

بتقريب: أَنَّ مرجع ضمير (هو) في هذا البيان الشَّريف ـ وبقرينة السياق ـ نفس مرجعه في الآيتين المتقدِّمتين ـ (صاحبكم) ، (وما غوىٰ) ، (وما ينطق) ـ ، وهو: (ذات سيِّد الأَنبياء صلى الله عليه وآله) ، وحيث وُصِفَت في بيان هذه الآية الأَخيرة بصيغة الفعل المضارع (يوحىٰ) المفيد للتجدُّد والاستمرار التأبيدي دلَّ على أَنَّها كتلة بحر وحي زخَّار لا تنتهي أَبداً. ولم توصف ذات مخلوق في بيانات الوحي البتَّة بهذه الصِّفة ، ←

← بل نفس القرآن الكريم عبَّرَ عن ذاته في بياناته الكريمة بصيغة الفعل الماضي: (أَوحينا).

فلاحظ:

بيان قوله تعالىٰ: ﴿وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ هُوَ الْحَقُّ﴾ [فاطر: ٣١]. ودلالته واضحة.

بل ولِمَ لم يُكتفَ بالقرآن الكريم عن سائر الكُتُب السَّماويَّة ؛ بعد ما كان واجداً لجملة ما فيها وزيادة ، ومُهيمنا عليها؟

فانظر:

بيان قوله عزّ ذكره: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ﴾ [المائدة: ٤٨].

بتقريب: أَنَّ هذا البيان الشَّريف يشير إلى موقعية القرآن الكريم ؛ فبعدما ذُكِرَ في بيانات الآيات السَّابقة على هذا البيان: الكُتُب السَّماويَّة النَّازلة على الأَنبياء السَّابقين أُشير في هذا البيان إلى موقعية القرآن الكريم من تلك الكُتُب ، فقوله تقدَّست أَسماؤه: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ﴾ يعني: القرآن الكريم ، وقوله عظمت آلاؤه: ﴿مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ يعني: جنس الكُتُب السَّماويَّة ، وقوله جلَّ ثناؤه: ﴿مُهَيْمِنًا عَلَيْهِ﴾ يعني: القرآن الكريم مهيمناً على تلك الكُتُب السَّماويَّة.

وبالجملة: لِمَ لَمْ يُكتفَ بسيِّد الأَنبياء ﷺ وكتابه الكريم عن سائر الأَنبياء عليهم السلام وكُتُبهم السَّماويَّة ؛ بإيصَال بيانات الوحي الإلٰهي لجملة المخلوقات ؛ بعدما كان لديه ﷺ ولدىٰ كتابه ما لديهم عليهم السلام ولدىٰ كُتُبهم ، بل وزيادة غير متناهية؟

قلتُ: إِنَّ لدىٰ سيِّد الأَنبياء ﷺ أُموراً مهولةً وخطيرةً جِدّاً لا طاقة لمخلوق قَطُّ ، ولا قابليَّة لأَحَدٍّ ما تحمُّلها ، كحال القرآن الكريم ؛ فإنَّ فيه تبياناً لكلِّ شيءٍ.

فانظر: بيانات الوحي ، منها:

بيان قوله تعالىٰ ذكره: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ﴾ [النحل: ٨٩]. ←

وعلومه غير متناهية. ←

فلاحظ: بيانات الوحي الأُخرىٰ ، منها :

أَوَّلاً: بيان قوله تبارك وتعالىٰ: ﴿**وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِن بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ**﴾ [لقمان: ٢٧].

ثانياً: بيان تفسير الإمام الصَّادق (صلوات اللّٰـه عليه) ، عن أَبي بصير ، قال: «... قلتُ: قوله: ﴿**قُل لَّوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا**﴾ [الكهف: ١٠٩] قال: **قد أخبرك أَنَّ كلام الله ليس له آخر ولا غاية ولا ينقطع أَبداً** ...». بحار الأَنوار ، ٤: ١٥١/ ح٢.

ودلالته ـ كدلالة سابقه ـ واضحة.

فاقتضت الضرورة الإِلٰهيَّة إلى طاقم من كُمَّل المخلوقات ـ أَنبياء وأَوصياء وأَصفياء ـ وكُتُبٍ سماويَّةٍ تُمهِّد وتهيِّئ ؛ وتجعل للمخلوقات قابليَّة واستعداد لتلقِّي بعض تلك العلوم والمعارف الإِلٰهيَّة وتَقَبُّلها ، فَبُعِثَ الرُّسل والأَنبياء السَّابقين وأُنزلت كُتُبهم السَّماويَّة.

بل بعض علومها وعلوم سائر أَهل البيت الأَطهار عليهم السلام مع كُلِّ ما بُذلت من جهود جبَّارة لا زالت إلى الآن لا طاقة لمخلوق قَطُّ ـ سوآء كان ملكاً مُقرَّباً أَم نبيّاً مرسلاً أَم عبداً امتحن اللّٰـه قلبه للإِيمان أَم غيرهم ـ ، ولا قابلية ولا استعداد لتحمُّلها.

فانظر: بيانات الوحى ، منها:

١ـ إِطلاق بيان الإِمام الصَّادق عليه السلام ، عن أَبي الصَّامت ، قال: «**إِنَّ حديثنا صعب مُستصعب ، شريف كريم ، ذكوان ذكي وعر ، لا يحتمله مَلَك مُقَرَّب ، ولا نَبِيٌّ مرسل ، ولا مؤمن مُمتحن** ، قلتُ: فَمَنْ يحتمله جعلتُ فداك ؟! قال: **مَنْ شئنا يا أَبا الصَّامت**. قال أَبو الصَّامت: فظننتُ أَنَّ للّٰـه عباداً هم أَفضل من هؤلاء الثلاثة». بحار الأَنوار ، ٢: ١٩٢/ ح٢٤. ←

٢ـ إطلاق بيانه عليه السلام، عن أَبي الصَّامت أَيضاً، قال: «**إِنَّ من حديثنا ما لا يحتمله مَلَك مُقَرَّب، ولا نبيٌّ مرسل، ولا عبد مؤمن**. قلتُ: فمَنْ يحتمله ؟! قال: **نحن**». بحار الأَنوار، ٢: ١٩٣/ ح٢٦.

ودلالتهما واضحة.

وعلى هذا قس سائر شؤون سيِّد الأَنبياء صلى الله عليه وآله وسؤدده وفضائله وكمالاته فإِنَّها فوق طاقة وقابليَّة جملة المخلوقات، ولا يمكن لمخلوق قَطُّ تحمُّلها.

وما استعرضته بيانات القرآن الكريم من كمالات كُمَّل المخلوقات ـ الأَنبياء والأَوصياء والأَصفياء عليهم السلام ـ ما هو إِلَّا شرح لشخصيَّة سيِّد الأَنبياء صلى الله عليه وآله وسائر أَهل البيت الأَطهار عليهم السلام؛ فإِنَّهم القمَّة ورأس هرم الفضائل والكمالات ومجاميعها، وهي لا تظهر إِلَّا بهذه التَّفاصيل والأَدوار.

فلاحظ: بيانات الوحي، منها:

١ـ بيان الإِمام الباقر عليه السلام: «... **بل فينا ضرب الله الأَمثال في القرآن، فنحن القرىٰ الَّتي بارك الله فيها** ...». بحار الأَنوار، ٢٤: ٢٣٢ ـ ٢٣٣/ ح١٧٨.

٢ـ بيان الإِمام الصَّادق عليه السلام: «**إِنَّ اللّٰـه جعل ولايتنا أَهل البيت قطب القرآن؛ وقطب جميع الكُتُب، عليها يستدير مُحكم القرآن، وبها يوهب الكُتُب، ويستبين الإِيمان، وقد أَمر رسول الله صلى الله عليه وآله أَنْ يُقتدىٰ بالقرآن وآل مُحَمَّد؛ وذلك حيث قال في آخر خطبة خطبها: إِنِّي تارك فيكم الثقلين: الثقل الأَكبر والثقل الأَصغر؛ فأَمَّا الأَكبر فكتاب ربِّي، وأَمَّا الأَصغر فعترتي أَهل بيتي فاحفظوني فيهما، فلن تضلوا ما تمسَّكتُم بهما**». بحار الأَنوار، ٨٩: ٧/ ح٢٩. تفسير العياشي، ١: ٥.

ودلالته ـ كدلالة سابقه ـ واضحة.

القضيَّة السَّادسة:

توقُّف قبول الأَعمال والعبادات على فيض شفاعة سيِّد الأَنبياء صلى الله عليه وآله وسائر أَهل البيت عليهم السلام

إنَّ ما ورد في بيان قوله تعالىٰ: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ﴾ أي: لاذوا واستعاذوا بك إلى اللّـه ﴿فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا﴾ [النساء: ٦٤] برهانٌ وحيانيٌّ عظيم جِدّاً ، وخطاب إلٰهيّ معرفيّ قرآنيّ ـ كسائر الخطابات والبيانات الوحيانيَّة المعرفيَّة والقرآنيَّة ـ شاملة لجملة عوالم عَالَمَ الإمكان وكافَّة مخلوقاتها ، منها: سائر الأَنبياء والمرسلين والملائكة المُقرَّبين عليهم السلام ؛ فجبرائيل عليه السلام ـ مثلاً ـ وإن كان معصوماً ولا يرتكب معصية لكنَّه يمكن أَنْ يرتكب ترك أَولىٰ ـ وإن كان عالي الشَّفافيَّة ـ ، وارتكابه لا يُنافي العصمة ، لكن لو ارتكبه وأَراد التَّخلُّص من تبعاته فعليه التَّوجُّه أَوَّلاً بسيِّد الأَنبياء صلى الله عليه وآله وسائر أَهل البيت (صلوات اللّـه عليهم) ثُمَّ التَّوجُّه إلى ساحة القدس الإلٰهيَّة.

ومعناه: أَنَّ جملة أَعمال العباد ـ منها: الاستغفار ؛ فإنَّه من الأَعمال والعبادات العظمىٰ ـ لا تُرفع إلى ساحة القدس الإلٰهيَّة ولا تُقبل إلَّا بشفاعة سيِّد الأَنبياء وسائر أَهل البيت (صلوات اللّـه عليهم) ، فالخضوع والخشوع للّـه تعالىٰ لا يُقبل البتَّة ـ بنص هذا البيان الوحياني الشَّريف ـ إذا لم يُسكب عليه فيض شفاعة سيِّد الأَنبياء وسائر أَهل البيت عليهم السلام ، وهكذا رحمة اللّـه ممنوعة من دون شفاعته وشفاعتهم (صلوات اللّـه عليهم).

القضيَّة السَّابعة:

إجماع الأُمَّة على استشهاد سيِّد الأَنبياء صلى الله عليه وآله بالسُّمِّ

إنَّه أَجمع الفريقين على أَنَّ سيِّد الأَنبياء صلى الله عليه وآله مات مسموماً شهيداً ، لكن وقع الخلاف بينهما في مَنْ ارتكب تلك الفاجعة.

القضيَّة الثَّامنة:

غضب أَهل البيت عليهم السلام غضب إلٰهي

إنَّ غضب سيِّد الأَنبياء وسائر أَهل البيت (صلوات اللّـه عليهم) لا يكون إلَّا وحيانيّاً ، ومُنزَّهون عن الغضب العقلي فضلاً عن الغضب النَّفسي ، مع أَنَّ الثابت في بيانات الوحي أَنَّ غضب النَّبي موسىٰ عليه السلام غضبٌ عقليٌّ.

فانظر:

بيان قوله تعالىٰ: ﴿وَلَمَّا سَكَتَ عَن مُّوسَى الْغَضَبُ﴾ [الأعراف: ١٥٤].

فإنَّ بيان الآية الكريمة لم يُعبِّر عن غضبه عليه السلام بلفظ (سكن)، وهو تعبير عن الغضب النَّفسي، بل عبَّر عنه بلفظ (سكت)، وهو تعبير عن الغضب العقلي.

القضيَّة التَّاسعة:

أَهل البيت عليهم السلام أَبرز مصاديق عنوان (أُولي الأَمر)

إنَّ عنوان: (أُولي وأَصحاب الأَمر) الوارد في بيانات الوحي، منها: بيان قوله تقدَّست أَسماؤه: ﴿يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ لِيُنذِرَ يَوْمَ التَّلَاقِ﴾ [غافر: ١٥] وإِنْ كان شاملاً للأَنبياء والمرسلين عليهم السلام لكنَّه يشمل بالمرتبة الأُولىٰ سيِّد الأَنبياء وسائر أَهل البيت (صلوات اللّٰه عليهم)؛ لأَنَّهم أَجلىٰ مَنْ تجلَّىٰ فيهم أَمر الله ـ المُسَمَّىٰ ـ تعالىٰ ذكره، وأَجلىٰ تجلِّيات الذَّات الإِلٰهيَّة الأَزليَّة المُقدَّسة في نزول آمريَّته (تقدَّس ذكره) ومشيئته وربوبيَّته؛ ولأَنَّهم أَعبد ما خُلِقَ كانوا أَشف قناة على الإِطلاق توصِل أَوامر الله ومشيئته إِلى كافة المخلوقات وفي جملة العوالم غير المتناهية، ومن ثَمَّ كانوا أَولياء النعم الإِلٰهيَّة.

القضيَّة العاشرة:

(عَالَم الأَمر) أَحد عوالم الأَجسام اللطيفة

إنَّ المستفاد من كثير من بيانات الوحي العقليَّة: أَنَّ عَالَم الأَمر من عوالم الأَجسام اللَّطيفة ـ أَي: من عالم الأَرواح ـ ومن ثَمَّ بيان قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَن يَقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾ [يس: ٨٢] دالٌّ ـ من خلال (فاء) التفريع ـ على أَنَّ لعَالَم الأَمر حركة تدريجيَّة، فيكون من عَالَم الأَجسام، بل الثَّابت في بيانات الوحي العقليَّة الأُخرىٰ المستفيضة: أَنَّ فوق عَالَم الأَمر عوالم جسمانيَّة أَلطف.

نعم ، لَـمَّا لم يُمكن لآليَّات وقوىٰ المخلوقات النَّازلة درك أَجسامها وحركتها التدريجيَّة اللطيفة ظنَّتها مُجرَّدة تجرُّداً تامّاً عن الجسميَّة ، وحسبت حركتها دفعيَّة ، والحال أَنَّها مُجرَّدة تجرُّداً نسبيّاً بالقياس إِلى ما دونها.

ولتعقُّل ذلك لاحظ: قوىٰ وطاقات عَالَمنا هذا ـ كالليزر والانفجارات النوويَّة ـ ، فحينما تراها تحسب حركتها دفعيَّة ، مع أَنَّها بالدِّقَّة تدريجيَّة ؛ فإِذا كان هذا هو حال ادراكنا لقوىٰ وطاقات عَالَمنا الغليظ هذا فكيف بِكَ بالعوالم الجسمانيَّة اللطيفة الصَّاعدة ؛ فالمشكلة تكمن في ضعف قوى وآليَّات وامكانيَّات وطاقات أَبداننا الرصديَّة الدُّنيويَّة الأَرضيَّة.

القضيَّة الحادية عشرة:

حقائق مُطلق المخلوقات على مراتب وطبقات إِلى ما شآء اللّٰـه تعالى

إِنَّ ما ورد في بيان قوله تعالىٰ: ﴿وَيَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى﴾ [مريم: ٧٦] برهانٌ وحيانيٌّ دالٌّ على أَنَّ حقيقة الهداية والعصمة والإِصطفاء على مراتب ودرجات غير متناهية.

وعلى هذا قس كافَّة الفضائل والكمالات وكُلّ خيرٍ ، بل والصِّفات والأَسمآء الإِلٰهيَّة فعليَّة كانت أَم ذاتيَّة ؛ فإِنَّها على مراتب وطبقات غير متناهية ، فهناك اسم عظيم ، واسم أَعظم ، واسم الأَعظم الأَعظم ، واسم الأَعظم الأَعظم الأَعظم ، وهلمَّ جرّاً.

وعلى ضدِّه قس مطلق الرذائل والنقائص والشرور ؛ فإِنَّها على دركات غير متناهية أَيضاً.

فانظر: بيانات الوحى ، منها:

بيان قوله تقدَّس ذكره: ﴿قَالَ قَرِينُهُ رَبَّنَا مَا أَطْغَيْتُهُ وَلَكِن كَانَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ﴾ [ق: ٢٧] .

فإِنَّه برهانٌ وحيانيٌّ أَيضاً دالٌّ على أَنَّ حقيقة الضلال على دركات غير متناهية.

الرضوان ـ ومِنْ ثَمَّ فلا تحتاج إلى تأويلٍ ؛ وحملٍ على معانيها المجازيَّة.

← **القضيَّة الثَّانية عشرة:**

العلم اللدنِّي وعلم التأويل مرتبطان بالإمامة والحاكميَّة الإلٰهيَّة

إنَّ ما ورد في بيانات سورة الكهف (٦٠ ـ ٨٢) المُقتصَّة لِـمَا حَدَثَ بين النَّبيّ موسىٰ والخضر عليهما السلام براهين وحيانيَّة دالَّة بوضوح على أَنَّ العلم اللدنِّي وعلم التَّأويل مرتبطان بالإمامة والخلافة والحاكميَّة الإلٰهيَّة ، يحصل من خلالهما تدبير وإدارة نظام البشريَّة ، بل مُطلق المخلوقات وفي كافَّة العوالم غير المتناهية.

القضيَّة الثَّالثة عشر:

الَّذي يعلم تأويل القرآن اللّـه ﷻ ومَنْ ز وِّد بالعلم اللدنِّي وعلم التَّأويل

إنَّ (الواو) الدَّاخلة على كلمة (الراسخون) والواردة في بيانٍ قوله تعالىٰ: ﴿**وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا**﴾ [آل عمران: ٧] فسَّرها بعض مُفسِّري المدارس الإسلاميّة الأُخرىٰ ـ كالرازي في تفسيره: (٢: ٤) بـ: الاستئنافيَّة ، فيكون معنىٰ الآية الكريمة: أَنَّ الَّذي يعلم تأويل القرآن الكريم ليس هو إلَّا الله تبارك وتعالى ، أَمَّا الراسخون في العلم فلا يعلمون به ، ويقولون ﴿**آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا**﴾ ، يعني: نُؤمن بالمحكم والمتشابه.

والحقّ: أَنَّها عاطفة ، لعدَّة أَدلَّة ، منها: ما ورد في بيانات سورة الكهف الحاكية لقضيَّة النَّبيّ موسىٰ والخضر عليهما السلام ، والدَّالَّة على أَنَّ لكُلِّ شريعةٍ علم تأويل يُزوِّد به الباري جلَّ شأنه ثُلَّة من الأَصفياء يتمكَّنون من خلاله إقامة تلك الشَّريعة على وفق مراداته جلّ جلاله ومراضيه ، ومن ثَمَّ يكون معنىٰ بيان الآية الكريمة: أَنَّ الَّذي يعلم تأويل القرآن الكريم: اللّـه ﷻ ومَنْ زُوِّدَ بالعلم اللدنِّي وعلم التَّأويل وهم أَهل البيت (صلوات اللّـه عليهم).

خروج في الجملة عن صلب الموضوع

المخلوقات الإلهيَّة المهولة الخطيرة حقائق أَهل البيت عليهم السلام الصَّاعدة

وهذه الغايات: جواهر ، وموجودات تكوينيَّة خطيرة ، ومخلوقات مهولة في عوالم صاعدة ، منها: عَالَم الأَسماء والصِّفات الإِلٰهيَّة[1] ، وهي:

---

(١) يجدر صرف النَّظر في المقام إِلى القضايا التَّالية :

القضيَّة الأُوْلَىٰ:

لمبحث الأَسمآء والصِّفات الإِلٰهيَّة بالغ التَّأثير في المعرفة الإِلٰهيَّة

إِنَّ مبحث الأَسمآء والصِّفات الإِلٰهيَّة مبحث حسَّاس جِدّاً ، وله بالغ التَّأثير في المعرفة الإِلٰهيَّة.

القضيَّة الثَّانية:

مع خطورة الأَسمآء والصِّفات الإِلٰهيَّة لكنَّها لَـخَّصَها الوحي بحرف (اللام)

إِنَّ علم الأَسمآء والصِّفات الإِلٰهيَّة علم جَمّ وعظيم ومهول وخطير جِدّاً ، ومع كُلّ هذا كدَّسه بيان قوله تعالىٰ: ﴿**وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ**﴾ [الأَعراف: ١٨٠] ولَـخَّصَه في حرف (اللام) الدَّاخلة على لفظ الجلالة (اللّـه).

القضيَّة الثَّالثة:

تجرُّد عوالم المخلوقات الصَّاعدة عن الجسميَّة دون الإِمكان

إِنَّ عَالَم الأَسمآء والصِّفات الإِلٰهيَّة ، وعَالَم الكلمات والحُجُب الإِلٰهيَّة ، وعَالَم بحور النُّور عوالم مُجرَّدة تجرُّداً تامّاً عن الجسم والجسميَّة والرُّوح ، لكنَّها ليست مُجرَّدة عن أَحكام عَالَم الإِمكان.

القضيَّة الرَّابعة:

←

تعدُّد آراء المدارس المعرفيَّة البشريَّة في الصِّفات الإلٰهيَّة

هناك مذاهب في الصِّفات الإلٰهيَّة مُتعدِّدة ، منها:

١ـ إنَّ الصِّفَات الإلٰهيَّة تنوب عن الذَّات الإلٰهيَّة الأَزليَّة المُقدَّسة.

٢ـ إنَّ الذَّات الإلٰهيَّة (والعياذ باللّـه تعالىٰ) خلو من الصِّفات والكمال ، وجوفاء ومفتقرة ، نعم تفعل أَفاعيل تنوب عن الصِّفات والكمال ، فالذَّات المُقدَّسة ليست عالمة ولا قادرة ولا حيَّة وهلمَّ جرّاً ، لكنَّها تفعل فعل العَالَم والقادر والحي. وهذا ما ذهبت إليه الأَشاعرة وبعض المعتزلة ومتكلِّمي الجمهور.

٣ـ إنَّ الصِّفات الإلٰهيَّة الذَّاتيَّة (والعياذ باللّـه تعالىٰ) عين الذَّات الإلٰهيَّة المُقدَّسة تحقُّقاً. وهذا ما ذهب إليه مُتكلِّمي الإماميَّة.

٤ـ إنَّ مُطلق الصِّفات الإلٰهيَّة ذاتيَّة كانت أَم فعليَّة آيات ومخلوقات إلٰهيَّة حاكية عن كمال الذَّات الإلٰهيَّة المُقدَّسة ، ومِنْ ثَمَّ الصِّفات الإلٰهيَّة الذَّاتيَّة عين الذَّات المُقدَّسة لكن حكاية. وهذا ما ذهب إليه أَهل المعرفة ، وهو المختار والمُطابق لبيانات الوحي.

القضيَّة الخامسة:

صعوبة التَّفسير العقلي لِاشْتِقَاق الأَسمآء والصِّفات الإلٰهيَّة

إنَّ التَّفسير العقلي لمبحث اِشْتِقَاق الأَسمآء والصِّفات الإلٰهيَّة صعب جِدّاً.

القضيَّة السَّادسة:

محذور التَّبعيض في الأَسمآء والصِّفات الإلٰهيَّة

إنَّ التَّبعيض في الأَسمآء والصِّفات الإلٰهيَّة يؤدِّي لا محالة إلى ثنويَّة وشرك خفي فيها.

القضيَّة السَّابعة:

تعدُّد طبقات الصِّفات والأَسمآء والأَفعال الإِلٰهيَّة طولاً وعرضاً

إِنَّ الصِّفات والأَسمآء والأَفعال الإِلٰهيَّة على طبقات ومقامات مُتعدِّدة ، بعضها مُتَرَتِّبة طولاً ، وبعضها الآخر مُتَرَتِّبة عرضاً.

وهذه قضيَّة مُهمَّة ؛ فإِنَّه من الأُمور الخطيرة والبالغة الأَهميَّة والثمرة: أَنْ لا يغفل الباحث في أَبواب المعارف عن أَنَّ الصِّفات والأَسمآء والأَفعال الإِلٰهيَّة ليست على طبقةٍ ومقامٍ فاردٍ ، بل على طبقات ومقامات ، فهناك طبقة ومقام الذَّات الإِلٰهيَّة الأَزليَّة المُقدَّسة ، وهناك طبقة ومقام الصِّفات والأَسمآء الإِلٰهيَّة ، وهناك طبقة ومقام الأَفعال الإِلٰهيَّة.

ثُمَّ إِنَّ الأَفعال الإِلٰهيَّة كالصِّفات والأَسمآء الإِلٰهيَّة على طبقات ومقامات أَيضاً بعضها طوليَّة والآخر عرضية.

ومنه يتَّضح: أَنَّ بعض عناوين الصِّفات والأَسمآء الإِلٰهيَّة مشتركات لفظيَّة.

مثاله: صفة العلم الإِلٰهي ، فإِنَّها تارة تطلق ويُراد منها: صفة ذاتيَّة ، وأُخرىٰ تُطلق ويُرَاد منها صفة فعليَّة.

فانظر: بيانات الوحي الواردة في النحو الأَوَّل ، منها :

١ـ بيان قوله تعالىٰ: ﴿فَلَا يَحْزُنْكَ قَوْلُهُمْ إِنَّا نَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾ [يس: ٧٦].

٢ـ بيان الإِمام الصَّادق عليه السلام: «**إِنَّ اللّٰه علم لا جهل فيه** ...». بحار الأَنوار ، ٤: ٨٤/ح١٦.

٣ـ بيانه عليه السلام أَيضاً: «... والعلم ذاته ولا معلوم ...». بحار الأَنوار ، ٤: ٦٨/ح١٢.

ودلالته ـ كدلالة سابقيه ـ واضحة على أَنَّ صفة (العلم الإِلٰهيّ) من الصِّفات الإِلٰهيَّة الذَّاتيَّة.

← **ولاحظ**: بياناته الواردة في النَّحو الثَّاني، منها:
أَوَّلاً: بيان قوله تقدَّس ذكره: ﴿عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَخْتَانُونَ أَنْفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ﴾ [البقرة: ١٨٧].
ثانياً: بيان قوله جلَّ قدسه: ﴿ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ لِنَعْلَمَ أَيُّ الْحِزْبَيْنِ أَحْصَى لِمَا لَبِثُوا أَمَدًا﴾ [الكهف: ١٢].

ودلالته ـ كدلالة سابقه ـ واضحة أَيضاً، فإنَّه دالّ على أَنَّ صفة (العلم الإِلٰهيّ) من الصِّفات الإِلٰهيَّة الفعليَّة، ومن ثُمَّ أُسندت إِلى الذَّات الإِلٰهيَّة الأَزليَّة المُقدَّسة في مقام الفعل الإِلٰهي.

وعلى هذا قس صفة: (القيوميَّة)، و(الأَحديَّة)، و(الواحديَّة) الإِلٰهيَّة؛ فإِنَّها تارة تكون صفات إِلٰهيَّة ذاتيَّة، وأُخرىٰ صفات إِلٰهيَّة فعليَّة.

ومنه يتَّضح: خلط المُشبِّهة والمُجَسِّمَة وَمَنْ شَاكلهم بين الصِّفَتَين، فإِنَّهم حملوا كثير من بيانات الوحي، منها:

١ـ بيان قوله تقدَّست أَسمآؤه: ﴿يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾ [الفتح: ١٠].

٢ـ بيانه عظمت آلاؤه: ﴿وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي﴾ [طٰه: ٣٩].

٣ـ بيانه جلَّ قوله: ﴿أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتَا عَلَى مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ﴾ [الزمر: ٥٦] ـ على أَنَّها صفات إِلٰهيَّة ذاتيَّة، مع أَنَّها صفات إِلٰهيَّة فعليَّة، كما هو واضح.

القضيَّة الثَّامنة:

التَّقارن بين قداسة الذَّات المُقدَّسة والأَسمآء والصِّفات الإِلٰهيَّة

إِنَّ ما ورد في بيانات الوحي، منها:

١ـ بيان قوله تعالىٰ: ﴿سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾ [الأَعلى: ١].

٢ـ بيان قوله جلَّ قوله: ﴿وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ [الرحمن: ٢٧] براهين وحيانيَّة مُقنِّنة لضابطة وقاعدة وحيانيَّة ومعرفيَّة، وهي: «أَنَّه كما أَنَّ ←

التَّسبيح والتَّعظيم التَّمجيد والتَّقديس ثابتة للذَّات الإِلٰهيَّة الأَزليَّة المُقدَّسة ثابتة أَيضاً للأَسماء الإِلٰهيَّة الحسنىٰ ؛ طبقات حقائق أَهل البيت عليهم السلام الصَّاعدة ، مع أَنَّها مخلوقة».

فانظر: بيانات الوحي ، منها :

أَوَّلاً: بيان أَمير المؤمنين (صلوات اللّـه عليه): «... **نحن الاسم المخزون المكنون ، نحن الأَسمآء الحسنىٰ الَّتي إِذا سُئِلَ اللّـه عزوجل بها أَجاب** ...». بحار الأَنوار ، ٢٧: ٢٨/ح٥.

ثانياً: بيانه عليه السلام أَيضاً: «... **وأَنا أَسماء اللّـه الحسنىٰ** ...». بحار الأَنوار ، ٥٣: ٤٦ ـ ٤٩/ح٢٠.

الثَّالثة: بيانه عليه السلام أَيضاً: «... **أَنا الأَسمآء الحسنىٰ الَّتي أَمر أَنْ يُدعىٰ بها** ...». مشارق أَنوار اليقين: ٢٦٩.

رابعاً: بيان الإِمام الباقر عليه السلام: «... عرفنا مَنْ عرفنا ، وجهلنا مَنْ جهلنا ، نحن الأَسمآء الحسنىٰ الَّتي لا يقبل اللّـه من العباد عملاً إِلَّا بمعرفتنا ...». بحار الأَنوار ، ٢٥: ٤ـ٥/ح٧. المحتضر: ١٢٩.

خامساً: بيان الإِمام الصَّادق عليه السلام: «نحن واللّـه الأَسمآء الحسنىٰ الَّذي لا يُقبل من أَحَدٍ إِلَّا بمعرفتنا ، قال: ﴿**فَادْعُوهُ بِهَا**﴾ [الأَعراف: ١٨٠]. بحار الأَنوار ، ٩١: ٦/ح٧. تفسير العيَّاشي: ، ٢: ٤٢.

سادساً: بيان الإِمام الرِّضا عليه السلام: «إِذا نزلت بكم شِدَّة فاستعينوا بنا على اللّـه ، وهو قول اللّـه: ﴿**وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا**﴾ [الأَعراف: ١٨٠]. بحار الأَنوار ، ٩١: ٥ـ٦/ح٧. تفسير العيَّاشي ، ٢: ٤٢.

ودلالة الجميع واضحة.

ومعنىٰ ما تقدَّم من بيان القاعدة المعرفيَّة: أَنَّ تنزيه وتعظيم وتقديس الأَسمآء والصِّفات الإِلٰهيَّة ـ طبقات حقائق أَهل البيت عليهم السلام الصَّاعدة ـ تَوطِئة لتنزيه وتعظيم وتقديس الذَّات الإِلٰهيَّة المقدَّسة.

وعليه: فمن لم يُعظِّم خلقة اللّـه في مخلوقاته لا سيما المُكرَّمة منها ، رأس هرمها أَهل البيت (صلوات اللّـه عليهم) لم يُعظِّمه تقدَّس ذكره.

وإلى كُلِّ ما تقدَّم أَراد أَنْ يُشير أَمير المؤمنين (صلوات اللّـه عليه) في ما فعله لأَهل الكوفة في خِضَمِّ تلك الأَحداث العصيبة ، بعد أَنْ صلَّىٰ بهم أَربعين صباحاً يقرؤ فيها سُورة الأَعلىٰ: ﴿**سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى * الذِي خَلَقَ فَسَوَّى * وَالذِي قَدَّرَ فَهَدَى * وَالذِي أَخْرَجَ المَرْعَى * فَجَعَلَهُ غُثَاءً أَحْوَىٰ ...**﴾ [الأَعلى: ١ـ٥] ، فأراد (صلوات اللّـه عليه) أَنْ يُبيِّن ما تقدَّمت الإِشارة إِليه ، لكنَّ أَهل الكوفة لم يلتفتوا إِلى ذلك.

فلاحظ: ما رواه الأَصبغ بن نباتة ، قال: «لَـمَّا قَدِمَ عَلِيّ عليه السلام الكوفة صلَّىٰ بهم أَربعين صباحاً فقرأ بهم: ﴿**سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَىٰ**﴾ [الأَعلى: ١] ، فقال المنافقون: واللّـه ، ما يحسن أَنْ يقرأ ابن أَبي طالب القرآن ! ولو أَحسن أَنْ يقرأ لقرأ بنا غير هذه السُّورة ، قال: فبلغه ذلك ، فقال: **ويلهم ، إِنِّي لأَعرف ناسخه و منسوخه ، ومحكمه ومُتشابهه ، وفصاله من وصاله** (في المصدر: وفصله من وصله) ، **وحروفه من معانيه ، والله ما حرف نزل على مُحَمَّد صلى الله عليه وآله إِلَّا وأَنا أَعرف فيمن أُنزل ، وفي أَيِّ يوم نزل ، وفي أَيِّ موضع نزل ، ويلهم ، أَمَا يقرؤون: ﴿إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَىٰ * صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى﴾** [الأَعلىٰ: ١٨ـ ١٩] ، **والله ، عندي ورثتها من رسول الله صلى الله عليه وآله ، وورثها رسول الله صلى الله عليه وآله من إِبراهيم وموسىٰ ، ويلهم ، والله ، إِنِّي أَنا الَّذي أَنزل اللّـه فِيَّ: ﴿وَتَعِيَهَا أُذُنٌ وَاعِيَةٌ﴾** [الحاقة: ١٢] ؛ **فإِنَّا كُنَّا عند رسول الله صلى الله عليه وآله فيخبرنا بالوحي ، فأَعيه ويفوتهم ، فإِذا خرجنا قالوا: ماذا قال آنفاً ؟**». بحار الأَنوار ، ٤٠: ١٣٧ ـ ١٣٨/ ح٣١. بصائر الدرجات: ٣٦.

ودلالته واضحة.

القضيَّة التَّاسعة:

اِقتران الأَسمآء الإِلٰهيَّة بعضها بالآخر

عَبَّرَ العرفاء والمُتصوِّفة وأَصحاب العلوم الباطنيَّة عن اِقتِران الأَسمآء الإِلٰهيَّة بعضها بالآخر بـ: (نكاح الأَسمآء).

وفيه: خلط واشتباه شنيع ، والمناسب التَّعبير بـ: (الإِقْتِران) ، والمُعبَّر عنه في بيانات الوحي بـ: (الشَّفاعة) ، بمعنىٰ: الشَّفع ، أَي: الثنائيَّة ـ وهذا أَحد التفاسير العظيمة للشفاعة ـ ، في مُقابل الوِتْر ، بمعنىٰ: الأُحاديَّة.

وبالجملة: أَنَّ التزاوج والإِنْضِمَام إِذا تصاعد إِلى عَالَمَ السَّرمد ؛ عَالَمَ الأَسمآء والصِّفات الإِلٰهيَّة لا يُعبَّر عنه تزاوجاً ونكاحاً ، بل (شفاعة) ، وهذا ما يوضِّح نكتة وفلسفة بيانات الوحي المُسْتَعْمِلة لعنوان (الشَّفع) في الإِقتران بين أَمير المؤمنين وفاطمة الزَّهراء عليهما السلام ؛ فإِنَّه مُشير إِلى حقيقتيهما العاليتين ونوريهما الصَّاعدين في عَالَمَ السَّرمد والأَزل عَالَمَ الأَسماء والصِّفات الإِلٰهيَّة ، واقترانهما كإِسمين إِلٰهيِّين ، أَحدهما: الاسم الإِلٰهي (العلي الأَعلىٰ) ، والآخر: الاسم الإِلٰهي (فاطر). وعلى هذا قس حقائق سائر أَهل البيت عليهم السلام واقترانها ، كاقتران حقيقة سيِّد الأَنبياء وحقيقة أَمير المؤمنين (صلوات اللّٰـه عليهما وعلى آلهما) الصَّاعدتين كاسمين إِلٰهيِّين ، أَحدهما: الاسم الإِلٰهي (الحميد) ، والآخر: الاسم الإِلٰهي (العَلِيّ). وكاقتران حقيقة الإِمام الحسن وحقيقة الإِمام الحسين (صلوات الله عليهما) الصَّاعدتين كاسمين إِلٰهيَّين ، أَحدهما: الاسم الإِلٰهي (ذو الإِحسان) ، والآخر: الاسم الإِلٰهي (المُحسن).

إِذَنْ: أَصل حقيقة الشَّفاعة هو اِقْتِران يحصل في عَالَمَ السَّرمد والأَزل عَالَمَ الأَسمآء والصِّفات الإِلٰهيَّة ، بين الأَسمآء الإِلٰهيَّة.

ونكتة هذا الإِقتِران: أَنَّ اللّٰـه تقدَّست أَسماؤه لو كان يتعامل مع المخلوقات ويُحاكمها ويُربِّيها باسم إِلٰهيٍّ فاردٍ لَـمَا بقي عين ولا أَثر للمخلوقات ، بل لو كانت جملة المخلوقات وكافَّة عوالم الخلقة تُدار من حضرة أَسمائيَّة واحدة وليكن جانب الشفقة والرَّحمة لاختلَّ توازن المخلوقات وعوالمها.

وهذا ما تُشير إِليه بيانات الوحي ، منها :

١ـ بيان قوله عزَّ قوله: ﴿**إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ**﴾ [القمر: ٤٩].

٢ـ بيان قوله جلَّ قوله: ﴿**وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ وَلَٰكِن يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَّا يَشَاءُ إِنَّهُ بِعِبَادِهِ خَبِيرٌ بَصِيرٌ**﴾ [الشورىٰ: ٢٧] .

ودلالتهما واضحة.

← إِذَنْ: توازن عَالَم الخلقة والوجود ومخلوقاته لا يحصل إِلَّا بالإِقتران بين الأَسمآء الإِلٰهيَّة.

وهذا ما يُوضِّح كثير من بيانات الوحي ، لا سيما بيانات أَدعية أَهل البيت (صلوات اللّٰـه عليهم) ؛ فإِنَّهم يأتون باسم إِلٰهيّ من أَسماء الجلال كـ: (شديد العقاب) ، ويردفونه بآخر من أَسمآء الجمال كـ: (سريع المغفرة) ، والنكتة ما تقدَّم.

وهذا بابٌ معرفيٌّ عظيم وخطير ، وبحث معرفيٌّ ظريف ودقيق ورشيق ولطيف جِدّاً مأخوذ من بيانات الوحي المعرفيَّة ، ومبحث صعب جِدّاً حَارَة فيه العقول والأَفهام ، وتعصَّت حلحلة أَبحاثه وعُقَده على أَصحاب المدارس البشريَّة ، كالفلاسفة والمُتكلِّمين والعرفاء ، فضلاً عن الوهابيَّة والسَّلفية ، بل وكثير مِمَّن أَقرَّه لساناً وأَنكره قلباً وفهماً.

القضيَّة العاشرة:

لا تفاوت ولا تغيير في الأَسمآء والصِّفات الإِلٰهيَّة الذَّاتيَّة

إِنَّ من عظمة صفات الباري تعالىٰ الذَّاتيَّة أَنَّه لا تتفاوت ولا تتغيَّر عليه الأَحوال ، نعم صفاتهﷻ الفعليَّة فيها تغيّر وتفاوت ، فاللّٰـه يرزق بعض عباده ولا يرزق الآخر ، لذلك قالوا: إِنَّ جملة الصِّفات الإِلٰهيَّة الفعليَّة تؤول إِلى صفةٍ ذاتيَّة واحدة ، وهي: قيُّوميَّته تعالىٰ على كافَّة المخلوقات ، فجملة المخلوقات وفي جميع الأَزمنة بالنِّسبَة إِليه تقدَّس ذكره لا تفاوت بينها وعلى حَدٍّ سوآء.

وهذا ما تُشير إِليه بيانات الوحي ، منها :

١ـ بيان قوله جلَّ قوله: ﴿مَا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾ [لقمان: ٢٨].

٢ـ بيان قوله عزَّ قوله: ﴿الرَّحْمَٰنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ﴾ [طٰه: ٥].

فمع أَنَّ المخلوقات وشؤونها وأَحوالها مُنتشرة على طول الزمان فبعضها في الماضي والآخر في الحال وثالث في الاستقبال ، وهٰكذا بعضها عظيم ومهول وخطير كالعرش ، وبعضها الآخر ليس كذلك كالذَّرَّة ، لكنَّها بلحاظ خالقها العزيز الجبَّار ←

واستواءه وهيمنته وعظمته وقدرته عليها على حدٍّ سوآء ؛ وكنقطة واحدةٍ من دون أَيّ تفاوت ، وهذه قضيَّة مُحَيِّرَةٌ للعقول ؛ فهيمنته تعالىٰ وقدرته على العرش كهيمنته وقدرته على الذَّرَّة من دون أَيّ تفاوت البتَّة ، مع أَنَّ عَالَمَ القيامة بأَوصافه العظيمة وخطره وفزعه وأَهواله الخمسين الَّتي تقول فيها جملة المخلوقات ـ منها كُمَّلها كالأَنبياء عدا أَهل البيت عليهم السلام ـ واغوثاه ، لكنَّه إِذا قيس إِلى العرش كان كنقطةٍ في بحره الطمطام المتلاطم وغير المتناهي ، وقد ورد في حقِّه بيانات وحيانيَّة خطيرة دالَّة على عظيم هوله ، منها :

بيان الإِمام الباقر عليه السلام: «تكلَّموا فيما دون العرش ، ولا تكلَّموا فيما فوق العرش ؛ فإِنَّ قوماً تكلَّموا في اللّـه فتاهوا حتَّىٰ كان الرَّجُل ينادىٰ من بين يديه فيجيب من خلفه». بحار الأَنوار ، ٣: ٢٦٥/ح٢٦. المحاسن: ٢٣٨/ح٢١١.

ومع كُلّ هذا وغيره فقدرة الباري عزَّ وجلَّ وهيمنته واستواءه عليه كقدرته وهيمنته واستواءه على الذَّرَّة من دون أَيّ تفاوت أَبداً ، فأَيُّ عظمة إِلٰهيَّة هذه.

القضيَّة الحادية عشرة:

النِّسبَة المنطقيَّة بين صفات الخالق وصفات المخلوق العموم من وجهٍ

إِنَّ النِّسبَة بين صفات الخالق ـ المُسَمَّىٰ ـ تقدَّس ذكره وصفات المخلوقين ليست بنحو الإِشتراك اللَّفظي ـ أَي: ليس بينهما تباين ـ ؛ وإِلَّا لزم تعطيل المعرفة الإِلٰهيَّة ، وهو باطل بالضَّرورة الوحيانيَّة والعقليَّة ، ولا بنحو التَّرادف اللَّفظي ـ أَي: ليس بينهما اِتِّحاد حقيقة من جميع الجهات ـ وإِلَّا لزم ـ والعياذ باللّـه تعالىٰ ـ تشبيه الخالق عزَّ وجلَّ بالمخلوق ، وهو باطل بالضَّرورة الوحيانيَّة والعقليَّة أَيضاً ، وإِنَّما ـ النِّسبة بينهما ـ اِتِّحاد من جهةٍ ، ومُغايرة من جهات ، نظيره: التَّرادف العقلي.

وعبَّرنا بـ: (النَّظير) ، ولم نُعبِّر بـ: (المِثْل) و(الشَّبيه) ؛ ذلك لأَنَّه يُشترط في المترادفين عقلاً وقوعهما واجتماعهما تحت حقيقة واحدة ـ كـ: الجنس ، سواء أَكان قريباً أَو متوسطاً أَو بعيداً ـ والحال لا توجد حقيقة وواقعيَّة وراء الذَّات الإِلٰهيَّة الأَزليَّة

المُقدَّسة ؛ كيما يقع (تقدَّس ذكره) تحتها ؛ فإنَّ الذَّات المُقدَّسة غاية الغايات ، وليس وراؤه (جلَّ جلاله) منتهىٰ وكمال.
وهذه قضيَّة ثابتة بالضَّرورة الوحيانيَّة والعقليَّة.
فانظر: بيانات الوحي ، منها :
بيان سيِّد الأَنبياء ﷺ: «... **ليس وراء اللّـه منتهىٰ**». بحار الأَنوار ، ٦٠: ٧٤/ح٢٥.
إذَنْ: هناك جهة اِتِّحاد بيّن صفات الخالق (جلَّ قُدسه) ، وصفات المخلوق ، لكن لا بنحو الممازجة والمشاكلة والمدامجة والمماثلة. وهناك جهات اِفتراق بينهما ، لكن لا بنحو المباينة والمزايلة ، وإنَّما (أَمر بين أَمرين).
وعليه: فينبغي على الباحث الاِلتفات إلى المغايرة في الجملة بين معاني الصِّفات الإلٰهيَّة المُقدَّسة ، ومعاني صفات المخلوقين ، فتجب المغايرة بينهما من جهةٍ ، وهذا هو معنىٰ تنزيه السَّاحة الإلٰهيَّة ، وإلَّا لزم الشرك والتَّشبيه ، وهو باطل بالضرورة. ويجب الاِرتباط من جهة أُخرىٰ ، وهذا هو معنىٰ الحمد والثناء على السَّاحة الإلٰهيَّة، وإلَّا لزم تعطيل المعرفة الإلٰهيَّة ، وهو باطل بالضَّرورة أَيضاً.
وإنْ شئت قلتَ: إنَّ صفات كمال المخلوقين آية لصِفَات الخالق (جلَّت آلاؤه) ، فعلم المخلوق وقدرته ـ مثلاً ـ آية لعلم باريه وقدرته (تعالىٰ ذكره) ، ومن ثَمَّ يُفهم من صفة العلم والقدرة الإلٰهيَّة ما يُفهم من صفة العلم والقدرة لدىٰ المخلوق ، لكن لا على نحو التَّشبيه. ويُفهم من صفة العلم والقدرة لدىٰ المخلوق ما لا يُفهم من صفة العلم والقدرة الإلٰهيَّة ، لكن لا على نحو التَّعطيل.
وهذا ما يشير إليه بيان الضَّابطة والقاعدة المعرفيَّة الوحيانيَّة الواردة في بيانات الوحي المستفيضة ، وهي: «أَنَّ الصِّفات الإلٰهيَّة لا تعطيل فيها من جهةٍ ، ولا تشبيه فيها من جهة أُخرىٰ ، وإنَّما أَمر بين أَمرين ؛ تنزيه وتحميد وتوحيد» ؛ فبالتنزيه تُرفع إخفاقات المخلوق عن الذَّات المُقدَّسة ، وبالثناء والتَّحميد تُثْبَت كمالات الذَّات الإلٰهيَّة المُقدَّسة.

وبعبارة أُخرىٰ: أَنَّ الحدود والنقائص الموجودة في صفات المخلوقات منفيَّة عن صفات الباري (علا ذكره) ، فصفاته كمال مُطلق ، وليس فيها شائبة ورائحة النَّقص والمحدوديَّة ، ولا تتوقَّف ولا تتعلَّق على شيء البتَّة ، فهو (سبحانه وتعالىٰ) ـ مثلاً ـ: يُبصر المخلوقات ويُحيط ويعلم بها ويُهيمن عليها قبل خلقها كبعد خلقها.

فانظر: بيانات الوحي ، منها :

بيان أَمير المؤمنين (صلوات اللّٰـه عليه): «... **ففرَّق بها بين قبل وبعد ليعلم: أَن لا قبل له ولا بعد ... مخبرة بتوقيتها أَن لا وقت لمُوقِّتها ... كان ربّاً ولا مربوب ، وإِلٰهاً ولا مألوه ، وعَالِماً إِذ لا معلوم ، وسميعاً إِذ لا مسموع** ...». بحار الأَنوار ، ٤: ٣٠٥/ ح٣٤. الكافي ، ١: ١٣٨.

بل هناك ضابطة وقاعدة معرفيَّة علميَّة ، واردة في المقام ، أَدقُّ وأَصْعَب من سابقتها ، واردة في بيانات الوحي المستفيضة أَيضاً ، تجري في مقام صفات الذَّات الإِلٰهيَّة الأَزليَّة المُقدَّسة ، دون صفات المخلوقين ، وهي: «أَنَّ الصِّفات الذَّاتيَّة الإِلٰهيَّة بعضها عين الآخر» ؛ فأَوَّليَّته (سبحانه وتعالىٰ) عين آخريَّته وظاهريَّته وباطنيَّته ... ، وآخريَّته (تبارك وتعالىٰ) عين أَوَّليَّته وظاهريَّته وباطنيَّته ... وعلى هذا قس سائر الصِّفات الذَّاتيَّة الإِلٰهيَّة.

عصارة ما تقدَّم: أَنَّه لا يتمُّ التَّوحيد إِلَّا بالتنزيه والتَّحميد ، والأَمر بين الأَمرين ، هذه هي النِّسبَة بين صفات الذَّات الإِلٰهيَّة الأَزليَّة المُقدَّسة وصفات المخلوقات.

وهذه المنهجيَّة قد أَكَّد وأَصَرَّ عليها أَهل البيت (صلوات اللّٰـه عليهم) في بياناتٍ مستفيضةٍ ، بل متواترة ، وربُّوا عليها عقول جملة المخلوقات وفي كافَّة العوالم بعدما كانت علومهم ومعارفهم (صلوات اللّٰـه عليهم) شاملة وتُزخُّ لمطلق العوالم ولسائر المخلوقات غير المتناهية ؛ مرئيَّة كانت أَم غيرها.

بعد الإِلتفات:

أَوَّلاً: أَنَّ المعارف الدينيَّة ـ كدين الإِسلام ـ شاملة لجميع ذلك.

ثانياً: أَنَّ صنع اللّٰـه ومخلوقاته شاسع ومهول ، بل لا حَدَّ ولا نهاية له أَبداً وأَزلاً ؛ لأَنَّه فعل غير المتناهي ، وفعل غير المتناهي لابُدَّ أَنْ يكون بالضَّرورة غير مُتناهٍ ←

أيضاً، وإلَّا ـ أي: لو كان فعل غير المتناهي متناهياً ـ للزم انقلاب ماهيَّة وحقيقة غير المتناهي، وصار متناهياً، وبطلان انقلاب الماهيَّة والحقيقة من الواضحات.

ومنه تتَّضح: كثير من بيانات الوحي المعرفيَّة، منها:

بيان قوله عزَّ قوله: ﴿**وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ**﴾ [الأنبياء: ١٠٧]؛ فإنَّها شاملة لكُلِّ العوالم وكافَّة المخلوقات غير المُتناهيَّة. فالتفت.

القضيَّة الثَّالثة عشر:

تنزُّه الذَّات المُقدَّسة عن جملة من الثناء الصَّادر عن المخلوقات

إنَّ الحمد والثناء الصَّادرين مِنَّا اتِّجاه ساحة القدس الإلٰهيَّة قد لا يُليقان بالباري ـ المُسَمَّىٰ ـ جلَّ قدسه، ويجب تنزيهه عنهما، وإنَّما يُليقان بالمخلوق، فالثناء عليه ﷻ بأنَّه المُحيي والمُميت؛ فإنَّ الاسم الإلٰهيّ المُحيي وإسرافيل عليه السلام يُحييان، والاسم الإلٰهي المميت وعزرائيل وجنده عليهم السلام يُميتون. ومعناه: أنَّ الحمد والثناء عليه (عظمت آلاؤه) يلزم أن يكونا أرفع وأعظم من ذلك.

والسَّبيل الأوحد للمحافظة على توحيده (جلَّ وتقدَّس) وتنزيهه نشب أظفار المخلوق ببيانات الوحي، ودوام الهجرة في منطق الثقلين.

القضيَّة الرَّابعة عشرة:

معرفة الذَّات المُقدَّسة لا تكون إلَّا بالآيات ومرادفاتها العقليَّة

إنَّ ما ورد في بيانات الوحي، منها:

بيان أمير المؤمنين (صلوات اللّـه عليه): «**اعرِفُوا اللّـه باللّـهِ** ...». أُصول الكافي، ١: ٦١/ ح١.

ليس معناها: نفي المعرفة بالآيات الإلٰهيَّة ـ كما تخرَّصته الوهابيَّة والسَّلفيَّة، وجملة من الفلاسفة والعرفاء والصوفيَّة ـ، وإنَّما معناه: النَّظر إلى جهة التَّجلِّي الإلٰهي في الآيات الإلٰهيَّة.

وهذا ما تُشير إِليه بيانات الوحي الأُخرىٰ ، منها :
بيان قوله تعالىٰ الوارد في حقِّ سيِّد الأَنبياء ﷺ: ﴿لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى﴾ [النجم: ١٨].

القضيَّة الخامسة عشرة:

لابُدَّ من ملاحظة المخلوق في الآيات لجهة الإِضافة إِلى السَّاحة الرُّبوبيَّة

إِنَّ ما ورد في بيان قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ﴾ [الأَعراف: ٢٨] برهانٌ وحيانيٌّ وعقليٌّ بديهيٌّ دالٌّ على أَنَّ عدم ملاحظة المخلوق في الآيات الإِلٰهيَّة جهة الإِضافة إِلى اللّٰه ﷻ كأَبوابٍ لا تُفَتَّح له أَبواب السّمو والعلو إِلى السَّاحة الرُّبوبيَّة.

القضيَّة السَّادسة عشرة:

التَّوحيد شعار إِبليس ومن جرىٰ على شاكلته

إِنَّ شعار إِبليس ليس الإِلـحَاد ، بل التَّوحيد ، لكن بكفر وإِنْكَار الوسائط والوسائل الإِلٰهيَّة .
ومذهب إِبليس هذا نفس مذهب الوهابيَّة ومَنْ جرىٰ على شاكلتهم حذو النعل بالنعل.
ثَمَّ إِنَّه ينبغي الإِلتفات: أَنَّ عبادة الشَّيطان الموجودة في العصر الرَّاهن على مذاهب ، وتتلبَّس بموضات مختلفة ؛ كيما لا تُكشف ، وهي قائمة على الفجور والفواحش ، وسفك الدِّماء ، وهتك الأَعراض وسلب الأَموال.

القضيَّة السَّابعة عشرة:

المعرفة بالآيات ومرادفاتها أَقصر الطرق لمعرفة السَّاحة الإِلٰهيَّة

إنَّ المعرفة بالآيات والأَفعال الإِلٰهيَّة ومرادفاتها الإِلٰهيَّة العقليَّة أَقصر طريق لمعرفة الباري تعالىٰ ذكره ، وهذا ما تُؤكِّد وتُشدِّد وتصرُّ عليه بيانات الوحي في أَبواب التَّوحيد وفنون المعارف التَّوحيديَّة.

فانظر: بيانات الوحي ، منها :

١ـ بيان سيِّد الأَنبياء ﷺ في جوابه على سؤال رجل من اليهود: «... يا محمَّد ، اَخبرني عن هذا الرَّبّ الَّذي تدعو إِلى وحدانيَّته ... فبأيِّ شيءٍ تعلم أَنَّه موجود؟ قال: **بآياته وَأَعلامه** ...». توحيد الصدوق ، ب٦١: ٣٨٦ـ٣٨٧/ حاشية: ١٣.

٢ـ بيان أَمير المؤمنين عليه السلام ، فإِنَّه سُئِلَ عن العَالَم العلوي فقال: «**صور عارية من الموادِّ ، عالية عن القوَّة والاستعداد ، تجلَّىٰ لها فأَشرقت ، وطالعها فتلألأت ، وأُلقي في هويَّتها مثاله فأَظهر عنها أَفعاله** ...». بحار الأَنوار ، ٤٠: ١٦٥.

٣ـ بيان الإِمام الصَّادق عليه السلام في جوابه على سؤالٍ: «ما الدَّليل على صانع العَالَم؟ فقال أَبو عبداللّٰـه عليه السلام: **وجود الأَفاعيل الَّتي دلَّت على أَنَّ صانعها صنعها** ...». بحار الأَنوار ، ٣: ٢٩/ ح٣.

٤ـ بيان الإِمام الرِّضا عليه السلام: «... **وفي الأَشياء يوجد أَفعالها ... بها تجلَّىٰ صانعها للعقول ، وبها احتجب عن الرؤية ، وإِليها تحاكم الأَوهام ، وفيها أَثبت غيره ، ومنها أُنيط الدَّليل ، وبها عرَّفها الإِقرار** ...». بحار الأَنوار ، ٤: ٢٢٧ ـ ٢٣٠/ ح٣.

٥ـ بيانه عليه السلام أَيضاً: «... **بصنع اللّٰـه يُستدلّ عليه ... وأَسمآؤه تعبير ، وأَفعاله تفهيم** ...». توحيد الصدوق: ٣٧/ ح٢.

٦ـ بيانه عليه السلام أَيضاً في جوابه على سُؤال عمران الصَّابي: «... يا سيِّدي ، فبأَيِّ شيءٍ عرفناه؟ قال: **بغيره** . قال: فأَيّ شيءٍ غيره؟ قال الرِّضا عليه السلام: **مشيَّته واسمه وصفته وما أَشبه ذلك ، وكُلُّ ذلك مُحدَث مخلوق مدبر ... ولكن يُدَلُّ على اللّٰـه ﷻ بصفاته ، ويُدرَك بأَسمائه ، ويُستدلُّ عليه بخلقه ، حقٌّ لا يحتاج في ذلك الطَّالب المرتاد إِلى رؤية عين ، ولا استماع أُذن ، ولا لمس كف ، ولا إِحاطة بقلبٍ ، ولو كانت صفاته جلَّ ثناؤه لا تدلُّ عليه أَسمآؤه لا تدعو إِليه والمُعلّمة من الخلق لا تُدركه لمعناه كانت العبادة من الخلق لأَسمائه وصفاته دون معناه ، فلولا أَنَّ ذلك كذلك لكان**

→ **المعبود المُوَحَّد غير اللّـه ؛ لأَنَّ صفاته وأَسمآئه غيره ...**». عيون أَخبار الرِّضا عليه السلام ، ١: ١٢٢ ـ ١٣٦/ ح١.

٧ـ بيان الزيارة الجامعة: «... **فنطقت شواهد صنعكَ فيه بأَنَّكَ أَنتَ اللّـه لا إِلٰه إِلَّا أَنتَ ، مكونه وبارئه وفاطره ...**». بحار الأَنوار ، ٩٩: ١٦٧.

ودلالته ـ كدلالة سوابقه ـ واضحة.

إِذَنْ: نظام التَّوحيد لا يُقام إِلَّا بالآيات والأَفعال الإِلٰهيَّة ، وهي لا تقف عند حدٍّ ولا تنتهي أَبداً.

وبالجملة: أَصل معرفة الذَّات الإِلٰهيَّة الأَزليَّة المُقدَّسة لا تتحقَّق إِلَّا بالآيات ومرادفاتها الإِلٰهيَّة العقليَّة ، وهي وجه ورشحة وتجلِّي وظهور للذَّات الإِلٰهيَّة المُقدَّسة.

نعم ، الآيات ومرادفاتها الإِلٰهيَّة العقليَّة على مراتب وطبقات ، وأَهمُّ ما في هذه المراتب والطَّبقات

نحوان ـ استفيدا من بيانات الوحي ـ :

الأَوَّل: ما أَشارت إِليه بيانات الوحي ، منها :

بيان قوله تعالىٰ: ﴿**وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا**﴾ [الأَعراف: ١٨٠].

وهذا النحو من الآيات الإِلٰهيَّة ومرادفاتها الإِلٰهيَّة العَقليَّة لا توجد فيه شائبة الأَنا والمخلوقيَّة ، وخالص في حكاية الذَّات الإِلٰهيَّة المُقدَّسة والمقامات الرُّبوبيَّة.

واَصطلح أَهل المعرفة ـ اقتباساً من بيانات الوحي ـ على هذا النحو بـ: (الفيض الأَقدس).

ومرادهم من (الفيض): الظهور والتَّجلِّي.

ومن (الأَقدس): خلوّ هذا النَّحو من شائبة الأَنا والمخلوقيَّة.

وهذا النَّحو تُشير إِليه بيانات الوحي بعنوان: (سُرَادِقَات الرُّبوبيَّة). والسُّرَادِق نظير النَّفق ، ومعناه: ظهورات وتجلِّيات وفيوضات مُتكثِّرة ؛ فالآيات والأَسمآء والصِّفات الإِلٰهيَّة وسائر مرادفاتها الإِلٰهيَّة العقليَّة وإِن كانت مُتكثِّرة ، لكنَّها أَقدس من أَنْ يشوبها رائحة المخلوقيَّة. ←

الثَّاني: ما أَشارت إِليه بيانات الوحي أَيضاً ، منها: بيان قوله جلَّ شأنه: ﴿**أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ * وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ * وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ * وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ**﴾ [الغاشية: ١٧ـ ٢٠].

وفيَ هذَا النَّحو من الآيَات الإِلٰهيَّة ومَرادفاتها الإِلٰهيَّة العقليَّة لم تَنْمَحِ فيه شائبة الإِنا والمخلوقيَّة ؛ إِذ توجد فيه جنبتان :

إِحداهما: جنبة المخلوقيَّة.

الأُخرىٰ: جنبة اِسْمِيَّة المخلوق وآيتيَّته لربِّه ﷻ. وهذه الجنبة أَشرف شيء في المخلوق.

ثُمَّ إِنَّه كُلَّمَا ضعفت إِحدىٰ هاتين الجنبتين في المخلوق قويت وبرزت الأُخرىٰ.

ثُمَّ إِنَّ إِخلاص المخلوق لباريه تعالىٰ غنيمة لنفس المخلوق ، لأَنَّ في الإِضافة له ﷻ إِمْدَاد لا اِنْقِطَاع له أَبداً ، بخلاف الإِضافة إِلى الذَّات المخلوقة ؛ فإِنَّه مهما على شأن وشأو تلك الذَّات لابُدَّ أَنْ تكون محدودة ، وإِمْدَادها مقطوعاً ، ومن ثَمَّ كان الإِخلاص أَحد عناوين ولغات الاسم الإِلٰهيّ. وهذا هو فلسفة الإِخلاص بلغة الذَّوق العقلي.

القضيَّة الثَّامنة عشرة:

الإِنْشِغَال بالمخلوقات والآيات الخلقيَّة لمعرفة السَّاحة الإِلٰهيَّة

هناك تساؤل وجدل علميّ جرىٰ بين أَصحاب المدارس المعرفيَّة البشريَّة ، حاصله: أَنَّ الإِنْشِغَال بالمخلوقات والآيات الخلقيَّة هل يكون حاجباً ومانعاً من حصول المعرفة الإِلٰهيَّة التَّوحيديَّة ، أَو أَنَّه يُقوِّي جانب المعرفة الإِلٰهيَّة التَّوحيديَّة؟

فيه نظريَّتان ، ولكُلٍّ منهما أَدلَّتها الخاصَّة :

فاستدلَّ الأَوَّل بـ: أَنَّ الإِنْشِغَال بالخلقة نمط من أَنْمَاط الإِنْشِغَالِ بغير اللّٰـه ، والإِنْشِغَال بغير اللّٰـه حاجب عن المعرفة الإِلٰهيَّة التَّوحيديَّة.

واستدلَّ الثَّاني بـ: بيانات وحيانيَّة ، منها :

بيان قوله تعالىٰ: ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ﴾ [فصلت: ٥٣].

فمخلوقات اللّٰـه ﷻ وَأَفعاله آيات تُبيِّن عظمته تقدَّس ذكره :

والتَّحقيق: أَنَّ في كِلَا النظريَّتين نظرة توحيديَّة ونظرة كمال ، والكلام في الأَكمل ، وفي كيفيَّة النظرة ، وكيفيَّة المعرفة ، وكيفيَّة النظر لأَدلَّة المسألة ، ووجوه الجمع بينها.

وبعبارة أُخرىٰ: أَنَّ أَصحاب هاتين النَّظريَّتين وأَدلَّتهما ناظرون إِلى زاوية وغاضُّون الطرف عن الزاوية الأُخرىٰ ؛ فإِنَّه إِنْ نُظر إِلى تلك المخلوقات والآيات بنظرة طريقيَّة وآليَّة ؛ وأَنَّها مرآة حاكية عن عظمة خالقها (تقدَّس ذكره) ، ومنتشلة مُتَّبعها والمُتمسِّك بها والنَّاظر إِليها من حضيض التَّعطيل والتَّشبيه ، وتجعله على جادَّة: أَهل البيت عليهم السلام ؛ جادَّة التنزيه والثناء والتَّحميد والتَّمجيد والأَمر بين الأَمرين كان الحقُّ مع النَّظريَّة الثَّانية ، وكانت مطلوبة وراجحة شرعاً وعقلاً ، وهذا ما تُشير إِليه وتحثُّ عليه بيانات الوحي الأُخرىٰ الدَّالَّة على هذه النَّظريَّة.

وإِنْ نُظر إِليها بنحو الموضوعيَّة والاستقلاليَّة ، ولا يتعدَّىٰ النظر إِلى ذيها ؛ (الذَّات الإِلٰهيَّة المقدَّسة) كان الحقُّ مع النظريَّة الأُولىٰ.

القضيَّة التَّاسعة عشرة:

المخلوق لا يُدرِك من الآيات الإِلٰهيَّة إِلَّا ما يُناسب عَالَمه

هناك حقيقة شاملة لجملة المخلوقات ـ ولا تختصُّ بالإِنسان ـ ينبغي الإِلتفات إِليها ، حاصلها: أَنَّ لِكُلِّ مخلوقٍ طبقات من الأَجسام والأَبدان ، وكُلّ طبقةٍ منها لا تُدرِك من الآيات الإِلٰهيَّة إِلَّا من أُفق عَالَمها الخاص ؛ فالإِنسان ـ مثلاً ـ لا يُدرِك ببدنه الغليظ إِلَّا آيات عَالَمَ الحِسِّ الغليظ ، فَلَا يُدرِك ـ هذا البدن ـ آيات عَالَمَ البرزخ فضلاً عن آيات عالم القيامة ، أَو آيات عَالَمَ الآخرة الأَبديَّة وما فوقه من

عوالم. وعلى هذا قس البدن البرزخي ؛ فإنَّ الإنسان لا يُدرِك ببدنه البرزخي إلَّا آيات عَالَمَ البرزخ ، فلا يُدرِك آيات عَالَمَ القيامة ، ولا آيات عَالَمَ الآخرة الأَبديَّة وما فوقه من عوالم ، وهكذا لا يُدرِك ببدن عَالَمَ القيامة وبدن عَالَمَ الآخرة الأَبديَّة وأَبدان من فوقه من عوالم إلَّا آيات عوالمها الخاصَّة.

القضيَّة العشرون:

المخلوقات لا تقترب إلى السَّاحة الإلٰهيَّة إلَّا بمقدار ما تستحقّه

إنَّ ما ورد في بيان قوله تعالىٰ: ﴿**وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَنْ تَرَانِي وَلَكِنِ انْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ**﴾ [الأَعراف: ١٤٣] ، برهانٌ وحيانيٌّ كاشفٌ عن حقيقةٍ ضخمة ؛ وقاعدة وضابطة وحيانيَّة عظيمة جِدّاً ؛ أَسستها وضربتها بيانات الوحي، لم تكن لدىٰ جملة المدارس البشريَّة المعرفيَّة ـ كالمدرسة الفلسفيَّة والعرفانيَّة ـ ، وهي: «أَنَّ كُمَّل المخلوقات فضلاً عن غيرها لا تتمكَّن من الاقتراب إلى ساحة القدس الإلٰهيَّة إلَّا بمقدارٍ معيَّنٍ يُناسب ذلك المخلوق».

القضيَّة الحادية والعشرون:

الزَّمان والدَّهر والمثال والسَّرمد والأَزل أَوعية وواقعيات عوالم

أَوعية وواقعيَّة عَالَمَ: الأَجسام والمادَّة اللطيفة والبرزخ والأَسمآء والصِّفات

إنَّ الزَّمان وعاء للأَجسام الغليظة. والدَّهر وعاء للمخلوقات المُجرَّدة عن المادَّة الغليظة. والمثال وعاء للمخلوقات البرزخيَّة. والسَّرمد والأَبد وعاء لمخلوقات عَالَمَ الأَسمآء والصِّفات الإلٰهيَّة ، لكن لا بملاحظة مخلوقيَّتها.

وتُعبِّر جملة من بيانات أَهل البيت (صلوات اللّٰه عليهم) عن عَالَمَ الأَسمآء والصِّفات الإلٰهيَّة بـ: (بحور الأَسمآء والصِّفات) ، وهي الَّتي غُمس فيها نور سيِّد الأَنبياء صلى الله عليه وآله في العوالم الصَّاعدة.

وعَالَمَ الأَسمآء والصِّفات الإِلٰهيَّة حاكٍ بتمام واقعيَّته عن الذَّات الإِلٰهيَّة الأَزليَّة المُقدَّسة ، فكُلَّمَا فُتِّش في زواياه وبُقعه فلن تُوجد زاوية وبقعة منه إِلَّا وتدلُّ على حكاية الذَّات الإِلٰهيَّة المُقدَّسة ، نظيره: (الصُّورة المرآتيَّة) ؛ فإِنَّه لا يُوجد فيها موضعاً ليس بحاكٍ عن ذيها ـ الشَّاخص الخارجي.

وينبغي الإِلتفات: أَنَّه ليس المراد من الوعاء والظرف في المقام المُحيط والكم المقداري ، بل الواقعيَّة.

القضيَّة الثَّانية والعشرون:

ضرورة التَّوسُّل بالآيات الإِلٰهيَّة ومرادفاتها الإِلٰهيَّة العقليَّة

إِنَّ ما ورد في بيان الإِمام الصَّادق عليه السلام: «**ما لهم قاتلهم الله عمدوا إِلى أَعظم آية في كتاب اللّـه فزعموا أَنَّها بِدْعَة إِذا أَظهروها ، وهي: بسم اللّـه الرَّحمٰنِ الرَّحيم**». [بحار الأَنوار ، ٨٢: ٢١] فإِنَّه ردٌّ على مَنْ قال مِنْ أَصحاب الفرق المنحرفة بـ: «عدم جواز الجهر بالبسملة في قراءة الصَّلاة» ؛ فإِنَّ في البسملة: أَوَّل وأَعظم آية في القرآن الكريم ، وهي: (الباء) أَي: باء الإِبتداء أَو باء الإِستعانه أَو باء التَّوسُّل بـ: (الاسم الإِلٰهي).

هذا وقد نفىٰ إِبليس ـ بدعوىٰ: إِقامة التَّوحيد ـ ومَنْ جرىٰ على نهجه ـ كالعرفاء والفلاسفة والوهابية والسَّلفية جليَّة كانت أَم خفيَّة ـ التَّوسُّل بالآية والواسطة الإِلٰهيَّة مع أَنَّها أُس التَّوحيد والمعرفة.

وهذه الدعوىٰ ولازمها ـ وهو: اِمكان اِكتناه الذَّات المُقدَّسة ـ نظرية أَخذها أَصحاب الفِرَق الإِسلاميَّة المُنْحَرِفة من التوراة المحرَّفة ، وهى شعار إِبليس.

فانظر: بيانات الوحى ، منها :

بيان الإِمام الصَّادق عليه السلام: «... **فقال إِبليس: يا ربّ ، اعفني من السجود لآدم وأَنا أَعبدك عبادة لم يعبدكها مَلَك مُقرَّب ولا نبِيّ مُرْسَل ، فقال اللّـه: لا حاجة لي إِلى عبادتك ، إِنَّما أُريد أَنْ أُعْبَد مِنْ حيث أُريد ، لا مِنْ حيث تُريد ، فأَبىٰ أَنْ يسجد ، فقال اللّـه تبارك وتعالىٰ: ﴿اخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ * وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِي إِلَى يَوْمِ الدِّينِ﴾** [ص: ٧٧ـ٧٨] ...». بحار الأَنوار ، ١١: ١٤١. تفسير القميّ: ٣٤ـ٣٥.

بعض طبقات حقائق أَهل البيت (صلوات اللّـه عليهم) الصَّاعدة ، وتتبعها طبقات حقائقهم عليهم السلام المتوسطة والنَّازلة[1].

→ فأَراد إِبليس عبادة الباري تعالىٰ من دون وساطة خليفة اللّـه بينه وبين الذَّات الإِلٰهيَّة المُقدَّسة ، والحال: أَنَّ التَّوسُّل بخليفة اللّـه والواسطة أُس التَّوحيد والمعرفة.
وإِلى هذا أَشارت بيانات الوحي ، منها :
بيان سيِّد الأَنبياء صلى الله عليه وآله ، مخاطباً أَمير المؤمنين عليه السلام: «... يا عَلِيّ ... وَأَنت السَّبب فيما بين اللّـه وبين خلقه بعدي ، فَمَنْ جحد ولايتك قطع السبب الَّذي فيما بينه وبين اللّـه ، وكان ماضياً في الدرجات [في المصدر: الدركات] ، يا عَلِيّ ، ما عُرِفَ اللّـه إِلَّا بي ثُمَّ بِكَ ، مَنْ جحد ولايتكَ جحد الله ربوبيَّته ، يا عَلِيّ ، أَنْتَ علم اللّـه بعدي الأَكبر في الأَرض ... فَمَنْ استظل بفيئك كان فائزاً ...». بحار الأَنوار ، ٢٢: ١٤٨/ح١٤١.

(١) ينبغي الِالتفات في المقام إِلى الأُمور التَّالية:

الأَمر الأَوَّل:

هول وعظيم خطر حقائق أَهل البيت عليهم السلام

إِنَّ ما ورد في بيان قوله تعالىٰ ذكره: ﴿**وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ**﴾ [آل عمران: ٨١] برهانٌ وحيانيٌّ دالٌّ على نُتَفٍ ونُكَاتٍ معرفيَّةٍ وِاعتقاديَّةٍ بديعةٍ وعظيمةٍ جِدّاً ، مشيرة لهول وخطر وعظمة حقيقة سيِّد الأَنبياء وحقائق سائر أَهل البيت (صلوات اللّـه عليهم) ، منها : ←

أَوَّلاً: أَنَّ ساحة القدس الإِلٰهيَّة لم تُعْطِ مقام النُّبوَّة لنبيٍّ قَطُّ إِلَّا بعد الإِقرار بنبوَّة سيِّد الأَنبياء ﷺ وولاية أَمير المؤمنين وسائر أَهل البيت (صلوات اللّـه عليهم) وآمريَّتهم وحاكميَّتهم.

ومعناه: أَنَّ نبوَّة جملة الأَنبياء والمرسلين منهم سائر أَنبياء أُولي العزم عليهم السلام رشحة من رشحات فيض نبوَّة سيِّد الأَنبياء وإِمامة وولاية أَمير المؤمنين وسائر أَهل البيت عليهم السلام. ولم تُعطَ إِلَّا بثمن الإِيمان بسيِّد الأَنبياء وسائر أَهل البيت عليهم السلام.

ثانياً: أَنَّ وظيفة الأَنبياء والرُّسل اِتِّجاه سيِّد الأَنبياء وسائر أَهل البيت (صلوات اللّـه عليهم) التَّصديق والإِيمان بهم. ومعناه: أَنَّ طبقات حقائق أَهل البيت (صلوات اللّـه عليهم) ـ لا سيما الصَّاعدة ـ غيب بالنِّسبة لسائر الأَنبياء والرُّسل يلزم التَّصديق والإِيمان بها.

ثالثاً: أَنَّ ما أَتىٰ به سيِّد الأَنبياء ﷺ هو الثقلين: (القرآن الكريم والعترة الطاهرة).

الأَمر الثَّاني:

الإِمامة الإِلٰهيَّة تجلٍّي للتَّوحيد في مقام أَفعال اللّـه وحاكميَّته وتطبيق أَحكامه

الإِمامة الإِلٰهيَّة بعثة إِلٰهيَّة

إِنَّ حقيقة الإِمامة الإِلٰهيَّة تجلٍّي للتَّوحيد والأَحديَّة والواحديَّة في مقام الأَفعال الإِلٰهيَّة وولاية اللّـه وحاكميَّته ، وفي مقام تطبيق الأَحكام الإِلٰهيَّة ، ؛ وأَنَّ الولاية والحاكميَّة والطَّاعة لا تكون إِلَّا للّـه ـ المُسَمّىٰ ـ (تقدَّس ذكره).

وهذا ما تُشير إِليه بيانات الوحي ، منها :

بيان قوله تعالىٰ: ﴿إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ﴾ [يوسف: ٤٠].

فإِنَّه لَـمَّا قام الأَنبياء والرُّسل بإِيصال الأَحكام الإِلٰهيَّة إِلى المخلوقات أَقتضت الضرورة الإِلٰهيَّة إِلى مَنْ يُطبِّقَها ويعرف بواطن حقائقها ليتوافق ظاهرها مع باطنها

→ ؛ كيما يصل المخلوق إلى الفرد الكامل والمدينة إلى المدينة الفاضلة ؛ فَانْتَخَبَت ساحة القدس الإلٰهيَّة نُخْبَة من كُمَّل المخلوقات ، وبُعِثُوا أَئِمَّة ليقوموا بهذا الدور.

إِذَنْ: الإمامة الإلٰهيَّة بعثة إلٰهيَّة.

وإلى هذا تُشير بيانات الوحي ، منها :

بيان قوله جلَّ قوله: ﴿**وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا**﴾ [البقرة: ٢٤٧].

ودلالته واضحة بعد الإلتفات إلى أَنَّ عنوان (المُلْك) الوارد في هذا البيان الشَّريف وما شاكله أَحد عناوين الإمامة الإلٰهيَّة.

عَالَمَ الرَّجعة ضرورة إلٰهيَّة لِاسْتِيعَاب دين الإسلام وعلومه ومعارفه

وهكذا يتَّضح: عَالَمَ آخرة الدُّنيا (الرَّجعة) ؛ فإنَّ دين الإسلام وتشريعاته وأَحكامه وعلومه ومعارفه وعقائده لَـمَّا كانت من أَفعال الباري (العزيز الجبَّار) ؛ كانت غير متناهية ، وفعلها متيناً وغير متناهٍ أَيضاً.

وهذا ما تُشير إليه بيانات الوحي ، منها :

١ـ بيان قوله عزَّ ذكره: ﴿**وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ**﴾ [لقمان: ٢٧].

٢ـ إطلاق بيان وصيَّة سيِّد الأَنبياء صلى الله عليه وآله لأَمير المؤمنين عليه السلام: «**يا عَلِيّ ، إِنَّ هذا الدِّين متين فَأَوْغِلْ فيه برفق** ...». بحار الأَنوار ، ٦٨: ٢١٣/ ح٨.

وحيث لا يُمكن لعَالَمَ الدُّنيا الأُولىٰ اِسْتِيعَابه واِسْتِيعَاب علومه ومعارفه اِقْتَضَت الضَّرورة الإلٰهيَّة إلى عَالَمَ آخر يرتبط بهذه النَّشْأة الأَرضيَّة ؛ أَطول عمراً ، وأَشَدُّ وأَعظم قوَّة وهولاً ، يرجع فيه قادة وأَئِمَّة وأَولياء هذه النَّشْأة الأَرضيَّة لإكمال وإتمام ما أُلْقِي عليهم من مَهَامٍّ ومسؤوليَّات إلٰهيَّة ، وذلك العَالَمَ هو (عَالَمَ آخرة الدُّنيا) ، أَي: عَالَمَ الرَّجعة ، عَالَمَ حكومة أَهل البيت (صلوات اللّٰه عليهم).

بعد الإلتفات: أَنَّ سيِّد الأَنبياء صلى الله عليه وآله كما هو نبيٌّ ورسول هو إمام أَيضاً ، بل هو إمام الأَئِمَّة عليهم السلام. ←

وإلى كُلِّ هذا تُشير بيانات الوحي ، فلاحظ :

أَوَّلاً: بيان أَمير المؤمنين عليه السلام: «... **وأَخذ ميثاق الأَنبياء بالإيمانِ والنصرة لنا ، وذلك قوله عز وجل: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ﴾** [آل عمران: ٨١] **يعني: لتؤمننَّ بِمُحمَّد صلى الله عليه وآله ولتنصرنَّ وصيَّه ، وسينصرونه جميعاً ... ولم ينصرني أَحد من أَنبياء الله ورسله ، وذلك لما قبضهم الله إِليه ، وسوف ينصرونني ، ويكون لي ما بين مشرقها إِلى مغربها ، وليبعثنَّ اللّـه أَحياء من آدم إِلى مُحمَّد صلى الله عليه وآله كُلّ نبيٍّ مرسل ، يضربون بين يدي بالسيف هام الأَموات والأَحياء والثقلين جميعاً ، فيا عجباً ، وكيف لا أَعجب من أَموات يبعثهم اللّـه أَحياء يلبّون زمرة زمرة بالتَّلبية: لبَّيكَ لبَّيكَ يا داعي اللّـه ، قد تخلَّلوا بسكك الكوفة ، قد شهروا سيوفهم على عواتقهم ليضربون بها هام الكفرة ، وجبابرتهم وأَتباعهم من جبَّارة الأَوَّلين والآخرين حتَّىٰ ينجز اللّـه ما وعدهم في قوله عز وجل: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا﴾** [النور: ٥٥] ؛ **أَي: يعبدونني آمنين لا يخافون أَحداً من عبادي ليس عندهم تقيَّة. وإِنْ لي الكرَّة بعد الكرَّة ، والرَّجعة بعد الرَّجعة ، وأَنا صاحب الرَّجعات والكرَّات ، وصاحب الصَّولات والنقمات ، والدَّولات العجيبات ...**». بحار الأَنوار ، ٥٣: ٤٦/ ح٢٠.

ثانياً: بيان الإِمام الباقر عليه السلام: «**في قول اللّـه عز وجل: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ * قُمْ فَأَنْذِرْ﴾** [المدثر: ١ـ٢]. **يعني: بذلك مُحمَّد صلى الله عليه وآله وقيامه في الرَّجعة ينذر فيها. وفي قوله: ﴿إِنَّهَا لَإِحْدَى الْكُبَرِ * نَذِيرًا لِلْبَشَرِ﴾** [المدثر: ٣٥ـ٣٦] **يعني: مُحمَّد صلى الله عليه وآله نذيراً للبشر في الرَّجعة. وفي قوله: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ﴾** [سبأ: ٢٨] **في الرَّجعة**». مختصر البصائر: ١١٣ ـ ١١٤/ ح٨٨ ـ ٣٤.

ثالثاً: بيان الإِمام الصَّادق عليه السلام ، عن عبد الكريم بن عمرو الخثعمي ، قال: «سمعتُ أَبا عبداللّـه عليه السلام يقول: **إِنَّ إِبليس قال: ﴿أَنْظِرْنِي إِلَىٰ يَوْمِ**

يُبْعَثُونَ﴾ [الأَعراف: ١٤] فأَبىٰ اللّـه ذلك عليه ، فقال: ﴿فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ * إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ﴾ [الحجر: ٢٧ـ ٢٨] ؛ فإِذَا كان يوم الوقت المعلوم ظهر إِبليس لَعنه الله في جميع أَشياعه منذ خلق الله آدم إِلى يوم الوقت المعلوم ، وهي آخر كرَّة يكرّها أَمير المؤمنين (صلوات اللّـه عليه) ، فقلتُ: وإِنَّها لكرَّات؟ قال: نعم ، إِنَّها لكرَّات وكرَّات ، ما من إِمام في قرن إِلَّا ويكرّ معه البرّ والفاجر في دهره حتَّىٰ يُدِيْل اللّـه ﷻ المؤمن من الكافر. فإِذا كان يوم الوقت المعلوم كرَّ أَمير المؤمنين (صلوات اللّـه عليه) في أَصحابه ، وجاء إِبليس في أَصحابه ، ويكون ميقاتهم في أَرضٍ من أَراضي الفرات ، يقال لها: (الروحاء) قريب من كوفتكم ، فيقتتلون قتالاً لم يقتتل مثله منذ خلق اللّـه ﷻ العالمين ، فكأَنِّي أَنظر إِلى أَصحاب عَلِيّ أَمير المؤمنين (صلوات اللّـه عليه) قد رجعوا إِلى خلفهم القهقرىٰ مائة قدم ، وكأَنِّي أَنظر إِليهم وقد وقعت بعض أَرجلهم في الفرات. فعند ذلك يهبط الجبَّار ﷻ في ظلل من الغمام والملائكة وقضي الأَمر ، رسول الله ﷺ أَمامه بيده حربة من نور ، فإِذا نظر إِليه إِبليس رجع القهقرىٰ ناكصاً على عقبيه ، فيقول له أَصحابه: أَين تريد وقد ظفرت؟! فيقول: ﴿إِنِّي أَرَى مَا لَا تَرَوْنَ﴾ [الأَنفال: ٤٨] ، ﴿إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ﴾ [الحشر: ١٦] فيلحقه النَّبيُّ ﷺ فيطعنه طعنة بين كتفيه ، فيكون هلاكه وهلاك جميع أَشياعه ، فعند ذلك يُعبد اللّـه ﷻ ولا يُشرك به شيئاً. ويملك أَمير المؤمنين عليه السلام أَربعاً وأَربعين أَلف سنة حتَّىٰ يلد الرجل من شيعة عَلِيّ عليه السلام أَلف وَلَد من صلبه ذَكَراً ، في كُلِّ سنةٍ ذَكَراً ، وعند ذلك تظهر الجنَّتان المدهامَّتان عند مسجد الكوفة وما حوله بما شاء اللّـه». بحار الأَنوار ، ٥٣: ٤٣/ح١٢. مختصر البصائر: ١١٥ـ١١٧/ ح٩١ ـ ٣٧.

رابعاً: ورد في بيان الروايات: أَنَّ الرَّجعة من عَالَم وآخرة الدُّنيا ، ومُدَّتها أَربعة أَخماس عُمر الدُّنيا ، فلاحظ: ما رواه حمران بن أَعين: «عمر الدُّنيا مائة أَلف سنة ، لسائر النَّاس عشرون أَلف

سنة ، وثمانون أَلف سنة لآل مُحَمَّد عليه وعليهم السَّلام». بحار الأَنوار ، ٥٣: ١١٦/ح٢٢. مختصر البصائر: ٤٩٤/ ح٥٥٧ ـ ٥٠.

المعاد تجلٍّي للتَّوحيد في مقام الإِيَاب والعودة إلى اللّٰـه ﷻ

وهكذا المعاد ، فإِنَّه تجلٍّي للتَّوحيد ؛ وأَنَّ الإِيَابَ والأَوْبَةَ لا تكون إِلَّا للّٰـه ـ المُسَمَّىٰ ـ (تقدَّس ذكره) ، وهذه غاية حتميَّة لابُدَّ منها.

فلاحظ: بيانات الوحي ، منها :

١ـ بيان قوله تقدَّس ذكره: ﴿**وَعُرِضُوا عَلَىٰ رَبِّكَ صَفًّا لَقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّنْ نَجْعَلَ لَكُمْ مَوْعِدًا**﴾ [الكهف: ٤٨].

ودلالته واضحة.

٢ـ بيان قوله تعالىٰ ذكره: ﴿**الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ**﴾ [البقرة: ١٥٦].

بتقريب: أَنَّ (اللام) الدَّاخلة على لفظ الجلالة (اللّٰـه) بمعنىٰ: (من) ، فيكون المعنىٰ: (كُنَّا من تلك الحقيقة المُقدَّسة).

ومعنىٰ مرتبة: (إِليه راجعون): نرجع إِلى نفس تلك الحقيقة. ويُعبِّر أَهل المعرفة عن هذه المرتبة بـ: (جنَّة الذَّات).

٣ـ بيان دعاء النَّاحية المقدَّسة: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسألكَ ... بما نطق فيهم من مشيَّتك ، فجعلتهم معادن لكلماتك ... وآياتك ومقاماتك ... بدؤها منك ، وعودها إِليك ...». بحار الأَنوار ، ٥٩: ٣٩٣. ما ورد في (الهداية الكبرىٰ) ، ٤٤٩/ ح٥٦.

ودلالته واضحة.

وبالجملة: هناك قاعدة معرفية تكوينية أُستفيدت من بيانات أَهل البيت عليهم السلام ، حاصلها: «أَنَّ نقطة البدء لكُلِّ مخلوق هي نقطة النِّهاية» ، هذا هو معنىٰ (المَعَاد) في الجملة.

حكمة المُرسِل مُنعكسة في حكمة المُرسَل

ومِنْ ثَمَّ ورد بيان قوله جلَّ جلاله: ﴿**مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِي مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَٰكِنْ كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ**﴾ [آل عمران: ٧٩].

→ **ومعناه**: أَنَّ حكمة المُرسِل مُنعكسة في حكمة المُرسَل.

ومنه يتَّضح: ردُّ عمر بن الخطَّاب على سيِّد الأَنبياء صلى الله عليه وآله: «إِنَّ الرَّجل ليهجر» [بحار الأَنوار، ٣٠: ٥٣٥]، فإِنَّه ردّ على اللّـه؛ لأَنَّه هو الَّذي أَرسله واختاره وانتخبه واصطفاه.

الأَمر الثَّالث:

عدم تغيُّر إِرتباطات أَهل البيت عليهم السلام بعَالَمنا هذا بعد الإِنتقال لعَالَمِ البرزخ

إِنَّ معنىٰ ما ورد في العديد من بيانات أَهل البيت عليهم السلام ـ منها:

١ـ بيان سيِّد الأَنبياء منضمّاً إِليه بيان أَمير المؤمنين (صلوات اللّـه عليهما وعلى آلهما): «... **أَيُّهَا النَّاس، خُذُوها عن خَاتَمَ النَّبيِّين صلى الله عليه وآله: «إِنَّهُ يَمُوتُ مَنْ مَاتَ مِنَّا وليس بمَيِّت، وَيَبْلَىٰ مَن بَلِيَ مِنَّا وليس بِبَالٍ»، فلا تقولوا بما لا تعرفون، فإِنَّ أَكثر الحقِّ فيما تنكرون** ...». نهج البلاغة، خ٨٦: ١٤٣.

٢ـ بيان أَمير المؤمنين منضمّاً إِليه بيان الإِمام الحسن والباقر والصَّادق (صلوات اللّـه عليهم)، عن سماعة، قال: «دخلتُ على أَبي عبد اللّـه عليه السلام وأَنا أُحدِّث نفسي، فرآني فقال: **مَالَكَ تُحدِّث نفسك؟ تشتهي أَنْ تَرَىٰ أَبا جعفر؟** قلتُ: نعم، قال: **قم فادخل البيت**، فدخلتُ فإِذا هو أَبو جعفر عليه السلام. وقال: **أَتَىٰ قومٌ من الشيعة الحسن ابن عَلِيّ عليهما السلام بعد قتل أَمير المؤمنين عليه السلام فسألوه فقال: تعرفون أَمير المؤمنين إِذا رأيتموه؟ قالوا: نعم، قال: فارفعوا السِّتر، فرفعوه فإِذا هم بأَمير المؤمنين عليه السلام لا ينكرونه، وقال أَمير المؤمنين: يموت مَنْ مات مِنَّا وليس بميِّت، ويبقىٰ من بقي منَّا حُجَّة عليكم**». بحار الأَنوار، ٢٧: ٣٠٣ـ ٣٠٤/ ح٤. بصائر: ٧٨.

٣ـ بيان أَبي الحسن عليه السلام، عن سماعة، قال: «كنت عند أَبي الحسن عليه السلام فأَطلت الجلوس عنده فقال: **أَتُحِبّ أَنْ تَرَىٰ أَبا عبد الله** عليه السلام؟ فقلتُ: وددتُ واللّـه فقال: **قم وادخل ذلك البيت**، فدخلتُ البيت فإِذا أَبو عبد اللّـه عليه السلام قاعد» [بحار الأَنوار، ٢٧: ٣٠٣/ ح٥] ـ ليس ما فهمه بعض العرفاء والصوفيَّة من أَنَّ أَهل البيت عليهم السلام لم يموتوا ولم يُدفنوا، بل معناه: أَنَّهم (صلوات اللّـه عليهم) ماتوا ودفنوا لكنَّهم بعد ←

الموت وانتقالهم إلى عَالَمَ البرزخ لم تمت ارتباطاتهم وتصرُّفاتهم في عالمنا الأَرضي هذا، فيتصرَّفون (صلوات اللّـه عليهم) في هذه النشأة الأَرضيَّة ويُديرون ويُدبِّرون أَحوال وشؤون مخلوقاتها بأَبدانهم عليهم السلام البرزخيَّة كتصرُّفهم وإِدارتهم وتدبيرهم لأَحوالهم وشؤونهم قبل موتهم عليهم السلام ، ويبقىٰ ارتباطهم بهذه النَّشْأَة الأَرضيَّة على حاله من دون تغيير واختلاف . وبهذا البدن البرزخي يتَّصل المعصوم منهم وهم في عَالَمَ البرزخ بالإِمام الحي ، كـ: الإِمام الحُجَّة ابن الحسن عجل الله فرجه الشريف.

الأَمر الرَّابع:

الإِمام عليه السلام وهو في عَالَمَ الأَرحام يُحيط بشؤون عَالَمَ الدُّنيا

الثَّابت في بيانات أَهل البيت (صلوات اللّـه عليهم): أَنَّ المعصوم عليه السلام يسمع الصَّوت وهو جنين في بطن أُمّه بعد انعقاد نطفته بأَربعين يوماً ، ويُزوِّده اللّـه (جلَّ قدسه) عِلْماً وحِسّاً يرىٰ من خلاله كُلّ قطرةٍ تنزل من السَّمآء ـ سوآء أَكانت قطرة إِغاثة ، أَو قطرة إِبادة ، أَو قطرة مطر ـ أَي: يرىٰ عليه السلام جملة المعلومات الإِحصائيَّة حول كوكب الأَرض.

وعليه: فلا معنىٰ لطرح التَّساؤل التَّالي: هل المعصوم عليه السلام يعلم ويعرف الموضوعات ويُحيط بها؟

والجواب: أَنَّ هناك إِصراراً في مدرسة أَهل البيت (صلوات اللّـه عليهم) على أَنَّ لدىٰ المعصوم عليه السلام منظومة إِحصائيَّات بعَالَمَ الدُّنيا الأُولىٰ ، بل بجميع عوالم الخلقة ومخلوقاتها غير المتناهية من بداية الخلقة إِلى ما لا نهاية.

فلاحظ: بيانات الوحي ، منها :

أَوَّلاً: بيان خطبة أَمير المؤمنين عليه السلام: «... **أَنا مُحصي الخلائق وإِن كثروا** ...». مشارق أَنوار اليقين: ٢٧٠.

ثانياً: بيانه عليه السلام أَيضاً: «... **وَأَنَا الشَّاهد يوم الدِّين ... وأَنا الَّذي أَحصيتُ كُلِّ شيءٍ عدداً بعلم اللّـه الَّذي أَودعنيه ، و بسرِّه الَّذي أَسَرَّه إِلى مُحمَّدٍ صلى الله عليه وآله وأَسَرَّه النَّبيُّ صلى الله عليه وآله إِلَيَّ ...**». بحار الأَنوار ، ٥٣: ٤٦ ـ ٤٩/ ح٢٠.

ثالثاً: بيان الدُّعاء: «**اللَّهُمَّ إِنِّي أَسأَلُكَ باسمكَ الَّذي به تقوم السَّمآء ... وبه أَحصيتَ عدد الرمال ، وزنة الجبال ، وكَيل البحار ...**». بحار الأَنوار ، ٥٢: ٦ ـ ٧/ ح٥.

وبيانه: «**اللَّهُمَّ ... وَأَسئَلُكَ باسمكَ الأَعظم الَّذي به تقوم السَّمآء والأَرض ... وبه أَحصيتَ عدد الآجال ، ووزن الجبال وكيل البحار ...**». بحار الأَنوار ، ٨٣: ٧٥/ ح١٠.

وبيانه: «... **اللَّهُمَّ إِنِّي أَسئلكَ بأَسمائك الَّتي بها ... أَحصيتَ عدد الرِّمال ، وورق الأَشجار ، وكيّل البحار ، وقطر الأَمطار ، وما أَظلم عليه اللَّيل وأَشرق عليه النَّهار ...**». بحار الأَنوار ، ٨٨: ٨٣.

وبيانه: «**اللَّهُمَّ ... أَسأَلُك باسمكَ الَّذي به ... أَحصيتَ عدد الثَّرىٰ والرَّمل ، وورق الأَشجار ، وقطر البحور ...**». بحار الأَنوار ، ٩٢: ١٥٤ ـ ١٥٥/ ح٢.

وبيانه: «... **اللَّهُمَّ إِنِّي أَسأَلُك باسمكَ الَّذي تقوم به السَّماوات ... وبه أَحصيتَ كيل البحور ، وزنة الجبال ...**». بحار الأَنوار ، ٩٤: ٢٩١.

وتقريب الدلالة مُتوقِّف على بيان مُقدِّمتين :

الأُوْلَىٰ: أَنَّ الله (تعالىٰ ذكره) أَحصىٰ بأَسمائه ـ كاسم: العليم واللطيف والخبير والرَّقيب والشَّهيد والمُحصي والقيُّوم ـ جميع مخلوقاته وشؤونها وَأَحوالها وَأَفعالها وكافَّة ما يتعلَّق بها في جملة العوالم غير المتناهية.

الثَّانية: أَنَّ أَهل البيت (صلوات اللّـه عليهم) بطبقات حقائقهم وَأَنوارهم الصَّاعدة هم الأَسمآء الإِلٰهيَّة ـ فعليَّة كانت أَم ذاتيَّة ـ .

فانظر: بيانات الوحي ، منها :

١ـ بيان أمير المؤمنين عليه السلام: «... **إِنِّي لأَعرف بطرق السَّمآوات من طرق الأَرض ، نحن الاسم المخزون المكنون ، نحن الأَسمآء الحُسنىٰ الَّتي إِذا سُئِلَ اللّٰـه عزوجل بها أَجاب** ...». بحار الأَنوار ، ٢٧: ٣٣ـ ٤٠/ ح٥. المحتضر: ٧١ ـ ٧٦.

٢ـ بيانه عليه السلام أَيضاً: «... **أَنا الأَسمآء الحُسْنَىٰ الَّتي أَمَرَ أَنْ يُدعىٰ بها** ...». مشارق أَنوار اليقين: ٢٦٩.

٣ـ بيان الإِمام الباقر عليه السلام: «... **نحن الأَسمآء الحُسْنَىٰ الَّتي لا يقبل اللّٰـه من العباد عملاً إِلَّا بمعرفتنا** ...». بحار الأَنوار ، ٢٥: ٥/ ح٧. المحتضر: ١٢٩.

٤ـ بيان الإِمام الصَّادق عليه السلام: «**نحن واللّٰـه الأَسمآء الحسنىٰ الَّذي لا يقبل من أَحدٍ إِلَّا بمعرفتنا ، قال: ﴿فَادْعُوهُ بِهَا﴾** [الأَعراف: ١٨٠]». بحار الأَنوار ، ٩١: ٦. تفسير العياشي ، ٢: ٤٢.

٥ـ بيان الإِمام الرِّضا عليه السلام: «**إِذا نَزَلَت بكم شِدَّة فاستعينوا بنا على اللّٰـه ، وهو قول اللّٰـه: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا﴾** [الأَعراف: ١٨٠]». بحار الأَنوار ، ٩١: ٥/ ح٧. تفسير العياشي ، ٢: ٤٢.

ودلالة الجميع واضحة.

والنتيجة: أَنَّ أَهل البيت (صلوات اللّٰـه عليهم) بأَنوارهم وطبقات حقائقهم الصَّاعدة ـ في عَالَمَ السرمد ؛ عَالَمَ الأَسمآء والصِّفات الإِلٰهيَّة ؛ والمُعبَّر عنه في بيانات الوحي بعنوان: (عنده) ـ يُحصون كُلّ شاردة وواردة عن المخلوقات وشؤونها وَأَحوالها وَأَفعالها وسائر ما يتعلَّق بها ؛ في كافَّة العوالم غير المتناهية ؛ من بداية عَالَمَ الخلقة والوجود والإِمكان إِلى مالانهاية.

الأَمر الخامس:

خليفة اللّٰـه آية إِلٰهيَّة كُبرىٰ

أَحد معاني عنوان (خليفة اللّٰـه): آية إِلٰهيَّة كُبرىٰ ، فَمَن يُشاهده كأَنَّما شاهد اللّٰـه عزوجل ولَقَاه.

الأَمر السَّادس:

خليفة اللّٰـه مرآة تتجلَّىٰ فيها كمالات وشؤون الذَّات المُقدَّسة

المُراد من معنىٰ عنوان (خليفة اللّـه) الوارد في بيانات الوحي ، منها: بيان قوله تعالىٰ: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ [البقرة: ٣٠] ليس كاستخلاف مخلوق عن مخلوق ، ولازمه الاِنْحِسَار ، وإنَّما المراد: تجلي اللّـه ، ومرآة تتجلَّىٰ فيها صفات اللّـه وأسمائه وكمالاته من دون أيّ اِنْحِسَار عن قدرته تبارك وتعالىٰ ولو كان بمقدار مثقال ذَرَّة ، وإلَّا ـ والعياذ باللّـه تعالىٰ ـ لدبَّ العجز في ذاته تعالىٰ اللّـه عن ذلك علوّاً كبيراً .

الأَمر السَّابع:

سجود جملة الملائكة لطبقات حقائق أَهل البيت عليهم السلام الصَّاعدة

إنَّ ما ورد في بيان قوله عزّ وجلّ: ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ * قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ * قَالَ يَا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ﴾ [البقرة: ٣١ـ٣٣] برهانٌ وحيانيٌّ مُشير لموجودات حيَّة شاعرة عاقلة ، خارجة عن عوالم الملائكة والسَّمآوات والأَرضين ، وهي حقائق أَهل البيت عليهم السلام الصَّاعدة ، فملائكة السَّمآوات والأَرضين لَـمَّا لم يعرفوا هذه الأَسماء دلَّ على أَنَّها مخلوقات شريفة من عوالم فوق السَّمآوات والأَرضين ، وفوق عوالم جملة الملائكة.

وإلى هذا تُشير بيانات الوحي الأُخرىٰ ، منها :

بيان سيِّد الأَنبياء صلى الله عليه وآله: «... **إنَّ اللّـه تبارك وتعالىٰ خلق آدم فأَودعنا صلبه وَأَمر الملائكة بالسجود له تعظيماً لنا وإكراماً ، وكان سجودهم للّـه عزّ وجلّ عبوديَّة ، ولآدم إكراماً وطاعةً ؛ لكوننا في صلبه** ...». بحار الأَنوار ، ١٨: ٣٤٦/ ح٥٦. علل الشرائع: ١٣ ـ ١٤. عيون أَخبار الرِّضا عليه السلام: ١٤٤ـ١٤٦.

ودلالته واضحة.

الأَمر الثَّامن:

المباشر للأَفعال الإلٰهيَّة طبقات حقائق أَهل البيت عليهم السلام الصَّاعدة

إنَّ ما ورد في بيان الإمام الصّادق (صلوات اللّـه عليه) في جوابه على سؤال الزنديق عن الباري ـ المُسَمَّىٰ ـ ﷻ وصفاته ، قال: «... فيُعَاني الأَشياء بنفسِهِ؟ قال أَبو عبد اللّـه عليه السلام: **هو أَجَلُّ من أَنْ يُعانِيَ الأَشياء بمباشرةٍ ومُعَالجَةٍ ؛ لأَنَّ ذلك صفة المخلوق الَّذي لا تجِيءُ الأَشياءُ له إلَّا بالمباشرة والمُعالجَة ، وهو مُتعالٍ نافذ الإرادة والمشيئة ، فَعَّالٌ لِـمَا يَشَاءُ**» [أُصول الكافي ،١: ٦٠ـ٦١/ح٦] برهانٌ وحيانيٌّ من بديع المعاجز العلميَّة والمعرفيَّة الرهيبة والمهولة لأَهل البيت (صلوات اللّـه عليهم)، ولولاهم لَـمَا التفت إلى هذه النُّكْتَة والتُّحْفَة العلميَّة والمعرفيَّة اللَّطيفة والدَّقيقة بشر قَطُّ ، بل لم يشمَّ رائحتها جملة المخلوقات وفي كافَّة العوالم.

وهذا برهانٌ ساطعٌ على علوِّ مقاماتهم (صلوات اللّـه عليهم) وشؤونهم وكمالاتهم، ودالٌّ على اِنتهال علومهم عليهم السلام ومعارفهم من معين الحضرة الرُّبوبيَّة من دون واسطةٍ.

وهو دالٌّ على أَنَّ الَّذي يُباشر الأَفعال الإلٰهيَّة ويأتي بها مخلوقات إلٰهيَّة مُكرَّمة ، وقد أَشار الكم الغفير الهائل من بيانات الوحي الأُخرىٰ إلى أَنَّ رأس هرم تلك المخلوقات المُكرَّمة: طبقات حقائق أَهل البيت (صلوات اللّـه عليهم) الصَّاعدة ، منها :

أَوَّلاً: بيان أَمير المؤمنين عليه السلام: «**أَنَا دحوتُ أَرضها ، وَأَنْشأتُ جبالها ، وَفَجَّرت عيونها ، وشققتُ أَنهارها ، وغرستُ أَشجارها ، وَأَطعمتُ ثمارها ، وَأَنْشَأتُ سحابها ، وَأَسمعتُ رعدها ، ونوَّرتُ برقها ، وَأَضحيتُ شمسها ، وَأَطلعتُ قمرها، وَأَنزلتُ قطرها ، ونصبتُ نجومها ، وَأَنا البحر القمقام الزَّاخر ، وسكَّنتُ أَطوادها ، وَأَنشأَتُ جواري الفلكَ فيها ، وَأَشرقتُ شَمسها ، وَأَنا جنب اللّـه وكلمته ، وقلب اللّـه وبابه الَّذي يؤتىٰ منه ، ادخلوا الباب سُجَّداً أَغفر لكم خطاياكم وَأَزيد المُحسنين ، وبي وعلى يديّ تقوم السَّاعة ، وَفِيَّ يرتاب المبطلون ، وَأَنا الأَوَّل والآخر ، والظَّاهر والباطن ، وبكلِّ شيء عليم**». بحار الأَنوار ، ٣٩: ٣٤٨/ح٣٠. مناقب آل أبي طالب ، ١: ٥١٢ ـ ٥١٤.

ثانياً: بيانه عليه السلام أيضاً: «... **وَأَنا الأَوَّل وأَنا الآخر ، وَأَنا الباطن وَأَنا الظَّاهر ، وَأَنا بكلِّ شيءٍ عليم ، وَأَنا عَين اللّـه ، وَأَنا جنب اللّـه وَأَنا أَمين اللّـه على المرسلين ... وَأَنا أُحيي وَأَنا أُميت ، وَأَنا حي لا أَموت**». بحار الأَنوار ، ٣٩: ٣٤٧.

ثالثاً: بيانه عليه السلام أيضاً: «... **أَنَا الَّذي حملتُ نوحاً في السفينة بأَمر رَبِّي ، وَأَنا الَّذي أَخرجتُ يونس من بطن الحوت بإِذنِ رَبِّي ، وَأَنا الَّذي جاوزتُ بموسىٰ بن عمران البحر بِأَمر رَبِّي ، وَأَنا الَّذي أَخرجتُ إِبراهيم من النَّار بإِذن رَبِّي ، وَأَنا الَّذي أَجريتُ أَنهارها ، وَفَجَّرْتُ عيونها ، وغرستُ أَشجارها بإِذنِ رَبِّي ، وَأَنا عذاب يوم الظُّلَّة ، وَأَنا المنادي من مكانٍ قريبٍ قد سمعه الثقلان: الجنّ والإِنس ، وفهمه قوم ، إِنِّي لأُسمع كُلّ قومٍ** [يوم خ.ل] **الجَبَّارين والمنافقين بلغاتهم ، وَأَنا الخضر عَالِم موسىٰ ، وَأَنا مُعَلِّم سليمان بن داود ، وَأَنا ذو القرنين ، وَأَنا قُدرة اللّـه عزَّوجلّ ... إِنَّ مَيِّتَنا لم يَمُت ، وغائبنا لم يَغِب ، وإِنَّ قتلانا لَنْ يُقتلوا ... لِأَنَّا آيات اللّـه ودلائله ، وحُجَج اللّـه وخلفاؤه وأُمناؤه وَأَئِمَّتَه ، ووجه اللّـه وعين اللّـه ولسان اللّـه ، بِنَا يُعَذِّبُ اللّـهُ عباده ، وبِنَا يُثيب ... وَلَو قال قائل: لِمَ وكيف وفيم؟ لكفر وَأَشرك ؛ لأَنَّه لا يُسأل عمَّا يفعل وهم يُسألون ... أَنَا أُحيي وأُميت بإِذن ربِّي ...**». بحار الأَنوار ، ٢٦: ٥/ ح١.

رابعاً: بيان سيِّد الأَنبياء صلى الله عليه وآله ، مخاطباً أَمير المؤمنين عليه السلام: «**يا عَلِيُّ ، كُنتَ مع الأَنبياء سِرّاً ، ومعي جهراً**». معارج العُلىٰ: (مخطوط).

خامساً: بيان أَمير المؤمنين (صلوات اللّـه عليه): «**كُنْتُ مع الأَنبياء باطناً ، ومع رسول اللّـه ظاهراً**». مصباح الهداية: ١٤٢.

سادساً: بيان الإِمام الصَّادق عليه السلام مُخاطباً أَبا حنيفة ، عن كنز الفوائد للكراجكي ، قال: «ذُكر: أَنَّ أَبا حنيفة أَكَلَ طعاماً مع الإِمام الصَّادق جعفر بن محمَّد عليهما السلام ؛ فلَمَّا رفع عليه السلام يده من أَكله قال: **الحمد للّـه ربِّ العالمين ، اللَّهُمَّ إِنَّ هذا مِنكَ ومن رسولكَ**. فقال أَبو حنيفة: يا أَبا عبداللّـه ، أَجعلتَ مع اللّـه شريكاً؟ فقال له: **ويلكَ ، إِنَّ اللّـه تعالىٰ يقول في كتابه: ﴿وَمَا نَقَمُوا إِلَّا أَنْ أَغْنَاهُمُ اللهُ وَرَسُولُهُ مِنْ**

فَضْلِهِ﴾ [التوبة: ٧٤] ، ويقول في موضع آخر: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا مَا آتَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ سَيُؤْتِينَا اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَرَسُولُهُ﴾ [التوبة: ٥٩]. فقال أَبو حنيفة: واللّـه لكأَنِّي ما قرأتهما قَطُّ من كتاب اللّـه ، ولا سمعتهما إِلَّا في هذا الوقت. فقال أَبو عبداللّـه عليه السلام: بَلَىٰ ، قَدْ قرأتهما وسمعتهما ، ولكنَّ اللّـه تعالىٰ أَنزل فيكَ وفي أَشباهكَ: ﴿أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾ [مُحَمَّد: ٢٤] ، وقال: ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [المطففين: ١٤]». بحار الأَنوار ، ٤٧: ٢٤٠/ح٢٥. كنز الفوائد للكراجكي: ١٩٦.

سابعاً: بيان أَمير المؤمنين عليه السلام: «... **وَلَولَا ما نَهَىٰ اللّـهُ عنه من تزكية المرء نفسه لذكر ذاكرٌ فَضَائلَ جَمَّةً تعرِفُها قلوبُ المؤمنين ، وَلَا تَمُجُّها آذانُ السَّامعينَ ، فَدَعْ عنكَ مَنْ مالَت به الرَّمِيَّةُ ؛ فإِنَّا صَنَائعُ ربُّنا ، والنَّاسُ بَعْدُ صَنَائعُ لَنَا** ...». بحار الأَنوار ، ٣٣: ٥٧ـ٦٠/ح٣٩٨. نهج البلاغة/ باب: المختار من كُتُب أَمير المؤمنين عليه السلام/ ٢٨ ـ من كتاب له عليه السلام إِلى معاوية جواباً: ٤١١ ـ ٤١٥.

ثامناً: بيان النَّاحية المُقدَّسة: «... **ونحن صنائعُ ربُّنا ، والخلق بعد صنائعنا** ...». بحار الأَنوار ، ٥٣: ١٧٨ ـ ١٨٠/ح٩. غيبة الشَّيخ: ١٨٤ ـ ١٨٥. الاحتجاج: ٢٥٣.

ودلالتها قد اتَّضحت ؛ فإِنَّه بعدما كانت طبقات حقائق أَهل البيت عليهم السلام الصَّاعدة: وسائط الفيض الرُّبوبي ، والسَّبب والباب والحجاب والرباط الإِلٰهيّ الأَدنىٰ بين الخالق (جلَّ وتقدَّس) وجملة العوالم وسائر المخلوقات كانت عللاً فاعليَّة ؛ تفيض الوجود على ما تعلَّقَت به المشيئة والإِرادة الإِلٰهيَّة ، فخُلقت السَّماوات والأَرضين ومَنْ فيهنَّ وما بينهنَّ بأَيدي وقوىٰ أَهل البيت (صلوات اللّـه عليهم) الصَّاعدة.

إِذَنْ: طبقات حقائق أَهل البيت عليهم السلام الصَّاعدة إِضافة لكونها عللاً غائيَّة هي علل فاعليَّة ؛ إِذْ الباري (تقدَّست أَسماؤه) ـ كَمَا تقدَّم ـ يَتَنَزَّه عن مباشرة الأَشياء بنفسه ، بل مُنزَّه عنها ، وإِنَّما هي من شأن المخلوقات المُكرَّمة ؛ لاحتياج الخلق والإِماتة والإِحياء والإِيجاء ، وسائر الأَشياء والمفاعيل إِلى مُحاذاة وقرب وحركة ، وملابسة وملامسة ومباشرة ومعالجة ، واستنزال وزوال وما شاكلها من أَفاعيل وصفات

وشؤون المخلوقات ، والباري (عظمت آلاؤه) مُنَزَّه عن جميع ذلك بالضَّرورة الوحيانيَّة والعقليَّة.

فانظر: بيانات الوحي الأُخرىٰ ، منها :

١ـ بيانه عليه السلام أَيضاً: «... **يا ظاهراً بلا مشافهة ، يا باطناً بلا ملامسة ... يا أَوَّلاً بغير غاية ، يا آخراً بغير نهاية ، يا قائماً بغير انتصاب ، يا عَالِماً بلا اكتساب ...**». بحار الأَنوار ، ٨٣: ٣١٤ ـ ٣١٥/ ح٦٧.

٢ـ بيان الإِمام الكاظم عليه السلام: «... **فَمَنْ ظَنَّ باللّـهِ الظنون فقد هَلَكَ وَأَهلكَ ، فاحذروا في صفاته من أَنْ تقفوا له على حَدٍّ من نقص أَو زيادة ، أَو تحريك أَو تَحَرُّك، أَو زوال أَو استنزال ، أَو نهوض أَو قعود ، فإِنَّ اللّـه عزّ وجلّ عن صفة الواصفين ، ونعت النَّاعتين ، وتوَهُّم المُتَوهِّمين**». بحار الأَنوار ، ٣: ٣١١ ـ ٣١٢/ ح٥. الكافي ، ١: ١٢٥.

٣ـ بيان الإِمام الرَّضا عليه السلام: «... **عظم ربِّي وجلَّ أَنْ يكون في صفة المخلوقين ...**». بحار الأَنوار ، ٤: ٤٠/ ح١٨.

ومن ثَمَّ اقتضت الضرورة لمخلوقات مُكرَّمة تفعل أَفاعيل الذَّات الإِلٰهيَّة الأَزليَّة المُقدَّسة ، وتقوم مقامه (تقدَّس ذكره) ، وهي على طبقات ، طبقاتها الصَّاعدة: (حقائق أَهل البيت الأَطهار صلوات اللّـه عليهم) ، وطبقاتها النَّازلة: (الملائكة المقرَّبين وأَجنادهم) ، فإِسرافيل عليه السلام ـ مثلاً ـ يحيي ، لكنَّ إِحياء طبقات حقيقة أَمير المؤمنين (صلوات اللّـه عليه) أَرقىٰ وأَعلىٰ ، وأَشَفُّ وأَلطف ، وأَعظم قوَّة وسلطنة وهيمنة من دون قياس. وعزرائيل عليه السلام مميت ، لكنَّ إِماتة طبقات حقيقة أَمير المؤمنين (صلوات اللّـه عليه) أَرقىٰ وأَعلىٰ ، وأَشَفُّ وأَلطف ، وأَعظم قوَّة وسلطنة وهيمنة من دون قياس ، وعلى هذا قس ما يقوم به سائر الملائكة عليهم السلام كـ: (ميكائيل عليه السلام الموكَّل في إِيصال الأَرزاق إِلى المخلوقات) ، و(جبرئيل عليه السلام الموكَّل في الإِيحاء النَّازل) ، و(رضوان عليه السلام المُوكَّل في الجنان ونعيمها) ، و(مالك عليه السلام المُوكَّل في جهنَّم وجحيمها وعذابها) ، فإِنَّ الطَّبقات الصَّاعدة لهذه الأَفاعيل صادرة من طبقات

حقيقة أَمير المؤمنين وسائر طبقات حقائق بقيَّة أَهل البيت بعد طبقات حقيقة سيِّد الأَنبياء (صلوات اللّـه عليهم أَجمعين).

ومن ثَمَّ يتَّضح: كم هائل وخطير ومهول جِدّاً من بيانات الوحي المعرفيَّة والعقليَّة الأُخرىٰ ـ الآتي (إِنْ شاء اللّـه تعالىٰ) ذِكْر ما يُمثِّل بعض طوائفها ـ الَّتي حام حومها أَتباع مدرسة أَهل البيت عليهم السلام ، لكنَّهم لم يطوفوا طورها ؛ لعدم تحمُّلهم ما ورد فيها من حقائق وحيانيَّة ومعرفيَّة وعقليَّة ، ومقامات ومراتب وفضائل وكمالات جليلة وعظيمة وخطيرة جِدّاً لأَهل البيت (صلوات اللّـه عليهم) ، صادمة ومذهلة ومرعبة ، وصاكَّة لأَسماع العوالم والمخلوقات ، وفوق طاقة التَّصوُّر والتَّعَقُّل ، فعمدوا إِلى إِسقاط حُجِّيَّتها سنداً من خلال رمي رواتها ـ مع أَنَّهم من أَعمدة وأَساطين أَصحاب الأَئمَّة عليهم السلام ـ بـ: الغلو ، والتَّخليط ، ونقل المناكير وما شاكلها ، أَو إِسقاط حُجِّيَّة متونها من خلال لَيّ أَعناق دلالاتها ، وتشبثوا له بأُمور تشبث الغريق بلحيته ، أَو التَّوقُّف فيها ، وإِحالة أَمرها إِلى أَهلها (صلوات اللّـه عليهم) على أَحسن الأَحوال.

لكنَّه: بعد أَنْ أَستسمنت ذا ورم ـ حصلت هذه الطفرة العلميَّة والعقائديَّة والمعرفيَّة الَّتي نعيش الآن أَيَّامها المباركة ، المنتشلة من الظلمات والغواشي ، والمُقرِّبة إِلى عوالم النُّور والحبور ، والبهاء والسرور ، المُخرجة لِمَنْ له عينين من الحُجُب الظلمانيَّة ـ بزغت هذه البيانات وغيرها ماثلة لكلِّ عينٍ ، مالئة لكُلِّ سمعٍ ، وتجلَّت بحور خضم زاخرة ، يعبُّ عبابها ، وتصطخب أَمواجها ، فيها درر زاهرة ، وجواهر ناصعة ، ونور ساطع في عقول المخلوقات كالشَّمس الضاحية ، وأَدلَّة وحيانيَّة قطعيَّة الصدور والدلالة بالقطع العقلي ، بل والوحياني ، ودلائل ظاهرة قاطعة ، وبراهين واضحة باهرة ، وحجج بالغة ساطعة على شيء جسيم ، يفوح منها مدىٰ عظمة أَهل البيت الأَطهار (صلوات اللّـه عليهم) ، فكن ذا عينين تفز بالحسنيين ، فقد أَلزمتكَ وأَفحمتكَ الحُجَّة ، بعد أَنْ أستفحل الدَّليل وانسدَّ طريق الإِنكار بما لا يخفىٰ أَو يُستر ، فلا يبقىٰ مجال لموقف الشَّكِّ أَو ميدانٍ لمُشكِّك ، فاصغ إِليها سمعكَ ، وذلِّل لها فهمكَ ، واشغل لها قلبكَ ؛ لتعرف من أَين تُؤْكل الكتف ؛ لتلتقط درر

الحقيقة من بحور بياناتها ، وهي وإِنْ بَعُدَ الباحث والمُحقِّق والعارف في الغور والغوص فيها ، لكنَّه لا ينال حقيقة بحورها المُوَّاجة ، ولا يُدرِك قُعُورها الوَهَّاجَة ، ومن ثَمَّ تصبح آراء أُولئك وتأويلاتهم كمثل غيم علا فاستَعلىٰ ، ثُمَّ استغلظ فاستوىٰ ، ثُمَّ تمزَّقَ فانجلا رويداً ، ويتَّضح أَنَّها كالشَّمس بلا حجاب وستار على غير أَصلٍ فنِّيٍّ ، وقاعدةٍ صناعيةٍ ، فيكون منهج خُدْعَة مُخالف لِـمَا قامت عليه بيانات الوحي ، بل ظاهرة التَّكليف ، بيِّنة التَّوليد ، تخطب على نفسها أَنَّها فخفخة قول مِمَّنْ داخله الشَّكّ واستولىٰ عليه الرَّيب ، مُحجِّرة للعقول ومميتة للحقائق ، وأَباطيل خُيِّلت لهم وخُلطت عليهم ، ومفتريات اختلقوها من تلقاء أَنفسهم. وهذا ليس سبّاً وحطّاً لمقام أُولئكَ ، وإِنَّما بيان حقيقة. والسَّلام.

خارطة جملة عوالم الخلقة برسم وتخطيط أَهل البيت عليهم السلام

ومِنْ كُلِّ ما تقدَّم يتَّضح: أَنَّ المستفاد من بيانات الوحي: أَنَّ خارطة مسار جملة عَالَم الدُّنيا برسم وتخطيط أَهل البيت (صلوات اللّـه عليهم) ، بل وخرائط مسارات كافَّة العوالم وجميع مخلوقاتها ، كـ: عَالَم البرزخ ، وعَالَم الرَّجعة ، وعَالَم القيامة ، وعَالَم الآخرة الأَبديَّة ، وعوالم ما بعدها ، بل وعوالم ما قبل هذه النشأة الأَرضيَّة لم تكن إِلَّا بتخطيطهم (صلوات اللّـه عليهم) وهندستهم وتنفيذهم.

فانظر: بيانات الوحي ، منها:

١ـ بيان أَمير المؤمنين عليه السلام ـ المُتقدِّم ـ: «... **أَنا دحوتُ أَرضها ، وأَنشأتُ جبالها ، وفجَّرتُ عيونها ، وشققتُ أَنهارها ، وغرستُ أَشجارها ، وأَطعمتُ ثمارها ، وأَنشأتُ سحابها ، وَأَسمعتُ رعدها ، ونوَّرتُ برقها ، وأَضحيتُ شمسها ، وأَطلعتُ قمرها ، وأَنزلتُ قطرها ، ونصبتُ نجومها ... وسكنتُ أَطوادها ، وأَنشأتُ جواري الفلك فيها ، وأَشرقتُ شمسها ... ادخلوا الباب سجّداً أغفر لكم خطاياكم وأزيد المحسنين ، بي وعلى يديّ تقوم السَّاعة...**». بحار الأَنوار ، ٣٩: ٣٤٨.

٢ـ بيانه عليه السلام أَيضاً: «« **... أَنَا مُنزل الملائكة منازلها ... أَنا المُنادي لهم: أَلستُ بربِّكم ؛ بأَمر قيُّوم لم يزل ... أَنا صاحب الهبات بعد الهبات ولو أَخبرتكم لكفرتم ... أَنا**

منشئ الأَنام ... أَنا صاحب النجوم ، أَنا مُدبِّرها بأَمر ربّي ... أَنا المُعطِي ، أَنا المُبذِل، أَنا القابض يدي على القبض ... أَنا صاحب القطر والمطر ، أَنا صاحب الزلازل والخسوف ... أَنا صاحب الغيث بعد القنوط...». مشارق أَنوار اليقين في أَسرار أَمير المؤمنين عليه السلام ، الخطبة الإفتخاريَّة: ١٦٥ ـ ١٦٦.

٣ـ بيان خطبته عليه السلام أَيضاً: «أَنَا عندي مفاتيح الغيب ... أَنا أَقمتُ السَّماوات بأَمر ربِّي ... أَنا أَمر الحي الَّذي لا يموت ، أَنا ولي الحقّ على سائر الخلق ... أَنا المفوَّض إِلَيَّ أَمر الخلائق ، أَنَا خليفة الإِلٰه الخالق ... أَنا أرسيتُ الجبال الشَّامخات ، وفجَّرتُ العيون الجاريات ... أَنَا مُقدِّر الأَقوات ، أَنا ناشر الأَموات ، أَنا منزل القطر ، أَنَا مُنَوِّر الشَّمس والقمر والنجوم ، أَنَا قيِّم القيامة ... أَنَا محصي الخلائق وإِنْ كثروا ...». مشارق أَنوار اليقين: ٢٦٩ ـ ٢٧٠.

٤ـ بيانه عليه السلام أَيضاً ، الوارد في حقِّ أَهل البيت عليهم السلام: «... هذا كُلّه لآل محمَّد لا يُشاركهم فيه مُشارك ... خلقهم اللّـه من نور عظمته ، وولَّاهم أَمر مملكته ...». بحار الأَنوار ، ٢٥: ١٦٩ ـ ١٧٤/ ح٣٨.

٥ـ بيانه عليه السلام أَيضاً ، عن سلمان (رضوان اللّـه عليه) ، قال: «... وإِنَّ اللّـه عزّ وجلّ جعل أَمر الدُّنيا إِلَيّ ...قال سلمان: ...ثُمَّ إِنَّ أَمير المؤمنين عليه السلام أَمر الريح فسارت بنا إلى جبل قاف فانتهيت [فانتهينا خ. ل] إليه ، وإذا هو من زمرِّدة خضراء وعليها [وعليه خ. ل] ملك على صورة النسر ، فلمَّا نظر إلى أمير المؤمنين عليه السلام قال الملك: السَّلَامُ عَلَيْكَ يا وصيّ رسول اللّـه وخليفته ، أَتأذن لي في الكلام؟ فَرَدَّ عَلَيْهِ السَّلام وقال له: إِنْ شئتَ تكلَّم ، وإِنْ شئتَ أَخبرتُكَ عمَّا تسألني عنه. فقال الملك: بل تقول أنت يا أمير المؤمنين. قال: تُريد أَنْ آذن لَكَ أَنْ تزور الخضر عليه السلام ، قال: نعم ، فقال عليه السلام: قد أذنتُ لَكَ ... فقال سلمان: يا أَمير المؤمنين ، رأيتُ الملك ما زار الخضر إِلَّا حين أَخذ إذنكَ. فقال عليه السلام: والَّذي رفع السماء بغير عمدٍ ، لو أَنَّ أَحدهم رام أَنْ يزول من مكانه بقدر نفسٍ واحدٍ لَـمَا زال حتَّىٰ آذن له ، وكذلك يصير حال ولدي الحسن ، وبعده الحسين وتسعة من ولد الحسين... والَّذي فلق الحبَّة وبرأ

النسمة إِنِّي لأَملك من ملكوت السَّماوات والأَرض ما لو علمتم ببعضه لَـمَا اِحْتَمَله جَنَانكم...». بحار الأَنوار، ٢٧: ٣٣ ـ ٤٠/ ح٥. المحتضر: ٧١ ـ ٧٦.

٦ـ بيان الإِمام الباقر عليه السلام: «إِنَّ اللّـه لم يزل فرداً مُتَفَرِّداً في الوحدانيَّة، ثُمَّ خلق محمَّداً وعليّاً وفاطمة عليهم السلام ... وفوَّض أَمر الأَشياء إِليهم في الحُكم والتصرُّف والإِرشاد، والأَمر والنهي في الخلق؛ لأَنَّهم الولاة فلهم الأَمر والولاية والهداية، فهم أَبوابه ونوَّابه وحجَّابه، يُحلِّلون ما شآء، ويُحرِّمون ما شآء، ولا يفعلون إِلَّا ما شآء، عباد مُكرمون، لا يسبقونه بالقول، وهم بأمره يعملون...». بحار الأَنوار، ٢٥: ٣٣٩/ ح٢١.

٧ـ بيان الإِمام الصَّادق عليه السلام، عن المفضَّل بن عمر، قال: «... فقلتُ له: يابن رسول اللّـه، فعَلِيّ ابن أَبي طالب عليه السلام يُدخل مُحبّه الجنَّة ومبغضه النَّار أَو رضوان ومالك؟ فقال: يا مفضَّل ... فَعَلِيّ ابن أَبي طالب عليه السلام إِذاً قسيم الجنَّة والنَّار عن رسول اللّـه صلى الله عليه وآله، ورضوان ومالك صادران عن أَمره بأمر اللّـه (تبارك وتعالىٰ)، يا مفضَّل، خُذ هذا؛ فإِنَّه من مخزون العلم ومكنونه، لا تخرجه إِلَّا إِلى أَهله». بحار الأَنوار، ٣٩: ١٩٤ـ ١٩٦/ ح٥. علل الشرائع: ٦٥.

٨ـ إِطلاق بيانه عليه السلام، عن إِسماعيل بن عبد العزيز، قال: «قال لي جعفر بن مُحَمَّد عليه السلام: إِنَّ رسول اللّـه صلى الله عليه وآله كان يُفوِّض إِليه ... وإِنَّ اللّـه فوَّض إِلى مُحَمَّد صلى الله عليه وآله نبيّه فقال: ﴿مَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾ [الحشر: ٧]، فقال رَجُلٌ: إِنَّما كان رسول اللّـه صلى الله عليه وآله مفوَّضاً إِليه في الزَّرع والضَّرع، فلوّىٰ جعفر عليه السلام عن عنقه مُغضباً، فقال: في كُلِّ شيءٍ، واللّـه في كُلِّ شيءٍ». بحار الأَنوار، ١٧: ٩/ ح١٦. بصائر الدرجات: ١١١ ـ ١١٢.

٩ـ بيان زيارتهم (صلوات اللّـه عليهم) الجامعة: «...السَّلام عليكم يا أَهل بيت النُّبوَّة، وموضع الرسالة ... وقادة الأُمم ... وساسة العباد ... اِصْطَفَاكمْ بعلمه ... وفوَّض إِليكم الأُمور، وجعل لكم التَّدبير، وعرَّفكم الأَسباب ... وأَعطاكم المقاليد، وسخَّر لكم ما خلق ... إِياب الخلق إِليكم، وحسابهم عليكم، وفصل

→ **الخطاب عندكم ... وأَمره إِليكم ... لم تزالوا بعين اللّـه وعنده ، وفي ملكوته تأمرون ، وله تخلفون ، وإِيَّاه تُسبِّحون ، وبعرشه محدقون ، وبه حافُّون حتَّىٰ مرَّ بكُم علينا ، فجعلكم في بيوتٍ أَذن اللّـه أَنْ تُرفع ويُذكر فيها اسمه ...**». بحار الأَنوار ، ٩٩/ الزيارة الثالثة: ١٤٦ ـ ١٥٩.

١٠ـ بيان زيارة أَمير المؤمنين عليه السلام: «...**السَّلام عليك يا أَمير المؤمنين عَلِيّ ابن أَبي طالب ... السَّلام عليكَ يا ... صاحب الدُّنيا ... السَّلام عليكَ يا حافظ سرّ اللّـه ، وممضي حكم اللّـه ، ومجلي إِرادة اللّـه ، وموضع مشيَّة اللّـه ... ووليّ الملك الدَّيَّان ... السَّلام عليكَ يا عماد الجبَّار ... السَّلام عليكَ يا مشهوراً في السَّماوات العليا ، ومعروفاً في الأَرضين السَّابعة السفلىٰ ... السَّلام عليكَ أَيُّها النَّازل من عليِّين ، والعَالِم بما في أَسفل السَّافلين ... اجتباكَ اللّـه لقدرته ، فجعلكَ عصا عزِّه ، وتابوت حكمته ...**». بحار الأَنوار ، ٩٧: ٣٤٧ ـ ٣٥٢. المزار الكبير: ٩٧ ـ ١٠١.

ودلالة الجميع واضحة ، ولا غبار عليها.

ومن ثَمَّ لا تكون بياناتهم المعرفيَّة وسِيَرُهم وأَفعالهم عليهم السلام استراتيجيَّة حضارة فحسب ، بل واستراتيجيَّة عوالم ومخلوقات لا يعيها سائر البشر ، بل ولا سائر الأَنبياء والملائكة المُقرَّبين عليهم السلام. ومن ثَمَّ فلسفة بياناتهم (صلوات اللّـه عليهم) وسِيَرِهم وأَفعالهم ليست محدودة بأَمد زمانيّ دنيويّ ، بل ولا بعَالَم الدُّنيا برمَّته ؛ فإِنَّ ساحة القدس الإِلٰهيَّة وَظَّفَتْهُم لرسم خارطة مسار جملة العوالم وطُرّ المخلوقات.

ومنه يتَّضح: مدىٰ وضوح جملة الخريطة التَّكوينيَّة واستراتيجيَّة العوالم ومخلوقاتها لدىٰ أَهل البيت (صلوات اللّـه عليهم).

الأَمر التَّاسع:

اِشتداد حاجة المخلوقات المُكرَّمة للذَّات المُقدَّسة ←

← إِنَّه كُلَّما عظمت عطيَّة الخالق تبارك وتعالىٰ لمخلوقٍ كُلَّمَا اِشْتَدَّت وعظمت حاجة وفقر ذلك المخلوق إِليه تقدَّس ذكره أَكثر.

ومنه تتَّضح: نُكْتَة وفلسفة وسرّ بيانات الوحيّ الواردة في حقِّ أَحوال سيِّد الأَنبياءﷺ؛ وأَنَّه أَعبد مخلوق على الإِطلاق.

وهذه معادلة مُعقَّدة.

الأَمر العاشر:

خطورة علوم أَهل البيت عليهم السلام

إِنَّ ما ورد في بيان الإِمام الصَّادق عليه السلام: «**إِنَّ أَمرنا سرّ مستسر ، وسرّ لا يفيده إِلَّا السَّرّ ، وسرّ على سرّ ، وسرّ مقنّع بسرٍّ**» [بحار الأَنوار ، ٢: ٧١/ ح٣١] برهانٌ وحيانيٌّ دالٌّ على أَنَّ أَمر أَهل البيت عليهم السلام مُقنَّع ، وفوقه ستار ، وفوق الستار غطاء.

ومنه يتَّضح: أَنَّ بعض الكنايات الواردة في بيانات الوحي لا تصل إِليها درجة الدِّلالة الاستعماليَّة ، وبعضها الآخر لا تصل إِليها الدِّلالة التفهيميَّة ، والثَّالث لا تصل إِليها الدِّلالة الجديَّة ، فالكتمان غير موجود في بيانات أَهل البيت عليهم السلام ـ كحال بيانات القرآن الكريم ـ لكن لدرجة البيان سلالم طويلة.

الأَمر الحادي عشر:

المراد من عنوان: (السَّبيل الأَقصد) الوارد في حقِّ أَهل البيت عليهم السلام

أَحَد المعاني المُحتملة لعنوان: (السَّبيل الأَقصد) الوارد في بيان زيارة الإِمام الجواد عليه السلام: «... السَّلام على الباب الأَقصد ...» [بحار الأَنوار ، ٩٩: ٢٢] كوصف له ولسائر أَهل البيت عليهم السلام: ما يُوصِل باختصار إِلى المقصود.

الأَمر الثَّاني عشر:

(المُحَدَّث) أَحَد المقامات الإِعْتِقَادِيَّة

إِنَّه من الأُمور الضَّرورية عند مُحدِّثي ومُفسِّري الفريقين ، منهم: أَصحاب الصَّحاح الستَّة وابن حجر العسقلاني في شرح الباري وما يعتقدون به: عدم صحَّة ←

فانظر: بيانات الوحي ، منها :

١ـ بيان أَمير المؤمنين عليه السلام: «... **وأَنا جنب اللّـه ، وأَنا يد اللّـه**»(١).

٢ـ بيانه عليه السلام أَيضاً: «... **وأَنا يد اللّـه ، وأَنا باب اللّـه**»(٢).

٣ـ بيانه عليه السلام أَيضاً: «... **وأَنا يد اللّـه المبسوطة على عباده بالرَّحمة**

← دعوىٰ حصر المقامات الإِعتقاديَّة بالرَّسول والنَّبي ، بل هناك مقام آخر ، وهو (المُحَدَّث).

لكن: مَنْ يُطَالع كُتُب المخالفين الكلاميَّة سيجد أَنَّهم حصروا المقامات الاعتقاديَّة بالرسول والنَّبيّ. ومن ثَمَّ ذهب الطَّبري [في كتاب (الجامع لأَحكام القرآن) ، ج٤: ٨٢] في تفسير قوله تعالىٰ: ﴿**وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ**﴾ [آل عمران: ٤٢] إِلى نبوَّة مريم عليها السلام ، ونصّ عبارته: «فقد قيل: إِنَّ الكمال المذكور في الحديث ـ أَي: «كَمُلَ من الرّجال كثير ، ولم يَكْمُل من النِّساء غير مريم بنت عمران وآسية امرأة فرعون ...» ـ يعني به النُّبوَّة ، فيلزم عليه أَنْ تكون مريم عليها السلام وآسية نبيَّتين ، وقد قيل بذلك ، والصَّحيح: أَنَّ مريم نبيَّة ؛ لأَنَّ اللّـه تعالىٰ أَوحىٰ إِليها بواسطة الملك كما أَوحىٰ إِلى سائر النَّبيِّين ...».

وهي كما ترىٰ ظاهر التَّكليف ، بيِّنة التَّوليد ، تخطب على نفسها أَنَّها على غير أَصلٍ فنِّيٍّ ، وقاعدة صناعيَّة ؛ فلا تنفي الحقيقة ولا تُعتِّم عليها ، وتكون لهجة خدعة للعقل منها نبوَّة.

والحقُّ: أَنَّ مريم عليها السلام مُحَدَّثة ، وفاطمة (صلوات الله عليها) سيِّدتها ، وَأَكبر المُحدَّثين.

(١) بحار الأَنوار ، ٢٤: ١٩٨/ح٢٥.

(٢) المصدر نفسه: ١٩٤/ح١٦.

والـمغفرة»[1] .[2]

أَي: أَنا قوَّة اللّـه ، وقدرته ، وهيمنته ، وسلطنته ، وبطشه ، وبسطه ، وقبضه.

---

(١) بحار الأَنوار ، ٢٤: ١٩٩/ح٢٧.

(٢) **ينبغي الإلتفات**: أَنَّ الشَّرائط الفسيولوجيَّة والجينيَّة لبدن أَمير المؤمنين عليه السلام أَعظم من الشَّرائط الفسيولوجيَّة والجينيَّة لبدن الإِمام الحسن والحسين عليهما السلام فضلاً عن أَبدان سائر أَئمَّة أَهل البيت عليهم السلام ؛ فإِنَّهم وإِنْ كانوا في الفضل سوآء ، لكن بدن أَمير المؤمنين عليه السلام بدناً إِصطفائيّاً خاصّاً ، له خصوصيَّاته ومُمَيَّزاته الخاصَّة ، ومن ثَمَّ ورد في بيانات الوحي الإِلٰهيّ: أَنَّه لا تحصل في جيشٍ هو فيه الهزيمة البتَّة ، وما يتوجَّه في جيشٍ إِلَّا وكان نصيبه النَّصر ، فلذا ورد في بيانات الوحي الأُخرىٰ: أَنَّه الأَكثر رجوعاً في عَالَمَ الرَّجعة ـ عَالَمَ آخرة الدُّنيا ـ .

فلاحظ: بيانات الوحي ، منها :

بيانه (صلوات اللّـه عليه): «... **وإِنَّ لِيَ الكَرَّةَ بَعْدَ الكَرَّةِ ، والرَّجْعَةِ بَعْدَ الرَّجْعَةِ ، وأَنَا صَاحِبُ الرَّجَعَاتِ والكَرَّاتِ ، وصَاحِبُ الصَّولاتِ والنَّقِمَات والدَّولاتِ العَجِيبَات ، وأَنَا قَرْنٌ من حَدِيدٍ** ...». بحار الأَنوار ، ٥٣: ٤٧/ح٢٠. معاني الأَخبار: ٥٩.

لكن: مع كُلّ هذه الخصائص والعظمة يُشفىٰ جسده بريق سيِّد الأَنبياء (صلوات اللّـه عليهما وعلى آلهما) ، بل ويُزقُّ من ذلك الرِّيق العلم والحلم والفقه والحكمة لصدره عليه السلام الشَّريف ، كما ورد ذلك في بيان حديث الدَّار ، الحاوي على معارف عظيمة.

اِستعمالات حقيقيَّة من دون شائبة تجوُّز

وهذه استعمالات منه (صلوات اللّـه عليه) حقيقيَّة ، من دون أَي شائبة مجاز ، فإِنَّ هذه الغايات ـ أي: قوَّة الله ، وقدرته ، وهيمنته ، وسلطنته ، وبطشه ، وبسطه ، وقبضه ـ مخلوقات وآيات إِلٰهيَّة عظيمة وعجيبة ومهولة جِدّاً ، من عَالَم الأَسماء والصِّفات الإِلٰهيَّة ، وهي بعض طبقات حقيقته (صلوات اللّـه عليه) الصَّاعدة في مرتبة عَالَم الأَسماء والصفات الإِلٰهيَّة.

وإِلى هذا تشير بيانات الوحي الأُخرىٰ ، منها :

بيانه (صلوات اللّـه عليه) أَيضاً: «... **وكُلُّ ما في الذِّكر الحكيم ، والكتاب الكريم**[1] **، والكلام القديم من آية تذكر فيها: العين والوجه واليد والجنب فالمراد منها الولي ، لأَنَّه جنب الله ، ووجه الله ، يعني: حقّ الله ، وعلم الله ، وعين الله ، ويد الله ، فهم الجنب العليّ ، والوجه الرضي ، والمنهل الرَّوي، والصراط السَّوي ، والوسيلة إِلى الله ، والوصلة إِلى عفوه ورضاه ، سرّ الواحد والأَحد ، فلا يُقاس بهم من الخلق أَحَد ، فهم ... ومبدأ الوجود وغايته ، وقدرة الرَّبّ ومشيئته ... فهم الكواكب العلوية ، والأَنوار العلويَّة ... والأَسرار الإِلٰهيَّة المودعة في الهياكل البشريَّة ...**» [2].

---

(١) ينبغي للباحث والمُستنبِط اِكتشاف كُلَّ نصٍّ روائيٍّ يُقابل أَيّ نصّ قرآني.
(٢) بحار الأَنوار ، ٢٥: ١٦٩ ـ ١٧٤/ ح٣٨.

اتِّضاح جَمٌّ غفير من بيانات الوحي

ومنه تتَّضح: كثير من بيانات الوحي ، منها :

أَوَّلاً: بيان سيِّد الأَنبياء ﷺ مخاطباً أَمير المؤمنين صلوات الله عليه: «**يا عَلِيّ ، كُنْتَ مع الأَنبياء سِرّاً ، ومعي جهراً**»[١].

ثانياً: بيانه (صلوات اللّٰه عليه): «**كُنتُ مع الأَنبياء باطناً ، ومع رسول الله ظاهراً**»[٢].

ثالثاً: بيانه عليه السلام أَيضاً: «**... أَنا الَّذي حملتُ نوحاً في السفينة بأمر ربِّي ، وأَنا الَّذي أخرجتُ يونس من بطن الحوت بإِذن رَبِّي ، وَأَنا الَّذي جاوزتُ بموسىٰ بن عمران البحر بأمر رَبِّي ، وأَنا الَّذي أَخرجتُ إِبراهيم من النَّار بإِذن ربِّي ، وأَنا الَّذي أجريتُ أَنهارها ، وَفَجَّرتُ عيونها ، وغرستُ أَشجارها بإِذن ربِّي ، وأَنا عذاب يوم الظلَّة ، وأَنا المُنادي من مكان قريب قد سمعه الثقلان: الجنّ والإِنس ، وفهمه قوم ، إِنِّي لأسمع كُلّ قوم[٣] الجبَّارين والمنافقين بلغاتهم ، وأنا الخضر عَالِم موسىٰ ، وأَنا مُعَلِّم سليمان بن داود ، وأَنا ذو القرنين، وأَنا قدرة الله عزّ وجلّ... لَا تسمونا أَرباباً وقولوا في فضلنا ما شئتم ؛ فإِنَّكم لن تبلغوا من فضلنا كُنْه ما جعله الله لنا ؛ ولا معشار العشر ؛ لأَنَّا آيات الله ودلائله... ولو قال قائل: لِمَ، وكيف ، وفيم؟ لكفر وأشرك ؛ لأَنَّه لا يُسأل عمَّا يفعل ، وهم يُسألون ... مَنْ آمن بما قلتُ ، وصدَّقَ بما بَيَّنْتُ وفَسَّرْتُ**

---

(١) معارج العلىٰ: (مخطوط).

(٢) مصباح الهداية: ١٤٢.

(٣) في نسخة: (كلّ يوم).

وشرحتُ وأَوضحتُ ونوَّرتُ وبرهنتُ فهو مؤمن مُمْتَحَن ، اِمْتَحَنَ الله قلبه للإِيمان ، وشرح صدره للإِسلام ، وهو عارف مستبصر ، قد انتهىٰ وبلغ وكمل ، وَمَنْ شَكَّ وعَنِدَ وجحد ووقف وتحيَّر وارتاب فهو مُقَصِّر وناصب ... أَنا أُحيي وأُميت بإِذن رَبِّي ، أَنَا أُنبئكم بما تأكلون ، وما تدَّخرون في بيوتكم بإِذن ربِّي ، وأَنا أَعلم بضمائر قلوبكم ، والأَئمَّة من أَولادي عليهم السلام يعلمون ويفعلون هذا إِذا أَحَبُّوا وأَرادوا ... ونحن إِذا شئنا شاء الله[1] ، وإِذا كرهنا

---

(١) يجدر الِالتفات في المقام إِلى الأَمرين التَّاليين :

الأَمر الأَوَّل:

المشيئة الإِلٰهيَّة مخلوق عظيم ومهول

إِنَّ مبحث المشيئة الإِلٰهيَّة مبحث مُهِمٌّ جِدّاً ، وصعب ومستصعب ، وحصلت فيه معارك علميَّة خطيرة بين متكلِّي الإِمَامِيَّة ، بل وبين العرفاء ، والمشيئة الإِلٰهيَّة مخلوق رهيب وعظيم من مخلوقات عَالَمَ التَّكوين ، يأتي فوق عَالَمَ العقل وتحت العرش ، وهو نوع من التقرُّر للأَشياء ، وهو أَحَد طبقات حقائق أَهل البيت عليهم السلام الصَّاعدة.

وقد يُعبِّر أَهل المعرفة عن مخلوقاته ـ اِقتباساً من بيانات الوحي ـ بـ: (الأَعيان الثَّابتة). ويُعبِّر عنها الفلاسفة بـ: (الصُّور المُرتسمة) ؛ فإِنَّهم حسبوا أَنَّها مُجرَّد صُوَر.

والحقُّ: أَنَّه عَالَمَ خطير ، ومخلوقاته مهولة وعظيمة جِدّاً وغير متناهية.

وقد يُعبَّر عنه في بيانات الوحي بعنوان: (الماء) ، فإِنَّ (الأَلف) مُنقلِبَة عن (واو) ، و(الهمزة) عن (هاء) ، فيكون أَصل كلمة: (ماء): موه ، بمعنىٰ: (ماهيَّة) ؛ أَي: حقائق الأَشياء. وسُمِّيت الحقائق: أَشياء وذلك لتعلُّق المشيئة الإِلٰهيَّة بها.

إِذَنْ: لعنوان (الماء) الوارد في بيانات الوحي المعرفيَّة رمزيَّة عجيبة وعظيمة في مباحث التَّوحيد الواردة أَيضاً في بيانات الوحي المعرفيَّة ، وحاكٍ لطبقات من عوالم التَّكوين.

وهذا ما تُشير إِليه بيانات الوحي ، منها : ←

بيان الإمام الباقر عليه السلام ، عن جابر الجعفي ، قال: «جاء رجل من علماء أَهل الشَّام إِلى أَبي جعفر عليه السلام فقال: جئت أَسألك عن مسألة لم أَجد أَحَداً يُفسِّرها لي ، وقد سألت ثلاثة أَصناف من النَّاس ، فقال كُلُّ صِنْفٍ غير ما قال الآخر! فقال أَبو جعفر عليه السلام: **وما ذلك؟** فقال: أَسألك ما أَوَّل ما خلق اللّـه عزّ وجلّ من خلقه؟ فإِنَّ بعض من سألته قال القدرة ، وقال بعضهم العلم ، وقال بعضهم الرُّوح ، فقال أَبو جعفر عليه السلام: **ما قالوا شيئاً ، اخبرك: أَنَّ اللّـه علا ذكره كان ولا شيء غيره ، عزيزاً ولا عزّ ؛ لأَنَّه كان قبل عزِّه ... فأَوَّل شيء خلقه من خلقه الشيء الَّذي جميع الأَشياء منه وهو الماء ...**». [بحار الأنوار ، ٥٤: ٦٦ـ ٦٧/ ح٤٤. توحيد الصدوق: ٣٢] ، أَي ماهيَّة الأَشياء.

الأَمر الثَّاني:

عنوان (الشَّيء) تارة يصحّ إِستعماله في الذَّات المُقدَّسة وأُخرىٰ لا يصحّ

إِنَّ لفظ وعنوان (الشيء) تارة يصحّ إِطلاقه على الباري ـ المُسَمَّىٰ ـ (تقدَّس ذكره) ؛ وذلك إِنْ أُريد به أَصل التّحقُّق والواقعيَّة والحقيقة.

وهذا ما تُشير إِليه بيانات الوحي ، منها :

١ـ بيان الحديث القدسي ، مُخاطباً سيِّد الأَنبياء صلى الله عليه وآله في المعراج: «... **يا أَحمد ، أَنا شيء لا كالأَشياء** ...». بحار الأَنوار ، ٣٨: ٣١٢/ ح١٤. الطَّرائف: ٣٨. كشف الغمَّة: ٣١.

٢ـ بيان الإِمام الصَّادق عليه السلام ، في جوابه على سؤال الزنديق حين سأله عن الله ما هو؟ قال: «**هو شيء بخلاف الأَشياء ، أَرجع بقولي: شيء إِلى إِثبات معنىً ، وإِنَّه شيء بحقيقة الشيئيَّة ، غير أَنَّه لا جسم ولا صورة**». بحار الأَنوار ، ٣: ٢٦٠/ ح٨.

٣ـ بيان إِمضاء الإِمام أَبي الحسن عليه السلام ، عن اليقطيني ، قال: «قال لي أَبو الحسن عليه السلام: **ما تقول: إِذا قيل لكَ: أَخبرني عن اللّـه عزّ وجلّ: أَشيء هو أَم لا شيء هو؟** قال: فقلتُ له: قد أَثبت عزّ وجلّ نفسه شيئاً حيث يقول: ﴿**قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلِ اللَّهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ**﴾ [الأَنعام: ١٩] ، فأَقول: إِنَّه شيء لا كالأَشياء ؛ إِذ في نَفي

← الشَّيئيَّة عنه إبطاله ونفيه. قال لي: **صدقت وأَصبتَ**». بحار الأنوار ، ٣: ٢٦٢ـ ٢٦٣/ح١٩.

ودلالته ـ كدلالة سابقيه ـ واضحة.

الشَّيء والشَّيئيَّة اسم وصفة إلٰهيَّة ذاتيَّة

وبهذا المعنىٰ يكون الشَّيء اسم إلٰهيّ ذاتي ، والشَّيئيَّة صفة إلٰهيَّة ذاتيَّة مُتقدِّمان على الأَحد والواحد ، وهما اسمان إلٰهيَّان ذاتيَّان ، وعلى الأَحديَّة والواحديَّة ، وهما صفتان إلٰهيَّتان ذاتيَّتان.

إذَنْ: (الشيء) و(الشيئيَّة) الواردان في بيانات الوحي المعرفيَّة ؛ وكاسم من أَسمآء اللّٰـه الحسنىٰ الذَّاتيَّة ؛ وصفة إلٰهيَّة ذاتيَّة ، وهما بعض طبقات حقائق أَهل البيت عليهم السلام الصَّاعدة مملوكان للّٰـه ـ المُسمَّىٰ ـ (تقدَّس ذكره) ، ومُهيمن عليهما كهيمنته على سائر مخلوقاته ، وأَحد مصاديق بيان قوله تعالىٰ: ﴿**وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ**﴾ [الأَعراف: ١٨٠].

لولا أَهل البيت عليهم السلام لَـمَـا أَمكن لـمخلوق شمّ رائحة التَّفكيك بين الاسم الإلٰهيّ ومُسَمَّـاه

ثُمَّ إنَّ قضيَّة الفصل والتَّفكيك بين اللّٰـه المُسَمَّىٰ (جلَّ وتقدَّس) وجملة الأَسمآء والصِّفات الإلٰهيَّة ـ ذاتيَّة كانت أَم فعليَّة ـ لم يلتفت إليها ويشمّ رائحتها مخلوق قَطُّ قبل إشارة بيانات أَهل البيت عليهم السلام إليها.

الإطلاق والاستعمال الآخر الوحياني لمعنىٰ الشَّيء والشَّيئيَّة

وتارة أُخرىٰ لا يصحّ إطلاقه ـ على الباري (المُسَمَّىٰ) (جلَّ وتقدَّس) ـ ؛ وذلك إنْ أُريد به الواقعيَّة والحقيقة الَّتي تعلَّقت بها المشيئة الإلٰهيَّة.

وإلى هذا تُشير بيانات الوحي الأُخرىٰ ، منها : ←

بيان الإمام الصَّادق عليه السلام، عن جُمَيع بن عمرو، قال: «قال لي أَبو عبد اللّـه عليه السلام: **أَي شيءٍ «اللّـه أَكبر»؟! فقلتُ**: اللّـه أَكبر من كُلِّ شيءٍ، فقال: **وكان ثُمَّ شيء فيكون أَكبر منه؟! فقلتُ**: فما هو؟ قال: **اللّـه أَكبر من أَنْ يوصف**». توحيد الصدوق: ٣٠٦/ح٢.

ودلالته واضحة.

وهذا النحو من الإستعمال لا يصحّ إطلاقه إلَّا على المخلوقات.

وعليه: يكون المخلوق بهذا المعنىٰ ليس اسم فاعل، بل اسم مفعول، **ومعناه**: أَنَّ المخلوق لا حقيقة له وراء فعل الخالق (جلَّ شأنه)، ومن ثَمَّ عبَّر جملة من مُتقدِّمي الفلاسفة والمُتكلِّمين خطأً: «أَنَّ الخالق (جلَّ ذكره) ـ أَعوذ باللّـه تعالىٰ ـ جوهر والمخلوقات أَعراض».

وهذا التَّعبير وإِنْ كان خاطِئاً، لكن مرادهم: إيصال فكرة ذكرتها بيانات الوحي، وهي: أَنَّ مَنْ يُدقِّق في واقعيَّات وحقائق المخلوقات فسيراها أَنَّها ليست جواهراً قائمة بنفسها، بل أَفعالاً كالأَعراض؛ فإِنَّ تمام شراشر المخلوقات وأَبْعَاضها وسائر شؤونها وأَحوالها ليست لها واقعيَّة وحقيقة وراء فعل باريها (جلَّ ثناؤه).

وهذه قاعدة وضابطة معرفيَّة عظيمة وخطيرة؛ فإِنَّه لا يوجد للمخلوق حالة أَو وصف لم يكن حدثاً ولا فعلاً من أَفعال باريه (عزَّ اسمه)، فتمام حقيقة المخلوق أَنَّه عين فعل خالقه (عزَّ وجهه)، وإِذا اعتقد المخلوق بغير هذا فقد اِرْتَطَم بنفس الخُدْعَة الَّتي زلَّ بها إِبليس، كما أَشار إِلى ذلك بيان قوله تعالىٰ، المُقتصّ لخبره: ﴿**قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ**﴾ [الأَعراف: ١٢].

وإِلى كُلِّ هذا تُشير بيانات الوحي، منها:

١ـ بيان خطبة أَمير المؤمنين (صلوات اللّـه عليه): «**كُلّ شيءٍ خاضع له، وكُلّ شيء قائم به، غنىٰ كُلّ فقير** ...». بحار الأَنوار، ٤: ٣١٧ـ٣١٨/ح٤٣.

٢ـ بيان دعاء الجوشن الكبير: «... **يا مَنْ كُلّ شيءٍ كائن له، يا مَنْ كُلّ شيءٍ موجود به ... يا مَنْ كُلّ شيءٍ قائم به** ...». بحار الأَنوار، ٩١: ٣٨٨ ـ ٣٨٩/ح٢. البلد الأَمين: ٤٠٢ ـ ٤١١.

كره الله ، الويل كُلّ الويل لِـمَنْ أَنكر فضلنا وخصوصيتنا ، وما أعطانا الله رَبُّنا ؛ لأَنَّ مَنْ أَنكر شيئاً مِـمَّا أعطانا الله فقد أَنكر قدرة الله ﷻ ومشيئته فينا ... ويطيعنا كُلّ شيء حتَّىٰ السَّماوات والأَرض ، والشَّمس والقمر والنجوم ، والجبال والشَّجر والدواب والبحار ، والجنَّة والنَّار ... فهذا معرفتي بالنورانيَّة، فتمسَّك بها راشداً ؛ فإِنَّه لا يبلغ أَحَدٌ من شيعتنا حدّ الإِستبصار حتَّىٰ يعرفني بالنورانيَّة[1] ، فإِذا عرفني بها كان مستبصراً بالغاً كاملاً قد

← ودلالته ـ كدلالة سابقه ـ واضحة.
وهذا أَحَد تفاسير كثير من بيانات الوحي ، منها :
أَوَّلاً: بيان قوله عزّ قوله: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ [القصص: ٨٨].
ثانياً: بيان قوله عزّ من قائل: ﴿لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾ [غافر: ١٦].
ثالثاً: بيان أَمير المؤمنين (صلوات اللّـه عليه) الوارد في حديث الحقيقة ، في جوابه على سؤال كميل بن زياد ﷺ: «ما الحقيقة؟ قال: ... **محو الموهوم مع صحوا المعلوم** ...». جامع الأَسرار ومنبع الأَنوار: ٢٨ ـ ٢٩.
وعليه: فإذا اعتقد المخلوق في حقِّ نفسه أَو غيره من المخلوقات أَنَّ له حول أَو قوَّة أَو وجود أَو واقعيَّة وحقيقة في عَرْضٍ أَو في طول حول وقوَّة اللّـه (تبارك وتعالىٰ) وحقيقته فقد اِرْتَطَمَ بشِرَاك الشِّرْك الخفي.
(١) ينبغي صرف النَّظر في المقام إِلى القضايا التَّالية:
القضيَّة الأُوْلَىٰ:

عوالم النُّور على طبقات

إِنَّ المقصود من (عوالم النُّور) الواردة في بيانات الوحي: عوالم فوق عَالَمَ الآخرة الأَبديَّة ـ عَالَمَ الجنَّة والنَّار الأَبديَّتين ـ تتصاعد إِلى العرش ، بل وفوقه.
إِذَنْ: عوالم النُّور على طبقات ، بعضها دون العرش ، والآخر في مرتبة العرش ، والثَّالث فوق العرش. ←

← **القضيَّة الثَّانية:**

ليس لعوالمُ النُّور مقادير جسمانيَّة بحسب بيانات الوحي

إنَّ عَالَمَ النُّور ليس بموصوف في بيانات الوحي ـ كبيان سورة النُّور ـ بأَوصاف المقادير الجسمانيَّة ، ومن ثَمَّ ليس له طول ولا عرض ولا عمق ولا زمان ولا مكان، نعم له شدَّة وضعف. لكنَّه ليس مُجَرَّداً بقولٍ مُطلق حتَّىٰ عن الحاجة والمدد الإِلٰهيّ.

القضيَّة الثَّالثة:

أَنوار حقائق أَهل البيت عليهم السلام على طبقات

المُستفاد من بيانات الوحي: أَنَّ لعَالَمَ النُّور عوالم وطبقات ومراتب ، وَمِنْ ثَمَّ ورد في بيانات الوحي: أَنَّ أَنوار أَهل البيت عليهم السلام على طبقات ، فَمِنْ نور سيِّد الأَنبياء صلى الله عليه وآله اُشتقَّ نور ثانٍ وثالث لحقيقته صلى الله عليه وآله الصَّاعدة ، وعلى هذا قس أَنوار حقائق سائر أَهل البيت عليهم السلام الصَّاعدة.

لكن: غفل البعض ووقع في اِشتِبَاه فاحش ؛ وظنَّ وحدة مراتب النُّور وعوالمه.

ومنه تتَّضح كثير من بيانات الوحي ، منها:

بيانات الوحي المُشيرة لعَالَمَ العرش ؛ فبعضها تُثبت أَنَّ العرش خُلِقَ من نور سيِّد الأَنبياء صلى الله عليه وآله ، وبعضها الآخر تُثبت أَنَّ نوره صلى الله عليه وآله خُلِقَ مِنْ تحت العرش.

فانظر: بيانات الوحي المُشيرة إِلى النَّحو الأَوَّل ، منها:

بيان سيِّد الأَنبياء صلى الله عليه وآله: «... **خَلَقَنا اللّـه نحن حيث لا سمآء مبنيَّة ولا أَرض مدحيَّة ولا عرش ولا جنَّة ولا نار ، كُنَّا نُسبِّحه حين لا تسبيح ، ونُقَدِّسه حين لا تقديس ، فلَمَّا أَرَاد اللّـه بدء الصنعة فتق نوري فخلق منه العرش ؛ فنور العرش من نوري ، ونوري من نور اللّـه ، وَأَنا أَفضل من العرش** ...». بحار الأَنوار ، ٢٥: ١٦/ح٣٠.

ودلالته واضحة.

ولاحظ: بيانات الوحي الأُخرىٰ المُشيرة إِلى النَّحو الثَّاني ، منها :

١ـ بيان الإِمام الصَّادق عليه السلام: «**لَـمَّا خلق اللّـه السَّمآوات والأَرضين استوىٰ على العرش فأَمر نورين من نوره فطافا حول العرش سبعين مرَّة فقال عزَّ وجلَّ: هذان نوران** ←

← لي مُطيعان ، فخلق اللّـه من ذلك النُّور مُحمَّداً وعليّاً والأَصفياء من ولده عليهم السلام ...».
بحار الأَنوار ، ٢٥: ٤٢١/ح٣٣.
٢ـ بيانه عليه السلام أَيضاً: «خلقنا اللّـه من نور عظمته ثُمَّ صوَّر خلقنا من طينةٍ مخزونةٍ مكنونةٍ من تحت العرش ، فأَسكن ذلك النُّور فيه ؛ فكُنَّا نحن خلقاً وبشراً نورانيِّين ...». بحار الأَنوار ، ٢٥: ١٣ـ ١٤/ح٢٦. بصائر الدَّرجات: ٧.
ودلالته ـ كدلالة سابقه ـ واضحة.

القضيَّة الرَّابعة:

العرش من عوالم الأَجسام

الثَّابت في مجموعة منظومة بيانات أَهل البيت عليهم السلام: أَنَّ العرش كائن ذي روح.
وعوالم الأَرواح عوالم جسمانيَّة لطيفة ، فيكون العرش من عوالم الأَجسام.
وهذه جوهرة ثمينة ، وَأَمر يصعب الوقوف عليه.

القضيَّة الخامسة:

مركزيَّة العرش

إنَّ العرش عبارة عن مركز ومُنطلق السَّيطرة والسَّلْطَنة والقدرة والقوَّة ، وهو العلم غالباً.

القضيَّة السَّادسة:

اِمتداد العوالم الجسمانيَّة إِلى ما فوق العرش

المُستفاد من مجموع بيانات أَهل البيت عليهم السلام: أَنَّ هناك عوالم جسمانيَّة فوق عَالَم الآخرة الأَبديَّة ، بل فوق عَالَم العقل ، منها: ١ـ عَالَم العرش. ٢ـ عَالَم الكرسي. ٣ـ عَالَم القلم. ٤ـ ولا يبعد عَالَم اللوح.

القضيَّة السَّابعة:

خطورة بيان سيِّد الأَنبياء صلى الله عليه وآله الوارد في رواية زينب العطَّارة

إِنَّ ما ورد في بيان سيِّد الأَنبياء صلى الله عليه وآله في رواية زينب العطَّارة والَّتي ذكرها كفهرسة ومختصر إِجمالي لعوالم الخلقة ، وشارحة لعظمة فعل اللّـه عزوجل المُنبئ عن عظمة ←

فاعلها العزيز الجبَّار لم يوجد لها نظير في كُتُب جملة البشر قَطُّ ، بل ولا في الكُتُب السَّماويَّة السَّابقة.

القضيَّة الثَّامنة:

التَّفاوت في الغلظة واللَّطَافَة واسع بين مواد النَّشأة الأَرضيَّة والبرزخ وسائر العوالم الجسمـانيَّة

إِنَّ التَّفاوت في الغلظة واللَّطَافَة بين المادَّة الأَرضيَّة والمادَّة البرزخيَّة ، بل و بين نفس مواد نشأتنا الأَرضيَّة هذه ، وبين نفس مواد نشأة عَالَم البرزخ على مراتب ودرجات. ومن ثَمَّ ورد في بيانات الوحى: (أَنَّ الموتىٰ في عَالَم البرزخ ليسوا على طبقة واحدة) ؛ فالبعض منهم يلبث في مراتب دانية من عَالَم البرزخ حافة بنشأَتنا الأَرضيَّة هذه ، ولرُبَما يبقىٰ الكثير منهم مُدَّة من الزَّمان ـ بعد موتهم ـ لا يتمكَّنون من إِقْنَاع أَنفسهم بمفارقتهم لحياتهم في نشأَتهم الدُّنيويَّة الأُولىٰ ؛ والسَّبب: إِمَّا لطبيعة مادَّتهم ، أَو لكثرة تعلُّقاتهم القلبيَّة بهذه النَّشأة ، فتكون موادَّهم البرزخيَّة بالتَّبع ثقيلة أَيضاً تمنعهم من الاِرْتِقَاء لدرك أَنَّهم دخلوا في عَالَم ونشأة وبيئةٍ جديدة.

وبالجملة: المواد البرزخيَّة كمواد عَالَم الدُّنيا الأُوْلَىٰ على درجات في الغلظة واللَّطَافَة ، ومِنْ ثَمَّ تتفاوت بالتَّبع وبشكل شاسع جِدّاً قُدْرَة سُكَّانَها في القابليَّة والعلم والمعرفة والإِحاطة والحركة والإِنطلاق.

وعلى هذا قس سائر العوالم كعَالَم الآخرة الأَبديَّة ؛ فإِنَّه على درجات في الكثافة والغلظة واللَّطَافَة واسعة وعظيمة جِدّاً ، ومِنْ ثَمَّ كانت الجنَّة الأَبديَّة ونيران جهنَّم الأَبديَّة أَيضاً على طبقات واسعة جِدّاً.

القضيَّة التَّاسعة:

تشابُك الطَّاقات في عوالم السَّمآوات

إِنَّ أَحد التَّفاسير العصريَّة لبيان قوله تعالىٰ: ﴿**وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْحُبُكِ**﴾ [الذاريات: ٧] أَنَّ في السَّمآء طاقات مُتشابكة من دون أَيّ فراغ.

خاض بحراً من العلم ، وارتقىٰ درجة من الفضل ، واطَّلَع على سرٍّ مِنْ سِرّ الله ، ومكنون خزائنه »[١] .[٢]

← وهذه الطَّاقات ـ بحسب لغة العقل ـ أَجسام لطيفة غير مرئيَّة بالعين المُجرَّدة ؛ لكونها جواهر لها مقادير ومديات ومجالات جغرافيَّة ؛ ومسافات جوهريَّة (طول وعرض وعمق جوهري).

القضيَّة العاشرة:

الوقوف على عَالَم الخلقة والمخلوقات أَحد أَبواب المعرفة الإِلٰهيَّة

إِنَّ ما ورد في بيان قوله تعالىٰ: ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ﴾ [فصلت: ٥٣] برهانٌ وحيانيٌّ دالٌّ على أَنَّ الوقوف على عوالم الخلقة المهولة ومخلوقاتها العظيمة والإِطِّلاع عليها أَحد أَبواب المعرفة الإِلٰهيَّة الخطيرة.

(١) بحار الأَنوار ، ٢٦ : ١-٧/ ح١ .

(٢) يجدر صرف النَّظر في المقام إِلى الأَمرين التَّاليين :

الأَمر الأَوَّل:

الغلو في حقِّ أَهل البيت عليهم السلام كاشف عن صدور أُمور عظام منهم

إِنَّ ما أَتىٰ به الغُلَاة من غُلُوٍّ في حَقِّ أَمير المؤمنين (صلوات اللّـه عليه) وإِنْ كانت أُموراً سلبيَّة ، لكنَّها تكشف عن صدور إِرْهَاصات غيبيَّة شوهدت منه عليه السلام ، لكنَّ قرأها البعض بعد زللـه بِقِرَاءة خاطئة ومنحرفة.

وعلى هذا قس حال سائر أَهل البيت عليهم السلام ، فذاك سيِّد الأَنبياء صلى الله عليه وآله كان المسلمون يتقاتلون على نخامته وغسالة وضوءه ، كما رواه الفريقان ، ومعناه: مشاهدتهم لإِرْهَاصَات غيبيَّة صدرت من بدنه الشَّريف.

وذاك الإِمام زين العابدين (صلوات اللّـه عليه) حينما اِنْفَرَجَ له النَّاس في طواف الحجّ سِمَاطَيْن ليستلم الحجر الأَسود مع كثافة وزحمة الحجيج ، مع أَنَّ رئيس الدَّولة العظمىٰ (هشام بن عبد الملك) مع ماله من حرس وحاشية لم يتمكَّن من ذلك. ←

فانظر :

ما ذكر في الحِلْيَةِ ، والأَغاني وغيرهما: «حَج هشام بن عبد الملك فلم يقدر على الاِسْتِلَام من الزِّحَام فَنُصِبَ له منبر فجلس عليه ، وأَطاف به أَهل الشَّام ، فبينما هو كذلك إِذْ أَقبل عَلِيّ بن الحسين عليه السلام وعليه إِزَار ورداء ، من أَحسن النَّاس وجهاً وأَطيبهم رائحة ، بين عينيه سَجَّادَة كأَنَّها ركبة عنز ، فجعل يطوف فإِذا بلغ إِلى موضع الحجر تَنَحَّىٰ النَّاس حتَّىٰ يستلمه هيبة له ، فقال شاميٌّ: مَنْ هذا يا أَمير المؤمنين؟ فقال: لا أَعرفه ؛ لِئَلَّا يرغب فيه أَهل الشَّام ، فقال الفرزدق وكان حاضراً: لكنِّي أَنَا أَعرفه ...». بحار الأَنوار ، ٤٦: ١٢٤ ـ ١٢٥/ ح١٧.

ومعناه: عدم نظر عموم المسلمين للإِمام عليه السلام كإِنسانٍ عاديٍّ ، بل رَجُلٌ غيبيٌّ ، وما قاموا به لم يكن وليد صدفة ، وإِنَّما رَأَوا منه (صلوات اللّـه عليه) إِرْهَاصَاتٌ غيبيَّة.

الأَمر الثَّاني:

الإِقرار بالعجز عن معرِفَة كُنْه الباري أَصدق ما يصدر من المخلوق

إِنَّ أَلَذَّ ما في المعرفة: استيقاظ الباحث إِلى أَنَّ السير طويل فيها لانهاية ولا حَدَّ له ، ومن ثَمَّ أَتَمُّ معرفة باللّـه تعالىٰ تحصل لدىٰ المخلوق: إِقْرَاره بالعجز عن اِكْتِنَاه حقيقة الذَّات الإِلٰهيَّة الأَزليَّة المُقدَّسة ، ومن يعتقد أَنَّ معرفته باللّـه عزوجل وصلت إِلى أَوْجَها وإِلى حدِّ النهاية فقد اِرْتَطَمَ في حَضِيض الجهل المُرَكَّب ، فلذا أَكَّدت بيانات أَهل البيت (صلوات اللّـه عليهم) على أَنَّه لا يمكن للمخلوق أَنْ يُقيم في معرفة التَّوحيد إِلَّا وأَنْ يقول: «ما عرفناك حَقّ معرفتكَ» [بحار الأَنوار ، ١١٠: ٣٤].

وهذا ما يُشير إِليه بيان الضَّابطة المعرفيَّة: «العجز عن المعرفة معرفة تامَّة».

إِذَنْ: الاِعتراف بالعجز عن معرفة كُنْه الذَّات الإِلٰهيَّة المُقَدَّسة هو حقيقة وتمام المعرفة ، فبالإِقْرَار بالعجز عن معرفة كُنْه الذَّات المُقدَّسة ؛ وأَنَّه لاحَدَّ ولا نهاية ولا يُحاط بذاته المُقدَّسة تقدَّس ذكره تكون هذه المعرفة عين الحقيقة والواقعيَّة ، وهي الإِشارة الوحيدة والصَّادقة في المقام.

ودلالته ـ كدلالة سابقيه ـ واضحة.

نكتة تأويلات المعصوم عليه السلام لأمثال هذه البيانات

عدم تَحَمُّل قابليَّات الطرف تُلْجئ المعصوم عليه السلام إلى التَّأويل

وما حمل بعض أَهل البيت ـ كالإِمام الباقر ـ (صلوات اللّـه عليهم) بعض ألفاظ ما شاكل ألفاظ هذه البيانات الوحيانيَّة على معانيها المجازيَّة ذلك: مراعاة لحال الطرف المُخَاطَب ، فلعدم: اِستعِداده وقابليَّته وتحمُّله لمعانيها ومضامينها وحقائقها الخطيرة العجيبة العالية ، وخوفاً عليه من الوقوع في الزَّيغ والضلال والاِنْحِرَاف اِضْطَرُّوا عليهم السلام إلى تأويلها ، وإِلَّا فقبل بيان الإِمام المتأخِّر ـ كالإِمام الباقر عليه السلام ـ سيعتقد بعض المؤمنين ـ حتماً وعلى أَقلِّ التقادير ـ وقد يعملون طوال عقود من الزَّمان بمعاني وحقائق أَلفاظها ، فلو كانت غير مرادة لزم وقوعه في الزَّيغ والضلال والاِنْحِرَاف ،

← ثُمَّ إِنَّ هذا النفي ليس نفياً وتعطيلاً بقولٍ مُطلقٍ ، وإِنَّما نفي اِكْتِنَاه ، ونفي إِحاطة بالذَّات المُقدَّسة ، وهو تثبيت وإِقرار بالواقعيَّة ، وَبأَصل مُطلق الحقيقة.

هذا هو النَّهج والصِّراط المُستقيم ، نهج وصراط أَهل البيت (صلوات اللّـه عليهم) ، أَصحاب الجادَّة الوسطىٰ الَّتي لا تُخرج إِلى عوجٍ ، ولا تُزيل عن منهج الحقّ ، وهذا النَّهج والصِّراط في حال سيرٍ دَائِم لا اِنْقِطَاع له أَبداً.

وبالجملة: دعوىٰ اِكْتِنَاه المخلوق لِكُنْه الذَّات المُقدَّسة توقُّف وموت لمسيرته المعرفيَّة، كحال من يدَّعي تعطيل مُطلق المعرفة الإِلٰهيَّة ، فإِنَّه توقُّفٌ وموتٌ لمسيرته المعرفيَّة أَيضاً. والحقُّ يكمن في: «الأَمر بين الأَمرين» ، ومعرفة من وجهٍ.

ويكون السَّبب في ذلك إِطلاق بيانه عليه السلام. لكنَّهم (صلوات اللّٰـه عليهم) قد حذَّروا أَتباعهم ومواليهم من تبيان الحقائق الحقَّة لغير أَهلها وغير الحقَّة بطريقٍ أَولىٰ ، كاستعمال المجازات من دون حفِّها بقرائن. فيدلُّ ذلك: أَنَّ ما ذكره أَمير المؤمنين وسائر أَهل البيت عليهم السلام من بيانات وحيانيَّة مهولة وخطيرة محمولة على معانيها الحقيقيَّة.

الأَدِلَّة المانعة من نشر الحقائق الوحيانيَّة عند غير أَهلها

المعصوم عليه السلام يُراعي في طرحه للحقائق عقليَّة الطرف وقابليَّته واستعداده

فلاحظ:

١ـ ما ورد عن جابر بن يزيد الجعفي ، قال: «حدَّثني أَبو جعفر عليه السلام تسعين أَلف حديث لم أُحدِّث بها أَحَداً قَطُّ ، ولا أُحَدِّث بها أَحَداً أَبداً ... فقلت لأبي جعفر عليه السلام: جُعِلْتُ فداك ، إِنَّكَ قد حمَّلتني وقراً عظيماً بما حدَّثتني به من سرِّكم الَّذي لا أُحدِّث به أَحداً ، فرُبَما جاش في صدري حتَّىٰ يأخذني منه شبه الجنون. قال: **يا جابر ، فإذا كان ذلك فاخرج إلى الجبال**[1]: **فاحفر حفيرة ودلّ رأسك فيها ، ثُمَّ قل: حدَّثني مُحمَّد بن عَلِيّ بكذا وكذا**»[2].

٢ـ بيان الإِمام الصَّادق عليه السلام: «**خالطوا النَّاس بما يعرفون ، ودعوهم مِمَّا ينكرون ، ولا تحملوا على أنفسكم وعلينا ، إِنَّ أَمرنا صعب مستصعب لا يحتمله**

---

(١) في نسخة: (الجبان).

(٢) بحار الأَنوار ، ٢: ٦٩/ ح٢٢.

إِلَّا ملك مُقَرَّب ، أَو نبي مرسل ، أَو عبد مؤمن امتحن الله قلبه للإِيمان»[١].

ودلالته ـ كدلالة سابقه ـ واضحة.

بل سيرتهم (صلوات اللّـه عليهم) قائمة على ذلك.

فانظر:

أَوَّلاً: بيان الإِمام الصَّادق عليه السلام ، عن سفيان الثُّوري ، قال: «سألتُ جعفر ابن محمَّد عليهما السلام عن (ن)[٢] ، فقال: **هو نهر في الجنَّة ... ثُمَّ قال** عزَّ وجلَّ **للقلم: أُكتب ، فسطر القلم في اللوح المحفوظ** ... قال سفيان: فقلتُ له: يابن رسول الله ، بَيِّن لي أمر اللوح والقلم والمداد فضل بيان ، وعَلِّمني مِـمَّا عَلَّمكَ الله. فقال: **يابن سعيد ، لولا أَنَّك أهل للجواب ما أَجَبْتُكَ ، فنون ... قال: ثُمَّ قال لي: قم يا سفيان فلا آمن عليكَ**»[٣].

ثانياً: بيان الإِمام الرِّضا عليه السلام[٤] ، عن عَلِيِّ بن الحسين بن فضَّال ، عن أَبيه ، قال: « سألت الرِّضا عليه السلام فقلتُ له: لِمَ كُنِّيَ النَّبيّ صلى الله عليه وآله بأَبي القاسم؟ فقال: **لأَنَّه كان له ابن يُقال له: قاسم ؛ فكُنِّي به.** قال: فقلتُ: يابن رسول الله ، فهل تراني أَهلاً للزيادة؟ فقال: **نعم ، أَمَا علمتَ أَنَّ رسول الله** صلى الله عليه وآله **قال:** « **أنا وَعَلِيٌّ أَبَوا هذه الأُمَّة** »؟ قلتُ: بلى. قال: **أَمَا علمتَ أَنَّ رسول الله** صلى الله عليه وآله **أَب لجميع أُمَّته ،**

---

(١) بحار الأَنوار ، ٢: ٧١/ ح٣٠.

(٢) الواردة في بيان قوله تعالىٰ: ﴿نٓ وَٱلۡقَلَمِ وَمَا يَسۡطُرُونَ﴾ [القلم: ١].

(٣) بحار الأَنوار ، ٥٤: ٣٦٨/ ح٥. معاني الأَخبار: ٢٣ .

(٤) لا بأس بالإِلتفات في المقام إِلى القضيَّة التَّالية وهي: أَنَّ المأمون العباسيّ لم يجعل الإِمام الرِّضا (صلوات اللّـه عليه) وليَّاً للعهد من تلقاء نفسه ، بل لضغط الشَّارع الإِسلامي ، وإِلَّا فلماذا لم يأتِ بأَحد فقهاء العامَّة ؛ أَو أَحَد رموزهم السياسيَّة.

وَعَلِيّ بمنزلته فيهم[١]؟ قلتُ: بلىٰ ، قال: **أَمَا علمتَ أَنَّ عليّاً قاسم الجنَّة والنَّار؟** قلتُ: بلىٰ . قال: **فقيل له: أَبو القاسم ؛ لأَنَّه أَبو قاسم الجنَّة والنَّار...**»[٢].

ودلالته ـ كدلالة سابقة ـ واضحة على أَنَّ الإِمام عليه السلام يراعي ـ في طرحه وضَخِّه للمعلومة ـ عقليَّة السَّائل ، واستعداده وقابليَّته ومدىٰ تحمِّله لمضامين بيانات الوحي ، وحقائقها الخطيرة المهولة غير المتناهية.

ثالثاً: بيانه عليه السلام أَيضاً ، عن الوشاء ، قال: «قال لي الرِّضا عليه السلام إِبتداءً: **إِنَّ أَبي كان عندي البارحة** ، قلتُ: أبوك؟ قال: **أَبي** ، قلتُ: أبوك؟ قال: **أَبي** ، قلتُ: أَبوك؟ قال: **في المنام ، إِنَّ جعفراً** عليه السلام **كان يجيئ إِلى أَبي فيقول: يا بني إِفعل كذا ، يا بني إِفعل كذا ، يا بني إِفعل كذا** ، قال: فدخلتُ عليه بعد ذلك فقال لي: **يا حسن ، إِنَّ منامنا ويقظتنا واحدة**»[٣].[٤]

---

(١) في العلل: «وَعَلِيٌّ عليه السلام **فيهم بمنزلته**». وفي العيون: «**وعَلِيٌّ** عليه السلام **منهم**».
أَقول: لعلَّ ما موجود في العيون هو الأَصَحُّ. (حاشية البحار).

(٢) بحار الأَنوار ، ١٦: ٩٥/ح٢٩. علل الشَّرائع: ٥٣ – ٥٤. معاني الأَخبار: ٢٠. عيون الأَخبار: ٢٣٨-٢٣٩.

(٣) بحار الأَنوار ، ٤٩: ٨٧/ح٤. قرب الإِسناد: ٢٠٢.

(٤) **ينبغي الإِلتفات**: أَنَّ مبنىٰ أَصحاب المدارس المعرفيَّة البشريَّة في باب البرزخ كان قائماً على تجرُّد عَالَم البرزخ تجرُّداً تامّاً. وَمِنْ ثَمَّ وقعوا في أَزمة معرفيَّة وعلميَّة من عدَّة جهات:
منها: أَنَّهم ذهبوا إِلى عدم تكامل عَالَم البرزخ. ←

ودلالته واضحة ، فإنَّه عليه السلام ذكر المنام تورية ؛ وذلك لضعف عقل السَّائل، كما أَشار عليه السلام إليه آخِراً.

← **والحقُّ**: أَنَّ عَالَمَ البرزخ من العوالم الماديَّة الجسمانيَّة ، بل له مادَّة غليظة. وحينئذٍ لا إشكال في قبوله للتكامل.
نعم ، عَالَمَ البرزخ من حيث الغلظة واللطافة ليس على طبقةٍ فاردة ، بل على طبقات.

توضيح لمضمون هذا البيان الثَّالث

ومضمون هذا البيان نفس مضمون بيان سيِّد الأَنبياء ﷺ ، عن أَمير المؤمنين عليه السلام ، قال: «... **أَيُّهَا اَلنَّاسُ ، خُذُوهَا عَنْ خَاتَمِ اَلنَّبِيِّينَ** ﷺ[1]: «**إِنَّـهُ**

---

(١) ينبغي الِالتفات في المقام إِلى التَّنبيهات التَّالية:

التَّنبيه الأَوَّل:

هَوْلُ وخطورة معرفة حقيقة سيِّد الأَنبياء ﷺ

معرفة حقيقة سيِّد الأَنبياء ﷺ ولو بالحدِّ الأَدنىٰ لازمة على كُلِّ مسلمٍ

إِنَّ معرفة حقيقة سيِّد الأَنبياء ﷺ لازمة وضروريَّة ولو بالمقدار الأَدنىٰ ، وتنعكس على إِسلام وإِيمان المُطَّلِع عليها إِنْ كان مسلماً فضلاً عن المؤمن ، لكنَّها ذُو شُعَب مَهُوْلَة وخطيرة ، وكُلَّمَا اِرتقت معرفة المخلوق بسيِّد الأَنبياء ﷺ كُلَّمَا اِرتقت معرفته بدين الإِسلام ظاهراً وباطناً ، فمن دون معرفته ﷺ لا يمكن معرفة مدىٰ عظمة دين الإِسلام ، بل ولا يمكن تصوُّر خلوده من دون معرفة مدىٰ خطورة أَدواره ﷺ ومهامِّه ومسؤوليَّاته في عوالم الخلقة والوجود ـ لاسيما العوالم الصَّاعدة ـ ومخلوقاتها غير المتناهية.

وعصارة القول: لا يمكن التَّمَسُّك بحقيقه دين الإِسلام وبالإِيمان مع التَّهاون بمعرفة حقيقة سيِّد الأَنبياء ﷺ.

التَّنبيه الثَّاني:

اِنحطاط معرفة المدارس البشريَّة بحقيقة سيِّد الأَنبياء ﷺ وبنبوَّته

إِنَّ معرفة سيِّد الأَنبياء ﷺ محلّ لغط لدىٰ البشريَّة في العصر الرَّاهن ؛ وذلك لاعتمادها على الثقافة النَّبويَّة لدىٰ مذاهب المخالفين ؛ فانحطَّت ـ والعياذ باللّٰـه تعالىٰ ـ معرفتهم بالنُّبوَّة وبحقيقته ﷺ.

بخلاف ما عليه مدرسة أَهل البيت (صلوات اللّـه عليهم) ؛ فإِنَّ معرفتها بالنُّبوَّة وبحقيقة سيِّد الأَنبياء ﷺ معرفة عظيمة ومهولة وخطيرة جِدّاً ، وتبني على أَنَّ الوارد في بيانات القران الكريم ، بل وفي بيانات السُّنَّة الشَّريفة: أَنَّ لتعريف حقيقته ﷺ وتعريف حقيقة نبوَّته أَجناساً وفصولاً وخواصّاً خطيرة ومُذهلة جِدّاً ، وأَخذت فيها أَركاناً ، منها:

١ـ إِنَّ بعض طبقات حقيقته ﷺ المتوسِّطة ملائكيَّة.

٢ـ إِنَّ بعض طبقات حقيقة ﷺ الصَّاعدة فضلاً عمَّا فوقها فوق حقيقة القرآن الكريم الصَّاعدة.

٣ـ إِنَّ طبقات حقيقته ﷺ الصَّاعدة مُحيطات وحي زخَّار لا تَنْزِف أَبداً ، وحقيقة القرآن الكريم ووحيه هطلة من نعيم جبال أَمواج محيطات حقيقته ﷺ الغيبيَّة الملكوتيَّة غير المتناهية.

التَّنبيه الثَّالث:

(الذّكر) أَحد نعوت سيِّد الأَنبياء وسائر أَهل البيت عليهم السلام

إِنَّ أَحد أَسمآء ونعوت سيِّد الأَنبياء ﷺ الواردة في بيانات القرآن الكريم: (الذكر)، ومن ثَمَّ: (أَهل الذكر) ، هم: أَهل بيت سيِّد الأَنبياء (صلوات اللّـه عليهم) ، كحال (يٰس) و(آل ياسين).

التَّنبيه الرَّابع:

جملة كُمَّل المخلوقات تحت أُمْرَت سيِّد الأَنبياء ﷺ وهيمنته وتعليمه

الآن جملة كُمَّل المخلوقات من أَنبياء وأَوصياء وأَصفياء عليهم السلام تحت أُمْرَت سيِّد الأَنبياء ﷺ وهيمنته وتعليمه.

وهذا ما تُشير إِليه بيانات الوحي ، منها:

أَوَّلاً: بيان قوله عزَّ مَنْ قائل: ﴿**فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا**﴾ [النساء: ٤١].

فإنَّ كلمة (على) الواردة في هذا البيان الشَّريف دالَّة على الإستعلاء والهيمنة ، ومعناه: أَنَّ الباريَّ تقدَّس ذكره أَعطىٰ لسيِّد الأَنبياء ﷺ أَمانة وصلاحيَّة وهيمنة على سائر كُمَّل المخلوقات ، بل كافَّة المخلوقات قبل هذا العَالَم الأَرضي ومعه وبعده من عوالم الخلقة غير المتناهية. وهذا أَحد الأَركان المُهمَّة الَّتي ينبغي أَخذها في تعريف ماهية وحقيقة نبوَّته ﷺ وماهيَّته وحقيقته ﷺ.

ثانياً: بيان زيارته ﷺ: «... **السَّلام على رسول اللّـه أَمين اللّـه على وحيه ، وعزائم أَمره ، الخَاتَم لِـمَا سبق ، والفاتح لِـمَا إستقبل ، والمهيمن على ذلك كُلّه ورحمة اللّـه وبركاته** ...». بحار الأَنوار ، ٩٨: ٢٠٩.

ودلالته قد إتَّضَحَت ؛ فإنَّه جيء بكلمة (على) في هذا المقطع من بيان الزيارة الشَّريفة في موردين: **أَوَّلهما**: «**أَمين اللّـه على وحيه ، وعزائم أَمره**». **ثانيهما**: «**والمُهيمن على ذلك كُلّه**» الدَّالَّة على الإستِعلاء والهيمنة على جملة أَنواع الوحي الإلٰهي والمعرفة الإلٰهيَّة والتَّوحيد ، منها: ما أُوحي إلى سائر الأَنبياء وجملة الأَوصياء عليهم السلام.

التَّنبيه الخامس:

ذات سيِّد الأَنبياء وذوات سائر أَهل البيت عليهم السلام بحور وحي زخَّارة لا تنقطع أَبداً

إنَّ نبوَّة سيِّد الأَنبياء ﷺ لا تنقطع أَبداً ما دام للّـه حاجة في خلقه.

وهذا ما تُشير إليه بيانات الوحي ، منها :

١ـ بيان قوله تعالىٰ ذكره: ﴿**قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ**﴾ [الكهف: ١١٠].

٢ـ بيان قوله ﷻ ذكره: ﴿**مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ * وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ**﴾ [النجم: ٢ـ٤].

ودلالته ـ كدلالة سابقه ـ واضحة ؛ فإنَّ مرجع ضمير (هو) ـ في الآية الثَّالثة كمرجعه في الآيتين السَّابقتين ، أَي: في كلمة (صاحبكم) و(ينطق) ـ ذات سيِّد الأَنبياء ﷺ ، وحيث عُبِّر عنها بـ: صيغة الفعل المضارع (يوحىٰ) الدَّال على

→ الإستمرار التَّجديدي التَّأبيدي دلَّ على أَنَّ ذات سيِّد الأَنبياء ﷺ بحر وحي لا نفاد ولا إنقطاع له أَبداً.

وهذه المكرمة الإلٰهيَّة تأتي أَيضاً في ذوات سائر أَهل البيت عليهم السلام ؛ فإِنَّ ذواتهم المُقدَّسة بحور وحي زَخَّارَة لا إِنْقِطَاعَ لها أَبد الآباد ودهر الدُّهور وعبر عوالم الخلقة غير المتناهية.

نعم ، وحي ذوَّاتهم (صلوات اللّٰـه عليهم) وحي علم لدنِّيّ ، كحال ذات سيِّد الأَنبياء ﷺ ؛ فإِنَّ فيها ينبوعين من الوحي الإِلٰهيّ: أَحدهما: وحي نبوَّة وبالواسطة. والآخر: وحي إِمامة إِلٰهيَّة وعلم لدنِّي ومن دون واسطة.

بعد الإلتفات: أَنَّ سيِّد الأَنبياء ﷺ كما هو نبيُّ الأَنبياء هو إِمام الأَئِمَّة ، وأَوَّل مصاديق عنوان (أَهل البيت صلوات اللّٰـه عليهم).

فانظر: بيانات الوحي ، منها:

١ـ بيان الإِمام الصَّادق عليه السلام ، عن صالح بن سهل ، قال: «كُنْتُ جالساً عنده فقال لي إبتداءً منه: **يا صالح بن سهل ، إِنَّ اللّٰـه جعل بينه وبين الرَّسول رسولاً ، ولم يجعل بينه وبين الإِمام رسولاً**. قال: قلتُ: وكيف ذاك؟ قال: **جعل بينه وبين الإِمام عموداً من نورٍ ينظر اللّٰـه به إِلى الإِمام ، وينظر الإِمام به إِليه ، فإِذا أَراد علم شيءٍ نظر في ذلك النُّور فعرفه**». بصائر الدرجات ، ٢: ٣٤٠ـ٣٤١/ ١٥٧١ـ٢.

٢ـ بيان الإِمام الهادي عليه السلام في أَجوبته على مسائل يحيىٰ بن أَكثم ، قال: «... وأَمَّا قوله: ﴿**وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ**﴾ [لقمان: ٢٧] **فهو كذلك ، لو أَنَّ أَشجار الدُّنيا أَقلام ، والبحر يمدّه سبعة أَبحر وانفجرت الأَرض عيوناً لنفدت قبل أَنْ تنفد كلمات اللّٰـه ... ونحن كلمات اللّٰـه الَّتي لا تنفذ ولا تدرك فضائلنا** ...». بحار الأَنوار ، ١٠: ٣٨٦ ـ ٣٩٠/ ح١. تحف العقول: ٤٧٦ ـ ٤٨١.

ودلالتهما واضحة.

إِذَنْ: وحي سيِّد الأَنبياء وسائر أَهل البيت (صلوات اللّٰـه عليهم) لا ينقطع أَبداً. ←

بل كُلَّمَا تصاعدت العوالم كُلَّمَا كانت نُبُوَّته ﷺ وإنباءه وإمامة أَهل البيت عليهم السلام ووحيها أَعظم وأَخطره ؛ فنُبُوَّته ﷺ وإنباءه وإمامة أَهل البيت عليهم السلام ووحيها في عَالَمَ البرزخ أَعظم وأَخطر من دون قياس من نُبُوَّته ﷺ وإنباءه وإمامة أَهل البيت عليهم السلام ووحيها في عَالَمَ الدُّنيا الأُولىٰ ، ونُبُوَّته ﷺ وإنباءه وإمامة أَهل البيت عليهم السلام ووحيها في عَالَمَ الرَّجعة أَعظم وأَخطر من دون قياس من نُبُوَّ ته ﷺ وإنباءه وإمامة أَهل البيت عليهم السلام ووحيها في عَالَمَ البرزخ ، ونُبُوَّته ﷺ وإنباءه وإمامة أَهل البيت عليهم السلام ووحيها في عَالَمَ القيامة أَعظم وأَخطر من دون قياس من نُبُوَّته ﷺ وإنباءه وإمامة أَهل البيت عليهم السلام ووحيُّها في عَالَمَ الرَّجعة ، ونُبُوَّته ﷺ وإنباءه وإمامة أَهل البيت عليهم السلام ووحيّها في عَالَمَ الآخرة الأَبديَّة أَعظم وأَخطر من دون قياس من نُبُوَّته ﷺ وإنباءه وإمامة أَهل البيت عليهم السلام ووحيّها في عَالَمَ القيامة ، ونُبُوَّته ﷺ وإنباءه وإمامة أَهل البيت عليهم السلام ووحيّها في العوالم الصَّاعدة لا سيما عوالم النُّور أَعظم وأَخطر من دون قياس من نُبُوَّته ﷺ وإنباءه وإمامة أَهل البيت عليهم السلام ووحيّها في عَالَمَ الآخرة الأَبديَّة.

وعلى هذا قس أَدواره ﷺ وأَدوارهم (صلوات اللّـه عليهم) ومسؤوليَّاتهم فكُلَّمَا تصاعدت العوالم عظمت وزاد خطرها وهولها أَكثر.

التَّنبيه السَّادس:

سيِّد الأَنبياء وسائر أَهل البيت عليهم السلام أَعظم ترجمان على الإِطلاق لوحي السَّمآء

إنَّ ما ورد في بيان زيارة سيِّد الأَنبياء ﷺ: «**السَّلَام على رسول اللّـه أَمين اللّـه على وحيه** ...». [بحار الأَنوار ، ٩٧: ١٤٨] برهانٌ وحيانيٌّ دالٌّ على أَنَّ سيِّد الأَنبياء ﷺ أَعظم ترجمان على الإِطلاق لوحي الذَّات الإِلٰهيَّة الأَزليَّة المُقدَّسة ، وعميد أُمناء ومسؤولي عَالَمَ جملة الوحي الإِلٰهيّ.

وبيانها: «**وعزائم أَمره**» برهانٌ وحيانيٌّ آخر دالٌّ على أَنَّه لا تُعهد الشؤون الإِلٰهيَّة المهولة والخطيرة إِلَّا لسيِّد الأَنبياء ﷺ وتبعاً له أَمير المؤمنين وبسائر أَهل البيت عليهم السلام ؛ لأَنَّهم منه: «بمنزلة الضَّوء من الضَّوء» [بحار الأَنوار ، ٦٤: ١٠٠] ، وما عداها

فتُعهد لسائر كُمَّل المخلوقات ، كـ: روح القدس ، واسرافيل ، وجبرئيل ، وميكائيل ، وعزرائيل ، وملك السَّمآء ، وملك المطر ، وهلمَّ جرّاً.

التَّنبيه السَّابع:

سيِّد الأَنبياء ﷺ عميد الأَنبياء عليهم السلام ومُربيهم ومُزكِّيهم ومُعلِّمهم

إنَّ ما ورد في بيان زيارة سيِّد الشُّهداء (صلوات اللّـه عليه) المُتضمِّنَة لزيارة جدِّه سيِّد الأَنبياء ﷺ: «**السَّلَام على أَمين اللّـه على رِسَالآته ، وعَزَائِم رُسُله ، ومَعْدِن الوحي والتَّنْزِيل** ...» [بحار الأَنوار ، ٩٧: ٣٣٦] برهانٌ وحيانيٌّ دالٌّ على أَنَّ العميد والمُشرف والمُراقِب والمُزكِّي والمُربِّي والمُعلِّم لجملة الأَنبياء والرُّسُل عليهم السلام ليس هو إلَّا سيِّد الأَنبياء ﷺ بطبقات حقيقته الصَّاعدة.

التَّنبيه الثَّامن:

قوالب بيانات الوحي المُشيرة لطبقات حقيقة سيِّد الأَنبياء ﷺ النَّازلة

إنَّ ما ورد في بيانات الوحي الواردة في حقِّ سيِّد الأَنبياء ﷺ ، منها :

أَوَّلاً: بيان قوله جلَّ قوله: ﴿**ذَلِكَ مِنْ أَنبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَامَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ**﴾ [آل عمران: ٤٤].

ثانياً: بيان قوله عزَّ قوله: ﴿**تِلْكَ مِنْ أَنبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنتَ تَعْلَمُهَا أَنتَ وَلَا قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَذَا فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ**﴾ [هود: ٤٩].

ثالثاً: بيان قوله عزَّ من قائل: ﴿**وَمَا كُنتَ تَتْلُو مِن قَبْلِهِ مِن كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذًا لَّارْتَابَ الْمُبْطِلُونَ**﴾ [العنكبوت: ٤٨].

رَابِعاً: بيان قوله عزَّ ذكره: ﴿**وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ**﴾ [الشورىٰ: ٥٢].

براهينٌ وحيانيَّةٌ ناظرة إلى المراتب النَّازلة من طبقات حقيقة سيِّد الأَنبياء ﷺ ، وكينونته البدنيَّة والنَّفسانيَّة النَّازلة.

وما ورد في بيانات الوحي الأُخرىٰ الواردة في حقِّه ﷺ أَيضاً ، منها :

١ـ بيان قوله جلَّ اسمه: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ [البقرة: ١٤٣].

٢ـ بيان قوله جلَّ ذكره: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا﴾ [النساء: ٤١].

٣ـ بيان قوله جلَّ وعزَّ: ﴿وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾ [الحج: ٧٨].

٤ـ بيان قوله جلَّ ثناؤه: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا * وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا﴾ [الأحزاب: ٤٥ـ٤٦].

براهينٌ وحيانيَّةٌ ناظرة إلى كينونة سيِّد الأنبياء ﷺ النُّوريَّة وطبقات حقيقته الصَّاعدة في عوالم النُّور.

وحقيقة سيِّد الأنبياء ﷺ النُّوريَّة الصَّاعدة تهيمن على جملة الحقائق والمخلوقات وعوالمها غير المتناهية، ومن ثَمَّ تُهيمن على أكمل مُطلق المخلوقات بعد حقيقته ﷺ حقيقة أمير المؤمنين عليه السلام بطبقاتها النوريَّة الصَّاعدة وغيرها، وتهيمن أيضاً على طبقات المخلوق الثَّالث بعد حقيقتيهما (صلوات اللّـه عليهما وعلى آلهما) حقيقة فاطمة الزَّهراء عليها السلام بطبقاتها النُّوريَّة الصَّاعدة وغيرها، وعلى هذا قس حال حقائق سائر أهل البيت عليهم السلام بحسب مراتبهم في الإصطفاء.

وهذه القوالب وما شاكلها الواردة في بيانات الوحي المعرفيَّة والعقليَّة لا يُتسامح معها في الاستظهارات المعرفيَّة والعقليَّة؛ لأنَّ اللُّغة المُستعملة في البحوث والأبواب المعرفيَّة والعقليَّة لغة معرفيَّة وعقليَّة وهي تختلف إختلافاً سنخيّاً عن اللُّغات الإعتباريَّة، منها: اللُّغة العرفيَّة.

وبالجملة: لا يوجد في مُداقَّة الألفاظ والعناوين والقوالب الواردة في أبواب المعارف الإلٰهيَّة وأبحاثها؛ والتَّدقيق فيها مُسامحة وتَسيُّب.

← **التَّنبيه التَّاسع:**

ما يستكنَّه النَّبيّ في بواطن ذاته أَعظم من جملة أَنواع الرياضات

وقع كثير من أَصحاب المعارف البشريَّة وأَصحاب النَّزعات الفلسفيَّة والعلمانيَّة والثقافيَّة في ورطة الإِخفاق بمعرفة حقيقة النَّبيّ ؛ فظنُّوا أَنَّ الأَنبياء عليهم السلام أُناسٌ انقياديِّون وتابعون ، وليست لديهم حريَّة التَّفكير وقوَّة الرَّاي ، وهذا التَّصوُّر أَثَّر على جملة من الفلاسفة القدماء ، فكانوا لا ينظرون ـ والعياذ باللّـه تعالىٰ ـ إِلى الأَنبياء عليهم السلام نظرة إِجلال وتعظيم ، فيعتقدون أَنَّ النَّبيَّ مُجرَّد مُتلقِّي للوحي ، ومُتعبِّد به أَكثر مِمَّا هو باحث عن الحقيقة ، وفاحص ومُنقِّب عنها ، ومُتفكِّر بها.

لكنَّها: ظنون فاسدة وخبط وخطأ واشتباه ، وتوهمات كاذبة أَملتها عليهم أَنفسهم الأَمَّارة بالسُّوء ، وجرأة على تلك الذَّوات المُقدَّسة لا تخفىٰ على ذي لبّ ، وهذه الظنون وأَمثالها جارية مجرىٰ من يُريد إِبْطَال نور الشَّمس بالنفخ فيها ؛ فإِنَّ المُتمعِّن في بيانات الوحي الزاهرة وسِيَر الأَنبياء الطَّاهرة يراها صارخة بخلاف ذلك ، وتحمل في طيَّاتها نظر الهُزء والسخرية بتلك الآراء ، وتبتسم ابتسامات الاستخفاف والإِزدراء بها ، فإِنَّ حقيقة الأَنبياء عليهم السلام شيء آخر ؛ فما يستكِنَّه النَّبيّ في بواطن ذاته أَخطر وأَعظم هولاً من دون قياس من جملة أَنواع الرِّياضات: العقليَّة والفكريَّة والرُّوحيَّة والنَّفسيَّة والبدنيَّة الصَّادرة من أَعظم المرتاضين عقليّاً وفكريّاً وروحيّاً ونفسيّاً وبدنيّاً.

وهذا ما تُشير إِليه بيانات الوحي ، منها :

بيان سيِّد الأَنبياء صلى الله عليه وآله: «... **ولا بَعَثَ اللّـهُ نبيّاً ولا رسولاً حتَّىٰ يستكمل العقل ، ويكون عقلُهُ أَفضل من جميع عقول أُمَّته. وما يُضْمِرُ النَّبِي في نفسه أَفضلُ من اِجتهاد المُجْتَهِدِين** ...». بحار الأَنوار ، ١: ٩١ ـ ٩٢/ح١٢. أُصول الكافي ، ١: ١٢/ح١١. ←

ومِنْ ثَمَّ ما ورد في بيانات الزِّيارات الواردة في حقِّ سيِّد الأَنبياء ﷺ: أَنَّ أَحَد أَوصافه ﷺ: (الفاحص عن المعرفة والتَّوحيد والغائص فيهما).

فانظر:

بيان زيارته ﷺ: «... **وعلى مُحَمَّدٍ الخالص من صفوتك ، والفاحص عن معرفتكَ ، والغائص المأمون على مكنون سريرتكَ بما أَوليته من نعمتكَ بمعونتكَ** ...». بحار الأَنوار ، ٩٩: ١٦٨.

إِذَنْ: أَحد الأَركان المُهمَّة الَّتي يجب أَخذها في تعريف حقيقة النُّبوَّة: تعقُّل النَّبيّ إِجمالاً وبشكلٍ فطريٍّ لجملة أَسرار الوحي والمعرفة الإِلٰهيَّة والتَّوحيد وحقائق الملكوت قبل أَنْ يوحىٰ إِليه تفصيلاً.

التَّنبيه العاشر:

حقائق أَهل البيت عليهم السلام على طبقات إِلى ما شآء اللّٰـه

هناك نُكْتَة مهمَّة جِدّاً ينبغي صرف النَّظر إِليها ، حاصلها: أَنَّ لخلقة سيِّد الأَنبياء ﷺ الجسمانيَّة عِدَّة طبقات ، منها: أَبدانه ﷺ الكُليَّة والجزئيَّة ، ونفوسه الكُليَّة والجزئيَّة ، وأَرواحه الكُليَّة والجزئيَّة ، وعقوله الكُلِّيَّة والجزئيَّة.

وعلى هذا قس خلقة سائر أَهل البيت (صلوات اللّٰـه عليهم) الجسمانيَّة.

وكذا قس حقائقه ﷺ وحقائقهم عليهم السلام النُّوريَّة ؛ فإِنَّها على طبقات أَيضاً.

ومنه تتَّضح: كثير من بيانات الوحي الدَّالَّة على أَنَّ طبقة من طبقات حقيقة سيِّد الأَنبياء ﷺ النُّوريَّة مُشتقَّة من طبقة أُخرىٰ من طبقات حقيقته النُّوريَّة ؛ أَو من طبقات أَنوار حقائق سائر أَهل البيت عليهم السلام الصَّاعدة ، وهكذا طبقة من طبقات حقيقته ﷺ النُّوريَّة الصَّاعدة اُشْتُقَّ منها العرش ، وطبقة أُخرىٰ من طبقات حقيقته ﷺ النُّوريَّة اُشْتُقَّت من تحت العرش.

فلاحظ: بيانات الوحي الواردة في النَّحو الأَوَّل ، منها:

يَمُوتُ مَنْ مَاتَ مِنَّا وَلَيْسَ بِمَيِّتٍ ، وَيَبْلَى مَنْ بَـلِـيَ مِنَّا وَلَيْسَ بِبَالٍ» ...»[1]. [2]

← بيان سيِّد الأَنبياء ﷺ: «... **فلَمَّا أَراد اللّـه بدء الصنعة فتق نوري فخلق منه العرش ، فنور العرش من نوري ، ونوري من نور اللّـه ، وأَنا أَفضل من العرش ...**». بحار الأَنوار ، ٢٥: ١٦ـ١٧/ ح٣٠.

ودلالته واضحة على أَنَّ العرش خُلِقَ من حقيقة سيِّد الأَنبياء ﷺ النُّورِيَّة الصَّاعِدة.

وانظر: بيانات الوحي الأُخرىٰ الواردة في النَّحو الثَّاني ، منها :

أَوَّلاً: بيان الإِمامين الباقر والصَّادق عليهما السلام: «**إِنَّ اللّـه خلق مُحَمَّداً من طينة جوهرة تحت العرش ...**». بحار الأَنوار ، ٢٥: ٨/ح١١. بصائر الدَّرجات ، ١: ٥٠/ح٦٤ ـ ١.

ثانياً: بيان الإِمام الصَّادق عليه السلام: «**لَـمَّا خلق اللّـه السَّماوات والأَرضين استوىٰ على العرش فأَمر نورين من نوره فطافا حول العرش سبعين مرَّة ، فقال عزَّ وجلَّ: هذان نوران لي مُطيعان ، فخلق اللّـه من ذلك النُّور مُحَمَّداً وعليّاً والأَصفياء من ولده** عليهم السلام **...**». بحار الأَنوار ، ٢٥: ٢١/ ح٣٣.

ودلالتهما واضحة ؛ على أَنَّ طبقة من طبقات حقيقة سيِّد الأَنبياء ﷺ النُّوريَّة خُلقت من تحت العرش.

وعليه: فَمَنْ أَراد أَنْ لا يختل مسيره البحثي عن حقيقة سيِّد الأَنبياء وحقائق سائر أَهل البيت (صلوات اللّـه عليهم) الإِطِّلاع على تعدُّد طبقات حقيقته ﷺ وطبقات حقائقهم عليهم السلام المُشار إِليها في بيانات الوحي.

(١) نهج البلاغة ، خ٨٦: ١٤٣.

(٢) إِنَّ معنىٰ ما ورد في هذا البيان الوحيانيّ الشَّريف وأَشباهه ونظائره ليس ما فهمه بعض العرفاء والصُّوفيَّة من أَنَّ أَهل البيت (صلوات اللّـه عليهم) لم يموتوا ولم يُدفنوا ، بل معناه: أَنَّهم (صلوات اللّـه عليهم) ماتوا ودُفِنُوا لكنَّهم بعد الموت وانتقالهم إِلى عَالَمِ البرزخ لم تمت ارتباطاتهم وتصرُّفاتهم في عَالَمِنا الأَرضي هذا ، ←

وبيان الإمام الباقر عليه السلام: «جاء **النَّاس إلى الحسن بن عَلِيّ عليهما السلام فقالوا: أَرِنا من عجائب أَبيك الَّتي كان يرينا ! فقال: وتؤمنون بذلك؟ قالوا: نعم ، نؤمن واللّـه بذلك. قال: أَلَيس تعرفون أَبي؟ قالوا جميعاً: بل نعرفه ، فرفع لهم جانب الستر فإذا أَمير المؤمنين عليه السلام قاعد ، فقال: تعرفونه؟ قالوا بأجمعهم: هذا أَمير المؤمنين عليه السلام ، ونشهد أَنَّك أنت ولي اللّـه حقّاً ، والإِمام من بعده ، ولقد أَريتنا أَمير المؤمنين عليه السلام بعد موته كما أَرىٰ أَبوك أبا بكر رسول اللّـه صلى الله عليه وآله في مسجد قبا بعد موته. فقال الحسن عليه السلام: ويحكم أما سمعتم قول اللّـه عزّ وجلّ: ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَكِنْ لَا تَشْعُرُونَ﴾[1] ، فإذا كان هذا نزل فيمن قُتِلَ في سبيل اللّـه ما تقولون فينا؟ قالوا: آمنَّا وصدَّقنا يابن رسول اللّـه**»[2].

وبيان الإِمام الصَّادق عليه السلام ، عن سماعة ، قال: «دخلتُ على أبي عبدالله عليه السلام وأنا أُحدِّث نفسي ، فرآني فقال: **مالك تُحَدِّث نفسكَ؟ تشتهي أَنْ ترىٰ أبا جعفر**؟ قلتُ: نعم ، قال: **قم ، فادخل البيت**. فدخلتُ فإذا هو أبو

← فيتصرَّفون (صلوات اللّـه عليهم) في هذه النَّشْأَة الأَرضيَّة ويُديرون ويُدبِّرون أَحوال وشؤون مخلوقاتها بأَبدانهم عليهم السلام البرزخيَّة كتصرُّفهم وإِدارتهم وتدبيرهم لأَحوالها وشؤونها قبل موتهم عليهم السلام ، وتبقىٰ ارتباطاتهم بهذه النَّشْأَة الأَرضيَّة على حالها من دون تغيُّر واختلاف.

وبهذا البدن البرزخي يتَّصل المعصوم منهم وهم في عَالَم البرزخ بالإِمام الحي ؛ كـ: الإِمام الحُجَّة ابن الحسن عجل الله تعالى فرجه الشريف.

(١) البقرة: ١٥٤.

(٢) بحار الأَنوار ، ٤٣: ٣٢٨ ـ ٣٢٩/ ح٨.

جعفر عليه السلام ، وقال: أَتىٰ قومٌ من الشِّيعة الحسن بن عَلِيّ عليهما السلام بعد قتل أَمير المؤمنين عليه السلام فسألوه فقال: **تعرفون أَمير المؤمنين إذا رأيتموه؟** قالوا: نعم ، قال: **فارفعوا الستر** ، فعرفوه فإذا هم بأَمير المؤمنين عليه السلام لا ينكرونه ، وقال أَمير المؤمنين: **يموت من مات مِنَّا وليس بميِّت ، ويبقىٰ من بقي مِنَّا حُجَّة عليكم**»[1].

وبالجملة: لو كانت حقيقة أَلفاظ بيان أَمير المؤمنين (صلوات اللّٰه عليه) المُتَقَدِّم وما شاكله محمولة على معانيها المجازيَّة ، ولا يصحُّ الإِعْتِقَاد والعمل بمعانيها وحقائقها الحقيقيَّة فَمَا الدَّاعي لأَمير المؤمنين (صلوات اللّٰه عليه) ـ والَّذي لم يجز في عدله وقسطه خرق بصرٍ في الهواء ، ولا همس قدمٍ في الأَرض إِلَّا بحقِّه ، وهو حامي الحقيقة ، والمجادل والمدافع عنها ، وباسط بساط العدل والجلالة ، والمحامي عن الدِّين ، وعن المسلمين من الوقوع في الضلال والزَّلل والزَّيغ والإِنْحِرَاف ـ إِلى بيانها بهذه الطَّريقة وبهذه الأَلفاظ المعرفيَّة والعقائديَّة الخطيرة الزلقة ، وتركها على إِطلاقها ، وهو أَمير الكلام ، ولم يُؤوِّل جُلّها هو ولا غيره من سائر أَهل البيت (صلوات اللّٰه عليهم) بعدما كان عليه السلام كثيراً ما يردّدها كما ورد ذلك في بياناتهم عليهم السلام ، وبعدما كان يُحتمل في حقِّ بعض المُكلَّفين حمل أَلفاظها على معانيها الحقيقيَّة ، والإِعتقاد والعمل بها ، ولازمه الوقوع في الزَّلل والزَّيغ والضلال والإِنحراف المعرفي والعقائديّ الخطير ، وقد حذَّرت بيناتهم عليهم السلام الشَّريفة من ذلك الأُسلوب.

---

(١) بحار الأَنوار ، ٢٧: ٣٠٣ ـ ٣٠٤/ ح٤. بصائر الدرجات: ٧٨ .

إِنْ قلتَ: إِنَّه بعدما كان اِستعمال اللَّفظ وإِرادة معانيه المجازيَّة أُسلوب من أَساليب أَهل البيان والفصاحة والبلاغة واللُّغة[1] فاستعمل أَمير

---

(١) سُمِّيت اللُّغة العربية بذلك لأَنَّ فيها اِظهار واعراب وبيان واِفصاح عمَّا تقتضيه الفطرة ، المُشار إِليها في بيانات الوحي ، منها :

١ـ بيان قوله عزَّ من قائل: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [النور: ٣٠].

٢ـ بيان أَمير المؤمنين (صلوات اللّـه عليه): «... **فبعث فيهم رسله ، وواتر إِليهم أَنبياءه ، ليستأدوهم ميثاق فِطرته ، ويذَكِّروهم منسيَّ نِعمته ، ويحتجُّوا عليهم بالتَّبليغ ، ويُثيرُوا لهم دفائن العقول ، ويُروهم آيات المقدِرَة** ...». نهج البلاغة ، الخطبة الأُولىٰ: ٤٥ـ ٤٦.

والفطرة عبارة عن ولاية اللّـه تعالىٰ ، وولاية سيِّد الأَنبياء ﷺ ، وولاية سائر أَهل البيت (صلوات اللّـه عليهم). وهذا هو دين اللّـه القويم.

فلاحظ: بيانات الوحي المعرفيَّة ، منها:

بيان تفسير الإِمام الصَّادق (صلوات اللّـه عليهم): «في قول اللّـه ﷻ: ﴿**فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا**﴾ [الروم: ٣٠] ، قال: **التَّوحيد ، ومُحَمَّد رسول اللّـه ، وعَلِيٌّ أَمير المؤمنين**». بحار الأَنوار ، ٣: ٢٧٨/ ح٩.

ومنه يتَّضح: عنوان ولفظ (العربي) ؛ فإِنَّ معناه: المؤمن ، وهو عنوان شامل لصاحب القوميَّة العربيَّة وغيره من الأَعاجم ؛ فبمقتضيات فطرته يعرب ويُفصِح عن إِيمانه باللّـه وبرسوله ﷺ ، وبأَهل البيت (صلوات اللّـه عليهم).

وإِلى هذا المعنىٰ تُشير بيانات الوحي الأُخرىٰ ، منها :

بيان الإِمام الصَّادق (صلوات اللّـه عليه): «... **إِنَّ العرب لا تبغض عليّاً** عليه السلام ...». [بحار الأَنوار ، ٨: ٢٢/ ح١٦. ثواب الأَعمال: ٢٠٢] أَي: أَنَّ المؤمنين بالله ←

المؤمنين عليه السلام ـ وهو إِمام البيان والفصاحة والبلاغة ـ أَلفاظ هذه البيانات الشَّريفة وأَراد معانيها المجازيَّة.

قلتُ: إِنَّه بعدما كان يُحتمل في حقِّ بعض المُكلَّفين قبل بيان التَّأويل والحمل على المعاني المجازيَّة الصَّادرة عن الإِمام الباقر عليه السلام مثلاً ، أَو مَنْ اِطَّلَعَ على بيان أَمير المؤمنين عليه السلام ولم يطَّلع على بيان الإِمام الباقر عليه السلام مثلاً ؛ الحامل له على معانيه المجازيَّة ، أَو اِطَّلَعَ على بيان أَمير المؤمنين (صلوات اللّـه عليه) ولم يكن هناك تأويل وحمل على المعاني المجازيَّة ، أَو قرينة صارفة عن هذه الأَلفاظ من قِبَلِه (صلوات اللّـه عليه) أَو من قِبَلِ سائر أَهل البيت (صلوات اللّـه عليهم) ؛ كما هو حال الجَمّ الغفير من هذه البيانات الوحيانيَّة الشَّريفة ، فإِنَّهم (صلوات اللّـه عليهم) أَطلقوها ولم يؤوِّلوها ويحملوها على معانيها المجازيَّة أَو يقرنوها بقرائن تصرفها عن معانيها الحقيقيَّة ، واِعْتَقَدَ وعمل هذا البعض بالمعاني الحقيقيَّة لأَلفاظها ، ولازمه الوقوع في الزَّلل والزَّيغ والضلال والاِنْحِرَاف المعرفي والعقائدي الخطير ، فعلىٰ العاقل اِجْتِنَاب هذا

← وبرسوله صلى الله عليه وآله وبسائر أَهل البيت عليهم السلام لا يبغضون أَمير المؤمنين وبقيَّة أَهل البيت عليهم السلام.

وكذا يتَّضح: عنوان ولفظ (الأَعجمي) ؛ فإِنَّ معناه: الضَّال ، ومنكوس الفطرة.

طبيعة اللُّغة العربيَّة ونُكْتَة اِخْتِيَارها لنزول القرآن بلسانها

وَمِنْ كُلّ هذا تتَّضح: نكتة نزول القرآن الكريم باللُّغة العربية ؛ فإِنَّها مُنفتحة بطبيعتها على معانٍ مُتعدِّدة ، وفيها بيان وإِحْكَام لم يُوجد في لغةٍ أُخرىٰ قَطُّ ، توصل إِلى حقائق غير متناهية.

الأُسلوب[١] ، وأَمير المؤمنين عليه السلام بعدما كان سيِّد العقلاء ورأس هرمهم بعد سيِّد الأَنبياء صلى الله عليه وآله ، وهو المعصوم الملتفت لهذه الإِحْتِمَالَات وغيرها ، ولم توجد ضرورة ملجئة إِلى إِستعمال هذا الأُسلوب في المقام ، فيحصل جزم ويقين من إِستعمالاته واستعمالات سائر أَهل البيت (صلوات اللّـه عليهم) في المقام إِرادتهم لمعانيها الحقيقيَّة.

وهذا برهان عقليٌّ ووجدانيٌّ دالٌّ على أَنَّ أَمير المؤمنين وسائر أَهل البيت (صلوات اللّـه عليهم) حينما يستعملون هذه الأَلفاظ والعناوين الوحيانيَّة في أَبواب المعارف والعقائد يقصدون بها معانيها الحقيقيَّة.

نعم ، إِذا ظهرت أَمارات عدم تحمُّل الطرف ، أَو عَلِمَ (صلوات اللّـه عليه) بعدم قابليَّته واستعداده لتحمُّل معانيها وحقائقها الخطيرة الزَّلِقَة أَوَّلها؛ دفعاً عن وقوعه في الزَّيغ والزَّلل والضَّلال والإِنْحِرَاف. بخلاف من له القابليَّة والإِستعداد على تحمُّل معانيها وحقائقها المهولة من خُلَّص شيعتهم (صلوات اللّـه عليهم) ـ كـ: سلمان ، وأَبي ذرّ ، وجابر الجعفي ـ فالإِمام عليه السلام يبقيها على حالتها من دون تأويل ، فلاحظ بياناتهم (صلوات اللّـه عليهم) ؛ الَّتي ذُكرت فيها أَلفاظ دالَّة على معاني وحقائق خطيرة ومهولة جِدّاً ، حاكية لعلوِّ مقاماتهم وشؤونهم وكمالاتهم وفضائلهم ، وكان الطرف من خُلَّص شيعتهم عليهم السلام فإِنَّك ستجدهم (صلوات اللّـه عليهم) يطلقونها ويُبَقُّونَها دالَّة

(١) أَي: إِطلاق الأَلفاظ وعدم حفِّها بقرائن دالَّة على معانيها المجازيَّة إِنْ كانت هي المقصودة.

على معانيها الحقيقيَّة من دون تأويل وحمل على معانيها المجازيَّة.

وهذه النُّكتة تجري في جملة بيانات الوحي الواردة في أَبواب المعارف إِنْ أَمكن حملها على معانيها الحقيقيَّة كما هو الحال في المقام.

ولكَ أَنْ تقول: إِنَّ الحقيقة على درجاتٍ وطبقاتٍ ومراتب غير متناهية: في البدو والسَّطح والظَّاهر ، والعمق والغور ، والباطن وباطن الباطن جميعها مرادة ، لكنَّ بيانها يكون من باب بيان الصَّحيح والأَصَحُّ ، والحقُّ والأَحقُّ ، **أَحدها**: إِبتدائيٌّ ؛ يُعطىٰ كمعلومة لضعفاء العقول ، كحال إِيصالها لتلامذة الصُّفوف الإِبتدائيَّة ـ كـ: (تأويل الأَلفاظ وحملها على معانيها المجازيَّة) ـ ؛ فإِنَّها[1] وإِنْ كانت حقَّة ، لكنَّها خالية من العمق والغور ، وهذا هو أُسلوب الوحي في إِيصال المعلومة لضعفاء المُكلَّفين ـ وإِنْ كان من المؤمنين ـ ؛ مِمَّن لا يتحمَّل مرتبة أَعلىٰ من العقائد والمعارف الإِلٰهيَّة.

وإِلى هذا تشير بيانات الوحي الأُخرىٰ ـ إِضافة إلى ما تقدَّم ـ منها:

١ـ بيان أَمير المؤمنين عليه السلام: «... **والله لو ناديتُ في عسكري هذا بالحقِّ الَّذي أَنزل الله على نبيّه ، وأَظهرته ودعوتُ إِليه ، وشرحتُهُ وفسَّرتُهُ على ما سمعتُ من نبيِّ الله صلى الله عليه وآله ما بقي فيه إِلَّا أَقَلَّه وأَذَلَّه وأَرذله ، ولاستوحشوا منه ، ولتفرَّقوا عنِّي...**»[2].

---

(١) مرجع الضَّمير: (المعلومة الإِبتدائيَّة المُعْطَاة لضعفاء العقول).
(٢) بحار الأَنوار ، ٧٢: ٤١٣/ ح٦٤.

وظاهره: أَنَّه (صلوات اللّـه عليه) ليس بناظرٍ إِلى مرتبة تنزيل وظاهر معاني وحقائق بيانات الوحي ، بل إِلى مراتب تأويلها وبواطنها وأُصول حقائقها ومآلاتها وغاياتها ، وبيان معانيها وحقائقها الخفيَّة الخطيرة المهولة ، الدَّالَّة على مقامات ومراتب حقائق أَهل البيت (صلوات اللّـه عليهم) الصَّاعدة ، وكمالاتهم وفضائلهم الرَّفيعة السَّامية ، الَّتي لا غاية لعددها ، ولا نهاية لمددها ، ولا نفاد لأمدها ، نور الأَنوار ، ومحل سرّ الأَسرار ، وعنصر الأَبرار ، والسَّبيل والمنهاج ، والماء الثَّجَّاج ، والبحر العَجَّاج ، والَّتي لا يرتقيها الحافر ، ولا يوفي عليها الطَّائر ، فتلك المعاني والحقائق إِنْ كُشف نقابها ، وبُيِّنت وشُرحت وفُسِّرت لِاسْتَوْحَشَ منها عسكره ومواليه وشيعته (صلوات اللّـه عليه) ، وتفرَّقوا عنه.

وأَلفاظ التَّنزيل ومعانيها وحقائقها وإِنْ كانت صحيحة وحقَّة ، لكن تأويلها وأصل حقائقها ومآلاتها وغاياتها ؛ ومعانيها الخفيَّة أَصحُّ وأَحَقُّ.

ومعناه: أَنَّ الإِلمام بالحقيقة على مراتب غير متناهية في بحورٍ موَّاجة ؛ لا يُدرك طرفها ، ولا يبلغ عمق غورها.

٢ـ بيان إِمضائه (صلوات اللّـه عليه) لِـمَا ذكره سلمان ﷺ: « دخل سلمانﷺ على أَمير المؤمنين فسأله عن نفسه ، فقال: **يا سلمان ، أَنَا الَّذي دُعيت الأُمم كُلّها إِلى طاعتي فكفرت فَعُذِّبَتْ بالنَّار ، وأَنا خازنها عليهم حقّاً، أَقول يا سلمان: إِنَّه لا يعرفني أَحَدٌ حقّ معرفتي إِلَّا كان معي في الملأ الأَعلىٰ** ... قال سلمان: يا أمير المؤمنين ، لقد وجدتُكَ في التوراة كذلك ، وفي

الإِنجيل كذلك بأَبي أَنْتَ وأُمِّي يا قتيل كوفان ، والله لولا أَنْ يقول النَّاس: واشوقاه ، رحم الله قاتل سلمان لقلتُ فيكَ مقالاً تشمئزُّ منه النُّفوس ؛ لأَنَّك حُجَّة الله الَّذي به تاب على آدم ، وبك أُنجي يوسف من الجبّ ، وأَنْتَ قصَّة أيوب ، وسبب تَغيُّر نعمة الله عليه... » [١].

٣ـ بيانه (صلوات اللّـه عليه) ، الوارد في حقِّ سلمـان ، مخاطباً أَبا ذرّ رضي الله عنه : «...فقال أَمير المؤمنين عليه السلام : **يا أَبا ذر ، إِنَّ سلمان لو حدَّثكَ بما يعلم لقلتَ: رحم الله قاتل سلمان ، يا أَبا ذر ، إِنَّ سلمان باب الله في الأَرض ، من عرفه كان مؤمناً ، وَمَنْ أَنكره كان كافراً ، وإِنَّ سلمان مِنَّا أهل البيت**»[٢].

ودلالتهما قد اتَّضحت ؛ فإِنَّهما ليسا بناظرين إِلى مرتبة التَّنزيل ؛ وظاهر معاني وحقائق بيانات الوحي ، بل إِلى درجات وطبقات ومراتب تأويلها وبواطنها وأُصول حقائقها ، ومآلاتها وغاياتها ، وبيان معانيها وحقائقها الخفيَّة الخطيرة المهولة ، الدَّالَّة على مقامات وطبقات ومراتب حقائق أَهل البيت (صلوات اللّـه عليهم) الصَّاعدة ، وكمالاتهم وفضائلهم الرَّفيعة السَّامية ، الَّتي إِنْ بيَّنها من اطَّلع عليها ـ كـ: سلمان ـ لزم عند الطَّرف الآخر ـ صاحب القابليَّة النَّازلة ، والإِستعداد الهابط ـ الحُكْم عليه بـ: الكفر والشرك والغلو ، ثمَّ استحلال دمه ، وهتك عرضه ، وسلب أَمواله. فأَيُّ خطورة وهول وعظمة ، وأَيُّ رفعة وكمال تتَّصف به مقامات وشؤون وأَحوال وحقائق أَهل البيت

---

(١) بحار الأَنوار ، ٢٦: ٢٩٢ ـ ٢٩٣/ ح٥٢. كنز الفوائد: ٢٦٤ ـ ٢٦٥.
(٢) بحار الأَنوار ، ٢٢: ٣٧٣ ـ ٣٧٤/ ح٢. رجال الكشي: ١٠.

صلوات الله عليهم. ولعلَّ سلمان مع ما له من مقام عظيم لو اطَّلع على ما في قلب أَمير المؤمنين (صلوات اللّـه عليه) لقال في حقِّه عليه السلام كما يقول أَبو ذر في حقِّه رضي الله عنه. وهذا ما تشير إِليه بيانات الوحي، الدَّالَّة على أَنَّ بعض مراتب علومهم (صلوات اللّـه عليهم) لا يتحمَّلها مخلوق قَطُّ إِلَّا هم صلوات الله عليهم.

فانظر :

بيان الإِمام الصَّادق عليه السلام، عن أَبي الصَّامت، قال: «سمعتُ أَبا عبدالله عليه السلام يقول: **إِنَّ من حديثنا ما لا يحتمله مَلَك مُقَرَّب، ولا نبيّ مُرسَل، ولا عبد مؤمن**. قُلْتُ: فَمَنْ يحتمله؟ قال: **نحن نحتمله**»[1].

إِذَنْ: هذه البيانات الوحيانيَّة الثلاثة دالَّة على أَنَّ الحقيقة ومعانيها وبياناتها على درجات وطبقات ومراتب غير متناهية في السَّطح والغور والباطن، تُعطىٰ وتُزرَّق للمخلوقات بقدر تحمُّلها واستعداداتها وقابليَّاتها.

هذا هو أُسلوب الوحي وأُسلوب رجالاته ـ كما هو أُسلوب العقلاء ـ في ضَخِّ المعلومة وإِيصالها للطَّرف.

٤ـ بيان الإِمام الصَّادق عليه السلام: «**إِنَّ أَمرنا سرّ مستتر، وسرٌّ لا يفيده إِلَّا السرّ، وسرٌّ على سرٍّ، وسرٌّ مقنع بسرٍّ**»[2].

٥ـ بيانه عليه السلام أَيضاً: «**إِنَّ أَمرنا هو الحقُّ، وَحَقُّ الحقِّ، وهو الظَّاهر،**

---

(١) بحار الأَنوار، ٢: ١٩٣/ ح٣٦.
(٢) المصدر نفسه: ٧١/ ح٣١.

وباطن الظَّاهر ، وباطن الباطن ، وهو السِّرُّ ، وسرُّ السِّرّ ، وسرُّ المستسر[١] ، وسرٌّ مقنَّعٌ بالسِّرِّ»[٢].

ودلالته ـ كدلالة سابقه ـ قد اِتَّضَحت ، وأَصبحت لا غبار عليها.

إِذَنْ: هذه وما شاكلها من الآيات والصفات والأَسماء الإِلٰهيَّة[٣] الَّتي

---

(١) في نسخة: (وسرّ المستتر).

(٢) بحار الأَنوار ، ٢: ٧١/ ح٣٣.

(٣) يجدر صرف النَّظر في المقام إِلى الأُمور التَّالية:

الأَمر الأَوَّل:

للحقائق وجودات أَربعة

قُرِّر في المباحث العقليَّة: أَنَّ للشيء الواحد وجودات أَربعة :

أَحد ها: الوجود الكتبي (النقشي).

ثانيها: الوجود اللفظي.

ثالثها: الوجود الذهني (المعنىٰ).

رابعها: الوجود الخارجي.

والأَوَّلان وجودان إِعتباريَّان ، والأَخيران وجودان حقيقيَّان ، نعم الوجود الذهني بداية الوجود الحقيقي.

ومنه يتَّضح: أَنَّ الوجودات الكتبيَّة لبيانات القرآن الكريم وللصِّفات والأَسمآء الإِلٰهيَّة وإِنْ كانت عظيمة ومُقدَّسة ويُحرَم على المُحدِث مسّها ، لكن عظمتها وقدسيَّتها أُفيضت عليها من قُدسيَّة العين الخارجيَّة والوجودات العينيَّة وحقائقها الصَّاعدة.

ومنه يتَّضح أَيضاً: أَنَّ مَنْ يلتفت إِلى هذه الأَقسام الأَربعة المُبدَّهة فستنفتح له آفاقاً لفهم اللُّغة العقليَّة. ←

← الأَمر الثَّاني:

الفارق بين الاِسم الإِلٰهيّ ومُسَمَّاه

إِنَّ الاسم الإِلٰهي ـ كـ: اسم (اللّـه) ـ مخلوق من المخلوقات الإِلٰهيَّة المُقدَّسة ، وليس هو المُسمَّىٰ ـ صاحب الذَّات الإِلٰهيَّة الأَزليَّة المُقدَّسة ـ ، بل نعت له وحاكٍ عنه ، وهو ـ الاسم الإِلٰهي ـ: نوع بهاء وجلال وجمال حاكٍ وكاشف عن بهاء وجلال وجمال الذَّات الإِلٰهيَّة المُقدَّسة.

نزوع فطرة المخلوق نحو الكمال المُطلق

ثُمَّ إِنَّ النزعة الفطريَّة لدىٰ جملة المخلوقات وفي كافَّة العوالم غير المُتناهية على شدَّتها وضعفها والهة ومُتحيِّرة ومُنجذبة ، وتنزع بشدَّة في سير دائم ومستمر نحو مطلق الكمال ، وهو: (الذَّات الإِلٰهيَّة الأَزلية المُقدَّسة) ، فلمعان غير المحدود هو الَّذي يقضُّ مضجع كُلّ محدودٍ للتكامل.

وإِلى هذا أَشارت بيانات الوحي ، منها :

١ـ بيان قوله تقدَّس ذكره: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الروم: ٣٠].

٢ـ بيانه عليه السلام: «... **وإِنَّ الملأ الأَعلىٰ يطلبونه كما تطلبونه أنتم**». بحار الأَنوار ، ٦٦: ٢٩٢.

ولابُدَّ للكمال من طريق ووسيلة ، ولا تتناهىٰ الوسائل والطرق إِلى حدٍّ. وحقائق أَهل البيت (صلوات اللّـه عليهم) لا سيما طبقاتها الصَّاعدة رأس هرم تلك الطرق والوسائل في جملة العوالم ولدىٰ جميع المخلوقات ؛ فلا يُمكن لمخلوقٍ البتَّة ولا لأَعماله وعباداته الوصول لساحة القدس الإِلٰهيَّة إِلَّا عن طريقها.

الأَمر الثَّالث:

اِستعمال الاسم الإِلٰهيّ طريقي وموضوعي ←

← إنَّ اِستعمال الاِسم الإِلٰهيّ كـ: اسم (اللّـه) على نحوين ، فتارة يُطلق ويُراد به المُسَمَّىٰ ، وما وراء الاِسم الإِلٰهيّ ، أي: الذَّات الإِلٰهيَّة الأَزليَّة المُقدَّسة ، وأُخرىٰ يُطلق ويُراد به نفس الاِسم الإِلٰهيّ ، وهو: مخلوق عظيم وخطير ومهول جِدّاً ، من مخلوقات عَالَمَ الأَسمآء والصِّفات الإِلٰهيَّة ، يحكي الذَّات الإِلٰهيَّة الأَزليَّة المُقدَّسة من وجهٍ ، مهيمن على ما تحته من عوالم ومخلوقات ، ويتصرَّف فيها تصرُّف اللَّطيف في الأَغلظ ، فهو: «داخل فيها لكن لا بالمزاولة والممازحة ، وخارج عنها لكن لا بالمزايلة والمفارقة».

والاستعمال الأَوَّل هو الأَكثر إِنسباقاً إِلى الذهن ، وهو استعمال آلي وطريقي للوصول إِلى ما وراء حقيقته وواقعيَّته الشَّريفة ، والاستعمال الثَّاني موضوعي.

ثُمَّ إِنَّه ينبغي الاِلتفات: أَنَّ الآليَّة والموضوعيَّة ليست في لفظ الاِسم الإِلٰهيّ المُقدَّس، ولا في معناه ، بل في ما وراء المعنىٰ من واقعيَّة وحقيقة مُقدَّسة ، فيُنظر إِلى تلك الواقعيَّة والحقيقة المُقدَّسة تارة بما هو آية وعلامة مشير وحاكي للذَّات الإِلٰهيَّة الأَزليَّة المُقدَّسة ، وأُخرىٰ بما هو هو كواقعيَّة وحقيقة ووجود مُقدَّس ، مخلوق خطير ومهول وعظيم جِدّاً من عَالَمَ الأَسمآء والصِّفات الإِلٰهيَّة ؛ عَالَمَ السَّرمد والأَزَل ، والمُعبَّر عنه في بيانات الوحي بـ: عنوان: (عنده). فالتفت.

الأَمر الرَّابع:

وحدة حقيقة الصِّفات الإِلٰهيَّة وما يُسانخها من حقائق الأَسمآء الإِلٰهيَّة

سيأتي (إِنْ شاء اللّـه تعالىٰ) في مبحث: (الصِّفات والأَسماء الإِلٰهيَّة): أَنَّ الصِّفات الإِلٰهيَّة وما يُسانخها من الأَسماء الإِلٰهيَّة ، كـ: صفة (الأُلوهيَّة) واسم (اللّـه) ، و(القيُّوميَّة) و(القيوم) مُتَّحدان ذاتاً متغايران بالاِعتبار الذِّهني ، كحال: اسم المصدر والمصدر بلحاظ معناهما وواقعهما عند مشهور الأُصوليِّين ؛ فإِنَّهم قالوا: إِنَّهما مُتَّحدان ودالَّان بلحاظ المعنىٰ والواقع على الحدث فحسب ، والتَّكثُّر يحصل في اللِّحاظ الذِّهني ؛ فإِنْ لاحظ الذهن الحدث بما هو شيء في نفسه مع قطع النَّظر ←

عن كونه وصفاً للغير أُطلق عليه: (اسم مصدر). وإنْ لاحظه بما هو حالة للغير ـ أَعمّ من أَنْ يكون ذلك الغير فاعل الحدث أَو الَّذي وقع عليه الحدث ـ أُطلق عليه: (مصدر) ، ومن ثَمَّ تكون جميع المصادر معانٍ حرفيَّة.

وهذه الضَّابطة ذكرها صاحب الكفاية.

وللتَّوضيح: لاحظ المثالين التَّاليين:

١ـ عطاء (اسم مصدر). أَعطىٰ ، وإعطاء (مصدر).

٢ـ نبات (اسم مصدر). أَنبت ، وإنبات (مصدر).

هكذا حال الصِّفات والأَسماء الإلٰهيَّة المسانخة لها ، فإنَّهما مُتَّحدان ذاتاً وواقعاً ، ومتغايران بالاعتبار واللِّحاظ الذِّهني ، فإنَّ الذِّهن إنْ لاحظ الصِّفة الإلٰهيَّة من دون نسبتها إلى الذَّات الإلٰهيَّة الأَزليَّة المُقَدَّسة عُبِّرَ عنها: (صفة إلٰهيَّة) ، مثالها: (القيُّوميَّة). وإنْ لاحظها منسوبة إلى الذَّات الإلٰهيَّة الأَزليَّة المُقَدَّسة عُبِّرَ عنها: (اسم إلٰهيّ) ، مثالها: (القَيُّوم).

الأَمر الخامس:

دولة الأَسمآء الإلٰهيَّة

إنَّ المراد من أَيَّام الأَسمآء الإلٰهيَّة الواردة في بيانات الوحي كبيان قوله تعالىٰ: ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ [الرحمن: ٢٩]: عوالم وتجلِّيات الأَسمآء والصِّفات الإلٰهيَّة. ويُعبِّر عنها أَهل المعرفة بـ: (دولة الأَسمآء).

ثُمَّ إنَّ يوم الأَسمآء والصِّفات الإلٰهيَّة أَعظم من يوم عَالَم القيامة المُشار إليه في بيان قوله تعالىٰ: ﴿تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ [المعارج: ٤].

الأَمر السَّادس:

لُمطلق الفعل الإلٰهيّ حركة

إنَّ ما ورد في بيان قوله تعالىٰ: ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾ [الفجر: ٢٢] برهانٌ وحيانيٌّ دالٌّ على أَنَّ لفعل اللّـه ـ لا لذاته سبحانه وتعالىٰ ـ حركة.

لكن: ذهب المُجَسِّمَة (والعياذ باللّـه تعالىٰ) إلى ثبوتها للذَّات الإلٰهيَّة الأَزليَّة المُقدَّسة أَيضاً (سبحان اللّـه وتعالىٰ عن ذلك علوّاً كبيراً).

الأَمر السَّابع:

تنزُّه الذَّات الـمُقدَّسة عن مُطلق صفات المخلوقات

إنَّ الباري ـ المُسَمَّىٰ ـ تقدَّس ذكره مُنَزَّه عن جملة مخلوقاته ، منها: الأَسمآء والصِّفات الإلٰهيَّة ؛ فعليَّة كانت أَم ذاتيَّة ؛ فإنَّ في الأَسمآء والصِّفات الذَّاتيَّة ـ فضلاً عن غيرها ـ تعدُّد وكثرة ، والكثير غير الواحد ، والواحد مُنَزَّه عن الكثير ؛ لأَنَّ الكثير يعني: حدود و نهايات وفواصل ، وهذه وإِنْ لم تكن حدود خلقيَّة ؛ لكنَّها نمط من الحدود ؛ فإِنَّها وإِنْ كانت غير متناهية في نفسها ، لكنَّها في قِبَال بعضها الآخر لها نهايات وحدود ، وهذه النهايات والحدود ليست بنهايات وحدود خلقيَّة ، بل حدود وتناهي الشؤون الإلٰهيَّة ، فالاسم الإلٰهيّ (الأَوَّل) ـ مثلاً ـ وإِنْ كان غير متناهي بنفسه وبالأَوَّليَّة ، لكنَّه إذا قوبل بالاسم الإلٰهيّ (الآخر) ـ مثلاً ـ صار متناهياً ومحدوداً ؛ فلا يغني ذكر الاسم الإلٰهيّ (الأَوَّل) عن الاسم الإلٰهيّ (الآخِر)، وكذا العكس ، وهكذا لا يُغني ذكرهما عن ذكر الاسم الإلٰهي (الحي) ـ مثلاً ـ ، وهذه الثلاثة لا يُغني ذكرها عن ذكر الاسم الإلٰهيّ (العَالِم) ـ مثلاً ـ ، وهلمَّ جرّاً ، وهذا يدلُّ على أَنَّ الكمال الموجود في وصف الأَوَّل والأَوَّليَّة ـ مثلاً ـ لا يُغني عن كمال سائر الأَسمآء والصِّفات الإلٰهيَّة ، ولا يستوعب كافَّة كمالات الذَّات الإلٰهيَّة الأَزَليَّة المُقدَّسة. ومعناه: أَنَّ كمال اللّـه ـ المُسَمَّىٰ ـ جلَّ شأنه أَوسع وأَعظم من جملة كمالات الأَسمآء والصِّفات الإلٰهيَّة ، ويُحيط بها ، فعليَّة كانت ـ تلك الأَسمآء والصِّفات ـ أَم ذاتيَّة.

ويُعبِّر أَهل المعرفة ـ اِقتباساً من بيانات الوحي ـ عن هذه القضيَّة بـ: (دولة الأَسمآء) ، ومعناه: أَنَ لِكُلِّ اسمٍ إلٰهيٍّ وصفةٍ إلٰهيَّة دولته.

وهذا ما تُشير إِليه بيانات الوحي ، منها:
١ـ بيان قوله تعالىٰ: ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ [الرحمن: ٢٩].
٢ـ بيان دعاء الافتتاح: «... **ايقنتُ أَنَّك أَنْتَ أَرحم الرَّاحمين في موضع العفو والرَّحمة ، وَأَشَدُّ المُعاقبين في موضع النَّكَال والنَّقِمَة ، وأَعظم المُتَجَبِّرين في موضع الكبرياء والعظمة** ...». بحار الأَنوار ، ٩٤: ٣٣٧. كتاب الاقبال: ٤٧ ـ ٥٧.
ود لالتهما قد اِتَّضحت.
وهذا بخلاف ما تخرَّصته الأَشاعرة ـ والعياذ باللّـه تعالىٰ ـ ؛ فإِنَّهم ذهبوا إِلى خواء الذَّات الإِلٰهيَّة المُقدَّسة من الكمالات ، وأَنَّ كمالها بالصِّفات الإِلٰهيَّة.
والحقُّ: أَنَّ الذَّات المُقدَّسة جامعة لكافَّة الكمالات ، وكمالات الأَسمآء والصِّفات الإِلٰهيَّة مُتَرشِّحة منها. وتصوير هذه الدِّرجة ـ مع أَنَّها مذكورة في بيانات الوحي ـ عصت على أَصحاب مدارس البشر المعرفيَّة ، منهم: المُلّا صدرا والسيِّد الطباطبائي. نعم هضمها بدرجةٍ ما أَهل المعرفة.
ومنه يتَّضح: أَنَّه لم يُنزِّه الذَّات المُقدَّسة مخلوق قَطُّ عبر جملة العوالم كما نزهه أَهل البيت (صلوات اللّـه عليهم).

الأَمر الثَّامن:

نفي التَّعطيل والتَّشبيه في مقام الأَسمآء والصِّفات والأَفعال الإِلٰهيَّة

نفي التَّعطيل والتَّشبيه في مقام الشَّهادات الثَّلاث

شمول كلمة التَّوحيد للشَّهادات الثَّلاث

الثَّابت في بيانات الوحي: أَنَّ التَّعطيل والتَّشبيه كما أَنَّهما باطلان في مقام توحيد ومعرفة الذَّات الإِلٰهيَّة الأَزَليَّة المُقدَّسة باطلان أَيضاً في مقام الأَسمآء والصِّفات والأَفعال الإِلٰهيَّة.
ومعناه: عدم كفاية نفي التَّعطيل والتَّشبيه في مقام أَصل المعرفة الإِلٰهيَّة ، بل أَنْ يُضاف إِليها نفيهما في مقام الأَسمآء والصِّفات والأَفعال الإِلٰهيَّة ، وحيث إِنَّ الولاية الإِلٰهيَّة فعل من الأَفعال الإِلٰهيَّة فَمَنْ ينفيها ويجحدها وينفي مقام نصب القيادة

الإسلاميَّة فقد عطَّل اللّـه ﷻ والتَّوحيد ـ ليس في مقام وصعيد التَّشريع فحسب ، بل و ـ في مقام وصعيد التَّنفيذ والتَّكوين والأَفعال الإلٰهيَّة ، ويكون حاله كحال اليهود القائلين ـ والعياذ باللّـه تعالىٰ ـ: أَنَّ اللّـه مغلوب على أَمره ، ويده مغلولة في مقام الأَفعال ، لا سيما الأَفعال الكُبرىٰ: المجتمعيَّة والحضاريَّة والمُتعلِّقة بمصير البشريَّة والبيئة والنَّشْأَة الأَرضيَّة والكون ، قال تعالىٰ: ﴿**وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنْفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ**﴾ [المائدة: ٦٤].

ودلالته واضحة.

وبالجملة: النُّبوَّة مظهر توحيدي في مقام تشريع الأَحكام الإلٰهيَّة ، والإمامة مظهر توحيدي أَيضاً لكن في مقام الولاية والحاكميَّة الإلٰهيَّة وتطبيق الأَحكام الإلٰهيَّة ، ومن ثَمَّ من لم يعتقد بخليفة اللّـه لم يعتقد بتوحيد الله (تعالى ذكره).

وإلى هذا أَشارت بيانات الوحي ، منها:

بيان الإمام الرِّضا (صلوات اللّـه عليه) ، عن إسحاق بن راهويه ، قال: «لَـمَّا وافىٰ أَبو الحسن الرِّضا عليه السلام نيسابور وأَراد أَنْ يخرج منها إلى المأمون اجتمع عليه أَصحاب الحديث ، فقالوا له: يابن رسول اللّـه ترحل عنَّا ولا تُحدِّثنا بحديثٍ فنستفيده منك ـ وكان قد قعد في العماريَّة ـ فَأَطْلَع رأسه وقال: **سمعتُ أَبي موسىٰ ابن جعفر سمعت يقول: سمعتُ أَبي جعفر بن مُحمَّد يقول: سمعتُ أَبي مُحمَّد بن عَلِيّ يقول: سمعتُ أَبي عَلِيّ بن الحسين يقول: سمعتُ أَبي الحسين بن عَلِيّ ابن أَبي طالب يقول: سمعتُ أَبي أَمير المؤمنين عَلِيّ بن أَبي طَالب** ـ عليهم السلام ـ **يقول: سمعتُ رسول اللّـه** صلى الله عليه وآله **يقول: سمعتُ جبرئيل يقول: سمعت اللّـه** ﷻ **يقول: لا إِلٰه إِلَّا اللّـه حِصْنِي ، فَمَنْ دَخَلَ حِصْنِي أَمِنَ عذابي . قال: فلمَّا مرَّت الرَّاحلة نادانا: بشروطها ، وأَنَا من شروطها**». بحار الأَنوار ، ٣: ٧/ ح١٦.

وهذا برهانٌ وحيانيٌّ دالٌّ على أَنَّ كلمة التَّوحيد (لَا إِلٰه إِلَّا اللّـه) ليست تهليل وتوحيد في مقام الذَّات الإلٰهيَّة الأَزليَّة المُقدَّسة وأَصل المعرفة الإلٰهيَّة فحسب ، بل وفي مقام الصِّفات والأَسمآء والأَفعال الإلٰهيَّة كتشريع الأَحكام الإلٰهيَّة وهو

مضمون الشَّهادة الثَّانية ، وولاية اللّـه ﷻ وحاكميَّته وتطبيق الأَحكام الإِلٰهيَّة ، وهو مضمون الشَّهادة الثَّالثة.

ومنه يتَّضح: الجَمّ الغفير من بيانات الوحي ، منها:

١ـ بيان الحديث القدسي الوارد في حديث المعراج: «... **يا مُحَمَّد ، إِنَّك رسولي إِلى جميع خلقي ، وإِنَّ عليّاً وليِّي وأَمير المؤمنين ، وعلى ذلك أَخَذتُ ميثاق ملائكتي وأَنبيائي وجميع خلقي وهم أَرواح من قبل أَن أَخلق خلقاً في سمآئي وأَرضي** ...». بحار الأَنوار ، ١٨: ٣٩٩/ ح١٠١. المحتضر: ١٤٣ ـ ١٤٦.

٢ـ بيان الحديث القدسي أَيضاً ، عن الإِمام الباقر عليه السلام ، قال: «**إِنَّ اللّـه تبارك وتعالىٰ حيث خلق الخلق ... أَخذ الميثاق على النَّبيِّين فقال: أَلستُ بربِّكم؟ ثُمَّ قال: وأَنَّ هذا مُحَمَّد رسول اللّـه ، وأَنَّ هذا عَلِيّ أَمير المؤمنين؟ قالوا: بلىٰ ، فثبتت لهم النُّبوَّة ، وأَخذ الميثاق على أُولي العزم: أَنِّي ربّكم ، ومُحَمَّد رسول اللّـه ، وعَلِيّ أَمير المؤمنين وأَوصياؤه من بعده ولاة أَمري وخُزَّان علمي... قالوا: أَقررنا وشهدنا يا ربّ ...**». بحار الأَنوار ، ٢٦: ٢٧٩/ ح٢٢. بصائر الدَّرجات: ٢١.

٣ـ بيان سيِّد الأَنبياء مُخاطباً أَمير المؤمنين (صلوات اللّـه عليهما وعلى آلهما): «**يا عَلِيّ، أَنتَ خير البشر ، لا يشكَ فيك إِلَّا كافر**». بحار الأَنوار ، ٢٦: ٣٠٨/ ح٧٢. المحتضر: ١٥١.

٤ـ بيانه صلى الله عليه وآله أَيضاً: «**المُخالف لِعَلِيّ بعدي كافر ، والشَّاكّ به مُشرك مغادر**...». بحار الأَنوار ، ٢٧: ٢٢٦/ ح٢٢. مشارق الأَنوار: ٨.

٥ـ بيان أَمير المؤمنين (صلوات اللّـه عليه): «... **وإِنَّ العرش لم يستقرَّ حتَّىٰ كتب عليه بالنُّور: لا إِلٰه إِلَّا اللّـه ، محمَّد رسول اللّـه ، عَلِيّ ولي اللّـه**». بحار الأَنوار ، ٢٥: ١٧٤/ ح٣٨.

٦ـ بيان الإِمام الباقر (صلوات اللّـه عليه): «... **كان اللّـه ولا شيء غيره ولا معلوم ولا مجهول ، فأَوَّل ما ابتدأ من خلق خلقه أَنْ خلق مُحَمَّداً صلى الله عليه وآله وخلقنا أَهل البيت معه من نوره وعظمته ... ثُمَّ بدا اللّـه تعالىٰ ﷻ أَنْ يخلق المكان فخلقه ، وكتب على المكان: لا إِلٰه إِلَّا اللّـه ، مُحَمَّد رسول اللّـه ، عَلِيّ أَمير المؤمنين ووصيَّه ... ثُمَّ خلق اللّـه العرش فكتب على سرادقات العرش مثل ذلك ، ثُمَّ خلق**

السَّمآوات فكتب على أَطرافها مثل ذلك ، ثُمَّ خلق الجنَّة والنَّار فكتب عليها مثل ذلك ، ثُمَّ خلق الملائكة وأَسكنهم السَّمآء ، ثُمَّ تراءىٰ لهم اللّـه تعالىٰ وأَخذ عليهم الميثاق له بالربوبيَّة ، ولمُحمَّد ﷺ بالنُّبوَّة ، ولِعَليّ عليه السلام بالولاية ... ثُمَّ إنَّ اللّـه ﷻ خلق الهواء فكتب عليه: لا إِلٰه إِلَّا اللّـه ، مُحمَّد رسول اللّـه ، عَلِيّ أَمير المؤمنين وصيَّه ... ثُمَّ خلق اللّـه الجنّ وأَسكنهم الهواء وأَخذ الميثاق منهم بالرُّبوبيَّة ، ولمُحمَّدٍ ﷺ بالنُّبوَّة ، ولِعَليٍّ عليه السلام بالولاية ... ثُمَّ خلق اللّـه تعالىٰ الأَرض فكتب على أَطرافها: لا إِلٰه إِلَّا اللّـه ، مُحمَّد رسول اللّـه ، عَلِيّ أَمير المؤمنين وصيّه ... فبذلك ... قامت السَّماوات بغير عمد وثبتت الأَرض ، ثُمَّ خلق اللّـه تعالىٰ آدم عليه السلام ... ثُمَّ أَخرج ذرِّيَّته من صلبه فأَخذ عليهم الميثاق له بالربوبيَّة ، ولمُحمَّدٍ ﷺ بالنُّبوَّة ، ولِعَلِيٍّ عليه السلام بالولاية ، أَقرَّ منهم مَنْ أَقرَّ ، وجحد مَنْ جَحَد ...». بحار الأَنوار ، ٢٥: ١٧ـ٢٠/ ح٣١.

ودلالة الجميع واضحة على أَنَّ هناك تقارن وترابط أَكيد بين الأَركان الثَّلاثة لكلمة التَّوحيد ـ أَي: الشَّهادات الثَّلاث ـ ؛ مأخوذة بشرط المجموع.

الأَمر التَّاسع:

توجُّه المخلوق لغير باريه إِحدىٰ ترجمات الأُلوهيَّة

هناك عِدَّة تراجم لمعنىٰ الأُلوهيَّة ، منها: أَنَّه ما أَنْ يصمد المخلوق ويتوجَّه لواقعيَّة أَو غيرها إِلَّا وقد أَلَّهها ، فما أَنْ يضع المخلوق إِصْبَعه على مخلوق آخر أَو اِعتقد باستقلاليَّته واِنحيازه عن ساحة القدس الإِلٰهيَّة وأَنَّ له كيانه الخاص إِلَّا وقد أَلَّه ، بل ما أَن يتخرَّص في ذهنه أَو يتوَهَّم اِستقلاليَّة ذاته أَو غيرها إِلَّا وقد أَشرك باللّـه ﷻ واِرْتَطَم بدَرَكَة من دَرَكَات الشرك الخفي ، وكان مصداقاً لبيانات الوحي الواردة في المقام ، منها: بيان قوله تعالىٰ: ﴿**وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّـهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ**﴾ [يوسف: ١٠٦].

إِذَنْ: هناك ترجمة أُخرىٰ للأُلوهيَّة يجدر الاِلتفات إِليها ، حاصلها: أَنَّه ما أَن يظنّ المخلوق باستقلاليَّة ذاته أَو استقلاليَّة مخلوق ما عن ساحة القُدس الإِلٰهيَّة إِلَّا وقد أَلَّه ذاته أَو ذلك المخلوق ، وأَشرك في باريه العزيز الجبَّار.

وبالجملة: معنىٰ تأليه غير اللّـه ـ المُسَمَّى ـ تبارك وتعالىٰ: صمود المخلوق وتوجهه لغير باريه ـ المُسَمَّىٰ ـ ﷻ.

الأَمر العاشر:

اِستحالة معرفة الذَّات المُقدَّسة بالكُنْه

اِمكانيَّة معرفة الذَّات الإِلٰهيَّة من وجهٍ

هناك معضلة رشيقة ودقيقة وعميقة تدقّ غموضاً ذكرها العرفاء والصُّوفيَّة ، أَصلها مقتبس من بيانات الوحي ، لكنَّهم اتَّبعوا بعض السنة تلك البيانات فارتطموا بمحذور التَّعطيل الخفي ؛ فقالوا: إِنَّ غيب الغيوب لا يظهر أَبداً ؛ لأَنَّ لازم كُلّ ظهورٍ وإِثبات تعيُّن وتحديد وتقوقع ، والباري سبحانه وتعالىٰ لا يُحدُّ بأَيِّ تعيُّن ، فلا ظهور ولا حكاية ولا معرفة له سبحانه. وهذا ما تُشير إِليه بيانات الوحي ، منها: بيان سيِّد الأَنبياء ﷺ: «... **وما عرفناك حقّ معرفتك**». بحار الأَنوار ، ٦٨: ٢٣.

فإِنَّ (ما) الواردة في هذا البيان الشَّريف نافية لإِمكان معرفته (سبحانه وتعالىٰ) ، وتعيينه.

والحقُّ: أَنَّ (ما) في هذا البيان الشَّريف وإِنْ كانت نافية للمعرفة ، لكنَّها نافية لشطر من المعرفة ، وهو: معرفة الذَّات الإِلٰهيَّة الأَزليَّة المُقدَّسة بالكُنْه والاكتناه ، فلا يُمكن معرفة ذاته (ﷻ) بالكُنْه ؛ وبأَوصاف عين ذاته المُقدَّسة تحقُّقاً. وهذا أَحد تفاسير بيان قوله جلَّ قوله: ﴿**وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ**﴾ [آل عمران: ٢٨] .

وهذا المقدار لا ينفي إِمكان معرفة الذَّات الإِلٰهيَّة المُقدَّسة بالآيات ومن وجه ، ولا يلزم منه التعيين ؛ لأَنَّه بعد ما كانت ذات الباري ﷻ غير متناهية وغير محدودة كانت حكايته بالآيات والأَسمآء والصِّفات الإِلٰهيَّة ومرادفاتها الإِلٰهيَّة العقليَّة غير متناهية وغير محدودة أَيضاً ؛ فلا تعيين ولا تحديد ولا تقوقع للذَّات المُقدَّسة.

ولعلَّ معنىٰ الاسم الإلٰهيّ المستأثر والمستتر ـ والَّذي هو باطن لا يظهر أَبداً وأَزلاً ولا يطَّلع عليه أَحد ـ بهذا اللِّحاظ ؛ فلا ظهور له ؛ لأَنَّه لا وقوف له ولا تناهي ولا محدوديَّة في إرائته وحكايته للذَّات المُقدَّسة بعدما كانت فوق ما لا يتناهىٰ بما لا يتناهىٰ مُدَّة وعُدَّة وعِدَّة. وهذا لا يستلزم تعيين ولا تحديد ولا تقوقع ، ولا تشبيه ولا تعطيل.

الأَمر الحادي عشر:

شمول بيانات الوحي المعرفيَّة لجملة العوالم وكافَّة المخلوقات

إنَّ ما ورد في بيان أَمير المؤمنين (صلوات اللّٰـه عليه): «... **إنَّ ربِّي لا يوصف بالبُعد ... هو في الأَشياء على غير ممازجةٍ ، خارج منها على غير مباينةٍ ... داخل في الأَشياء لا كشيءٍ في شيءٍ داخل ، وخارج منها لا كشيءٍ من شيءٍ خارجٍ** ...». توحيد الصدوق: ٢٩٨ـ ٢٩٩/ح١ ، وما شاكله من بيانات معرفيَّة إلٰهيَّة براهين وحيانيَّة عقليَّة خالدة ، ومعادلات نوريَّة باهرة لا تختصُّ بنشأَتنا الأَرضيَّة هذه وبالثقلين ـ الإنس والجنّ ـ بل شاملة لجملة النَّشَآت والعوالم ولكافَّة المخلوقات ، كعَالَمَ: الرَّجعة والبرزخ والقيامة والآخرة الأَبديَّة وما بعدها ؛ ومن ثَمَّ الإعتقاد بهذه البيانات الوحيانيَّة واجب على كُلِّ المخلوقات وفي جميع العوالم غير المتناهية.

والنُّكْتَة: واضحة ؛ فإنَّ هذه البيانات الوحيانيَّة لَـمَّا كانت بيانات إلٰهيَّة معرفيَّة كانت من دين الإسلام ؛ وهو: شامل لجملة العوالم ومخلوقاتها غير المتناهية ؛ فتكون شاملة أَيضاً لجملة تلك العوالم ومخلوقاتها غير المتناهية.

الأَمر الثَّاني عشر:

دخول الذَّات المُقدَّسة في جملة شراشر المخلوقات

إنَّ معنى ما يُقال: إنَّ اللّٰـه تعالىٰ داخل في كُلِّ شيءٍ: أَنَّ قدرته وهيمنته وسيطرته نافذة في جملة الأَشياء وكافَّة شراشرها وشؤونها وحقائقها.

→ **إِذَنْ**: المراد من الدُّخول الوارد في بيان القاعدة المعرفيَّة الوحيانيَّة: «داخل في الأَشياء لا بالممازجة ...»: النفود الإِلٰهيّ ، والإِحاطة والقدرة الإِلٰهيَّة.

الأَمر الثَّالث عشر:

تنزُّه الباري عن شَائِبَة عَالَمَ الأَرواح

هناك نظريَّة كانت معشعشة لدىٰ أَصحاب المذاهب الإِعتقاديَّة البشريَّة ، بل وكثير من أَصحاب المِلَل والنِّحَل القديمة ، والتثليث المسيحي ، وكانت سبباً لِانْحِرَافاتهم ، حاصلها: (أَنَّ الباري سبحانه وتعالىٰ ـ والعياذ باللّٰـه ـ هو روح الأَرواح).

وبطلانها من أَوضح الواضحات ، بل الرُّوح جسم لطيف ، وهذا ما تُشير إِليه بيانات الوحي ، بل صريح بيان الإِمام الصَّادق عليه السلام: «... **والرُّوح جسم رقيق** ...» [بحار الأَنوار ، ٦: ٢١٦/ح٨. الاحتجاج ، ٢: ٩٦] ؛ فمهما تلطَّفت الرُّوح لا تخرج عن عَالَمَ الأَجسام ، والباري تبارك وتعالىٰ مُنزَّه عن الجسميَّة بالضَّرورة الوحيانيَّة والعقليَّة ، فيكون مُنزَّهاً عن مُطلق الأَرواح ، بل مقتضىٰ الضَّابطة الوحيانيَّة والعقليَّة: «أَنَّ كُلَّ ذي روح لابُدَّ أَنْ يأخذه نوم أَو سنة» والباري جلَّ قدسه مُنَزَّه عنهما بالضرورة الوحيانيَّة والعقليَّة ، فيكون مُنزَّهاً عن الرُّوح بالضرورة الوحيانيَّة والعقليَّة أَيضاً.

وسبب ارتطامهم بهذا الضلال: اِعتقادهم أَنَّ للطَّاقات أَرواحاً لطيفة ، وهذه القضيَّة وإِنْ كانت حقَّة في نفسها ، لكن لا دخالة لهذه اللَّطَافة بالأُلوهيَّة.

الأَمر الرَّابع عشر:

عَظَمَة الخلقة دالَّة على عَظَمَة خالقها

إِنَّ ما ورد في بيان الإِمام الباقر (صلوات اللّٰـه عليه): «**إِيَّاكُم والتَّفَكُّر في اللّٰـه ، ولكن إِذا أَرَدْتُم أَنْ تَنْظُروا إِلى عظمته فانظرُوا إِلى عظيم خلقه**» [أُصول الكافي ، ←

١/ب: ٣٠: ٦٦ـ ٦٧/ح٧] توصية وحيانيَّة وعقليَّة عظيمة ، وميزان وحيانيٌّ وعقلي عظيم جِدّاً ، دالٌّ على أَنَّ عَظَمَة الخلق وعظيم فعل الخالق (ﷻ) آية إِلٰهيَّة عظيمة لإِدراك عَظَمَة الخالق (جَلَّ شأنه) ، وحيث إِنَّه (تعالىٰ ذكره) غير متناهٍ وغير محدودٍ ، بل فوق مالا يُتناهىٰ بها لا يُتناهىٰ كانت عَظَمَة الخلقة الإِلٰهيَّة وخطرها وهولها غير متناهيةٍ وغير محدودةٍ أَيضاً ، وإِلَّا لكان الخالق (جلَّ وتقدَّس) متناهياً ومحدوداً ، وهو كما ترىٰ.

وبالجملة: لَـمَّا كان الخلق مضافاً ومنتسباً لخالقه (جلَّ ذكره) ـ وهذا ليس اِنتساب يلد ويولد ، بل اِنتساب فعل لفاعل وخلق لخالق ـ أُفيضت عليه ـ وبالتبع وحكاية وبالغير ـ وتجلَّت فيه جملة من صفات خالقه (جلَّ جلاله) ، منها: عدم التناهي وعدم المحدوديَّة في العَظَمَة والهول والخطر. ولا غُلُوّ ولا شطط في ذلك ؛ بعد ما لم تأتِ تلك الصِّفات من المخلوق ، بل من خالقه(ﷻ).

كُلُّ تقصيرٍ يستبطن غُلُوّاً وكذا العكس

ثُمَّ إِنَّ مَنْ لم يُطهِّر باطن فكره من شُبهة الغُلُوّ ـ كالوهابيَّة والسَّلَفيَّة والأَشعريَّة وغيرهم من الفرق المُنحرفة ، بل ومن الوسط الدَّاخلي ـ فسيرتطم لا محالة بورطة التَّقصير ؛ وهو أَشَدُّ جُرماً ومحذوراً ومُؤاخذة وبُعداً عن ساحة القدس الإِلٰهيَّة من ورطة الغُلُوّ ؛ فإِنَّ المُستفاد من البرهان العقلي ـ كما تقدَّم وما سيأتي بيانه (إِنْ شاء اللّـه تعالىٰ) ـ: أَنَّ في باطن كُلّ تقصيرٍ غُلُوّاً ، وفي باطن كُلّ غُلُوٍّ تقصيراً ، كحال التَّعطيل والتَّشبيه ، والتَّفريط والإِفراط ، والجبر والتفويض ، والسَّلَامة في سلوك الجادَّة الوسطىٰ: (الأَمر بين الأَمرين) جادَّة أَهل البيت (صلوات اللّـه عليهم) ، المنزلة الوسطىٰ ، دقيقة الوزن حادَّة اللسان ، صعبة التَّرَقِّي إِلَّا على الحاذق الذَّكي ، والَّتي مَنْ تَقَدَّمها غرق في بحر الإِفراط ، وَمَنْ تَأَخَّر عنها زهق في بَرِّ التَّفريط ، وهي: (المعرفة بالآيات الإِلٰهيَّة) على وفق الضَّوابط الوحيانيَّة والعقليَّة ، بها تتحقَّق معرفة إِلٰهيَّة عظيمة وخطيرة ومهولة جِدّاً.

الأَمر الخامس عشر:

حكاية الأَفعال الإِلٰهيَّة على ضربين

إِنَّ لعَظَمَة بعض الأَفعال الإِلٰهيَّة ـ كما ورد في بيانات الوحى المستفيضة ، بل المتواترة ، وبألسن مختلفة ـ لا يُلحظ فيها لون ولا يُشَمّ منها رائحة المخلوقيَّة ، ولا يُرىٰ فيها شائبة أَنانية المخلوق وذاتيَّة وجبل فرعونيَّة ذاته ؛ لفنائها في الآيتيَّة والحكاية والتَّجَلِّي عن الذَّات الإِلٰهيَّة الأَزَليَّة المقدَّسة ، وخلوصها في إِظهار هول وعَظَمَة باريها تقدَّس ذكره ، فلا تُري ولا تدعو إِلى نفسها ، بل ـ تُري وتدعو إِلى ـ باريها ليس إِلَّا ، فهي السَّبيل إِليه وآياته الكُبرىٰ ، وتُسمَّىٰ: أَفعال وآيات وَأَسمآء وصفات إِلٰهيَّة وهلمَّ جرّاً من مرادفاتها الإِلٰهيَّة العقليَّةالذَّاتيَّة. وإِذا قيل عنها: أَنَّها عين الذَّات الإِلٰهيَّة المُقدَّسة فيلزم أَنْ تكون عينها حكاية.

نظيرها :

أَوَّلاً: المرآة شديدة: الصقل ، والصَّفاء ، والفناء ، والحكاية ، والإِنعكاس ؛ فإِنَّها بعدما كانت فانية فناء حكاية في محكيِّها ، فلا تُري نفسها ، بل محكيِّها انطبعت فيها كافَّة صفات وشؤون محكيِّها ـ الشَّاخص الخارجي ـ ، وأَخذت صورتها بالتَّبع جملة صفاته وأَسمائه وشؤونه إِلَّا ما خرج موضوعاً وتخصُّصاً.

وإِلى هذا أَشارت بيانات الوحي ، منها :

بيان خطبة أَمير المؤمنين صلوات اللّـه عليه: «**الحمدُ للّـه الَّذي ... تتلقَّاه الأَذهان لا بمشاعرة ، وتشهد له المرائي لا بمحاضرة ، لم تحط به الأَوهام ، بل تجلَّىٰ لها بها ، وبها امتنع منها ، وإِليها حاكمها** ...». بحار الأَنوار ، ٤: ٢٦١/ ح٩.

ثانياً: (الصَّرح) الوارد في قضيَّة بلقيس مع النَّبيّ سليمان عليه السلام ، الواردة في بيان قوله جلَّ قوله: ﴿**قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَن سَاقَيْهَا قَالَ إِنَّهُ صَرْحٌ مُمَرَّدٌ مِّن قَوَارِيرَ قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ**﴾ [النمل: ٤٤] ، فإِنَّه لشدَّة خلوصه وصفائه وانعكاسه وتمرُّد وفناء

ذاته في الحكاية ، فلم يُرِ نفسه ، بل محكيِّه ـ اللُّجَّة ، أَي: الماء الغزير ـ انعكست فيه ـ الصَّرح ـ جميع صفاته ـ المحكي ، أَي: اللُّجَّة ـ وأَسمائه وشؤونه ، فحسبته ماءً غزيراً فكشفت عن ساقيها لتتخطَّاه ، ولَـمَّا أُخبرت بالواقع ؛ وأَنَّه: (صرح مُمَرَّد) تمرَّدت ذاته وفنيت في حكاية ذيه آمنت بالله تعالىٰ من دون نظر وتدبُّر ومهلة وتردُّد ؛ لإلتقاطها إِشارة معرفيَّة توحيديَّة إِلى معنىٰ تجلِّي وظهور الذَّات الإِلٰهيَّة الأَزليَّة المُقدَّسة في المخلوقات المُكرَّمة.

وهذا بخلاف الأَفعال والآيات والأَسمآء والصِّفَات الفعليَّة ـ بالمعنىٰ الأَخَصّ ـ ومرادفاتها الإِلٰهيَّة العقليَّة ؛ فإِنَّها وإِنْ كانت عظيمة الخلقة والخطر ، وعَظمتها دالَّة على عَظَمَة باريها ﷻ أَيضاً ، وحاكية عن الذَّات المُقدَّسة أَيضاً ، لكنَّها ليست فانية في الحكاية ، بل تُري نفسها وذاتيَّاتها.

مثالها: السَّمآوات ، كالسَّمآء الأُولىٰ ، ومجرَّاتها وكواكبها ونجومها.

ثُمَّ إِنَّ الأَفعال والآيات والأَسمآء والصِّفات الذَّاتيَّة الإِلٰهيَّة العقليَّة ومرادفاتها العقليَّة على مراتب وطبقات ؛ لكون الخلوص والفناء في الحكاية على مراتب وطبقات.

وعلى هذا قس الأَفعال والآيات والأَسمآء والصِّفات الإِلٰهيَّة الفعليَّة ومرادفاتها العقليَّة.

الأَمر السَّادس عشر:

حكاية الآيات الإِلٰهيَّة ومرادفاتها للسَّاحة الإِلٰهيَّة لا تعطيل فيها ولا تشبيه

إِنَّ رؤية الآيات الإِلٰهيَّة ومرادفاتها الإِلٰهيَّة العقليَّة لا تعطيل فيها ولا تشبيه ، بل توحيد للّٰـه تبارك وتعالىٰ وتحميد وتمجيد وتعظيم له جلَّ وعلا ، وتنزيه عن أَنْ يكتنهه ويقتنصه ويحتوشه أَحد.

الأَمر السَّابع عشر:

شمول عنوان (الآفاق) للآفاق الجسمانيَّة والرّوحانيَّة والملكوتيَّة

إنَّ ما ورد في بيان قوله تعالىٰ: ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ﴾ [فصلت: ٥٣] برهانٌ وحيانيٌّ شاملٌ للآفاق الجسمانيَّة والرُّوحيَّة والملكوتيَّة وغيرها.

الأَمر الثَّامن عشر:

توَهُّم الجسمانيَّات في المعرفة الإلٰهيَّة

إنَّ من أَكبر الآفات الَّتي ينبغي للمؤمن الإلتفات إليها ، واجتنابها ، وعدم الوقوع في فخاخها ـ والَّتي حذَّرت منها وأَكَّدت عليها بشدَّة بيانات أَهل البيت عليهم السلام ـ: (شوائب الرُّؤية الجسمانيَّة ، وشوبها واختلاطها في المعرفة الإلٰهيَّة) ؛ فإنَّ طبيعة الإنسان وفكره وذهنه ووهمه تنزلق في باب التَّوحيد ـ من حيث لا يشعر ـ إلى شبه الجسمانيَّة.

الأَمر التَّاسع عشر:

أَبين نقائص عَالَم الأَجسام: الحدود المقداريَّة

إنَّ الصُّوَر الجسمانيَّة والجسم والجسمانيَّات وأَحكامها وشؤونها وإنْ كانت مُكبَّلة بِعِدَّة زوايا من النقائص ، لكن أَبينها: الحدود المقداريَّة ، فإنَّ صاحبها لا يتواجد إلَّا في ظرفه.

الأَمر العشرون:

التَّدبُّر في بيانات الوحي يهدم التَّوَهُّمات الجسمانيَّة

إنَّ مَنْ يتدبَّر في النتف واللَّطائف المذكورة في بيانات أَهل البيت عليهم السلام المعرفيَّة العقليَّة فسرعان ما تنقشع وتنهدم توهماته من الرؤية الجسمانيَّة أَو الجسميَّة أَو التناهي للذَّات المُقدَّسة.

الأَمر الحادي والعشرون:

أَحد فوائد قوَّة الوَهْم

إِنَّ قوَّة الوَهْم لدىٰ الإِنسان وإِنْ كانت مشاغباً قويّاً جِدّاً لإِدراكاته العقليَّة والقلبيَّة، وخطراً يوجب اِنزلاقات معرفيَّة ؛ وارتطامات بتداعيات أَحكام الجسم وشؤونه في المعرفة الإِلٰهيَّة ـ كما حصل ذلك لبعض المُتكلِّمين والفلاسفة والعرفاء ، مع أَنَّهم ينفون في الظَّاهر والباطن الجسمانيَّة عن الواقعيَّة الأَزليَّة السَّرمديَّة ـ لكنَّها مفيدة في جوانب أُخرىٰ ، كـ: (إِباء المخلوق من تصوُّر عدم وجود الواقعيَّة).

الأَمر الثَّاني والعشرون:

شبهة الوحدة الشخصيَّة والحلول

ذهب جملة من العرفاء والصُّوفيَّة إِلى القول بالوحدة الشَّخصيَّة ، وعدم وجود حضّ للمخلوقات من الوجود والواقعيَّة أَصلاً ، بدعوىٰ: أَنَّ نفي وجود المخلوقات نوع تعظيم لوجود اللّٰـه تبارك وتعالىٰ.

لكنَّه: اشتباه وغفلة شنيعة ؛ فإِنَّهم لم يلتفتوا إِلى أَنَّ وجود المخلوق القائم باللّٰـه ﷻ مظهر لوجوده (جلَّ ذكره) ، ولعظمته وهيمنته وقوَّته وقدرته ، كما أَكَّدت على ذلك العديد من بيانات الوحي.

مضافاً: أَنَّ ما ورد في بيانات الوحي ، منها: بيان الإِمام الباقر عليه السلام: «**إِنَّ اللّٰـهَ خِلوٌ من خلقه ، وخلقهُ خِلوٌ منه** ...» [أُصول الكافي ، ١/ ب ـ ٢٤: ٥٩/ ح٥] براهينٌ وحيانيَّةٌ دالَّة على قاعدة معرفيَّة نافية لشبهة الوحدة الشَّخصيَّة والحلول بصيغتها القديمة والحديثة.

وقد وردت هذه القاعدة في بيانات الوحي بقوالب أُخرىٰ عديدة ، منها:

١ـ بيان قوله عزَّ قوله: ﴿**الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ**﴾ [طٰه: ٥].

بتقريب: أَنَّ المراد من كلمة (على) الواردة في هذا البيان الشَّريف: استعلاء وسيطرة وهيمنة الرحمٰن ﷻ على جملة الوجود والكمال ، وكافَّة عوالم عَالَم الإِمكان ومخلوقاتها ، فإِنَّها سواء بالنِّسبَة إِليه جلَّ ذكره ، ومقهورة له ، وغير مُستقلَّة عنه البتَّة فأَين يوجد للمخلوقات كينونة وانحياز واستقلاليَّة عن خالقها جلَّت آلاؤه ليأتي أَصحاب الوحدة الشَّخصيَّة والحلول ليدعوا: أَنَّه إِذا لم نَقُل بالوحدة

الشَّخصية والحلول يلزم استقلاليَّة المخلوق عن خالقه ، ولازمه انحسار ذات الخالق وتضييق قدرته وهيمنته. وبيان الآية الكريمة هذا يُثبت أَنَّه ليس للمخلوقات البتَّة وجود وكينونة وانحياز و استقلاليَّة عن باريها العزيز الجبَّار ، بل جملة المخلوقات تجلِّيات لفعله وقدرته ، فكافَّة المخلوقات وعوالمها غير المتناهية ليست إِلَّا مظهراً لعظمته وقدرته وهيمنته (تقدَّس ذكره) ، وليست لها كينونة تُري أَو تعكس غير اللّـه وعظمته ، فالباري عزَّ وجهه يتجلَّىٰ ويظهر فيها ، وهي تظهر عظمته وقدرته وهيمنته ، فاين هذا الإنحياز والاستقلاليَّة ، ومن ثَمَّ يتَّضح: أَنَّ أَصل ما فرضه أَصحاب الوحدة الشَّخصيَّة والحلول مغالطة ظاهرة.

٢ـ بيان أَمير المؤمنين عليه السلام: «... **إِنَّ رَبِّي لا يوصف بالبُعد ... هو في الأَشياء على غير ممازجةٍ ، خارج منها على غير مباينةٍ ... داخل في الأَشياء لا كشيءٍ في شيءٍ داخل ، وخارج منها لا كشيءٍ من شيءٍ خارج**». بحار الأَنوار ، ٤: ٢٧/ح٢.

ودلالته قد اِتَّضحت من سابقه ؛ فإِنَّ هذا الدخول ليس بدخول جغرافي ، وإِنَّما دخول تجلِّي وظهور إِشراقي ، ودخول قدرة ونفوذ واستعلاء وهيمنة.

٣ـ بيان دعاء كميل: «**اللَّهُمَّ إِنِّي أَسأَلُكَ برحمتك الَّتي وَسِعَت كُلّ شَيءٍ ... وبعظمتك الَّتي ملأَت كُلّ شيءٍ ، وسلطانك الَّذي علا كُلّ شيءٍ ... وبأَسمائك الَّتي ملأت أَركان كُلّ شيءٍ ...**». الإِقبال ، ٣: ٣٣١. مصباح المُتهجد: ٨٤٤. مصباح الزائر: ٣١٧. البلد الأَمين: ١٨٨.

ودلالته قد اِتَّضحت أَيضاً.

٤ـ بيان دعاء الجوشن الكبير: «... **يا مَنْ تواضع كُلُّ شَيءٍ لعظمته ، يا من استسلَم كُلُّ شيءٍ لقدرته ؛ يا من ذلَّ كُلُّ شَيءٍ لعزَّته ، يا مَنْ خَضَعَ كُلُّ شيءٍ لهيبته ، يا من انقاد كُلُّ شيءٍ من خشيته ...**». بحار الأَنوار ، ٩١: ٣٨٥.

الأَمر الثَّالث والعشرون:

جملة من الفلاسفة القدماء حلوليُّون

← اِعترف الحكيم الشيعي المُلّا صدرا: أَنَّ جملة من الفلاسفة القدماء حلوليُّون ، فقولهم: «أَنَّ اللّـه ـ والعياذ باللّـه تعالىٰ ـ روح الأَرواح» نحو حلول.

الأَمر الرَّابع والعشرون:

اِستعمالات (الكيف) و (الأَين) في بيانات الوحي

إِنَّ لعنوان: (الكيف) و(الأَين) الواردين في بيانات الوحي اِستعمالين:

أَحدهما: يُطلقان ويُراد بهما سنخ ونمط وجودي غنيّ بالذَّات ، وليسا هما عارضين أَو حادثين ، وهذا النَّحو يثبت للذَّات الإِلٰهيَّة الأَزَليَّة المُقدَّسة ، وإِليه أَشارت بيانات الوحي منها :

١ـ بيان تقرير أَمير المؤمنين (صلوات اللّـه عليه) لسؤال الجاثليق: «... قال: فأَخبرني عن اللّـه ﷻ أَين هو؟ قال عليه السلام: **هو ها هنا ، وها هنا ، وها هنا** ...». بحار الأَنوار ، ٣٠: ٧١.

٢ـ بيان الإِمام الصَّادق (صلوات اللّـه عليه): «**سبحان مَنْ لَا يَعْلَم كيف هُوَ إِلَّا هُوَ** ...». بحار الأنوار ، ٣: ٣٠١/ ح٣٥.

فيُراد من الأَين والكيف في هذين البيانين الوحيانيِّين وما شاكلهما: مُطلق الحقيقة والواقعيَّة الأَزليَّة المُقدَّسة.

ثانيهما: يُطلقان ويُراد بهما الحقيقة والواقعيَّة الحادثة والعارضة ـ كـ: غضب المخلوق وحزنه وفرحه ـ ، وهذا النَّحو منفيّ بالضَّرورة الوحيانيَّة والعقليَّة عن الذَّات الإِلٰهيَّة الأَزَليَّة المُقدَّسة. وإِليه أَشارت بيانات الوحي ، منها :

بيان سيِّد الأَنبياء صلى الله عليه وآله: «... **إِنَّ الخالق... كيَّفَ الكيف فلا يُقال له: كيف ، وأَيَّن الأَين ، فلا يُقال له: أَين** ...». بحار الأَنوار ، ٣: ٣٠٣ ـ ٣٠٤/ ح٤٠.

الأَمر الخامس والعشرون:

عنوان (القديم الزَّماني) ←

← يُعبِّر الباحثون من أَصحاب المدارس المعرفيَّة البشريَّة ـ كالفلاسفة والمُتكلِّمين والعرفاء ـ عن عنوان (القَدَيم الزَّماني) بأَنَّه: أَزَليٌّ زمانيٌّ.

لكن: بيانات الوحي لا تطلق عنواني (الأَزلي) على القديم الزَّماني ؛ لأَنَّ الأَزلي وعاءٌ لعَالَمَ السَّرمد ، وهو عَالَمَ أَعظم من عَالَمَ الدَّهر.

نعم ، عَالَمَ الدَّهر لَـمَّا كانت طبيعته قديمة زماناً ، وليست له بداية زمانيَّة صحَّ إِطلاق عنوان (القديم الزَّماني) عليه.

هذا وقد كَفَّرَ المُتكلِّمون كُلَّ مَنْ يطلق عنوان (القِدَمَ الزَّماني) على المخلوقات ؛ لاستلزامه التَّأليه.

والحقُّ: أَنَّ صفة (القِدَم الزَّماني) صفة يتمتَّع بها عَالَمَ الدَّهر ، قد أُفيضت عليه وتجلَّت وظهرت فيه من القِدَم الإِلٰهيّ ، وحينئذٍ لا إِشكال ، ولا يلزم محذور التَّأْليه وما شاكله.

الأَمر السَّادس والعشرون:

الَّذي تجلَّىٰ للنَّبيِّ موسىٰ عليه السلام في قضيَّة الجبل ملك من الكرُّوبيين

ورد في بيانات الرُّوايات المُفَسِّرة لبيان قوله تعالىٰ: ﴿**فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا**﴾ [الأَعراف: ١٤٣] أَنَّ الَّذي تجلَّىٰ للجبل هو ملك من الكرُّوبيِّين.

فانظر: بيانات الوحي ، منها :

بيان الإِمام الصَّادق عليه السلام: «**إِنَّ الكرُّوبيين قوم من شيعتنا من الخلق الأَوَّل ، جعلهم اللّٰـه خلف العرش ، لو قسم نور واحد منهم على أَهل الأَرض لكفاهم ، ثُمَّ قال: إِنَّ موسىٰ عليه السلام لَـمَّا أَنْ سأل ربَّه ما سأل ؛ أَمر واحداً من الكرُّوبيين فتجلَّىٰ للجبل فجعله دكّاً**». بحار الأَنوار ، ١٣ : ٢٢٤/ ح١٨. بصائر الدَّرجات: ٢١.

الأَمر السَّابع والعشرون:

الكرُّوبيين مخلوقات جسمانيَّة شريفة فوق عَالَمَ الآخرة الأَبديَّة ←

تُشير إليها كثيراً بيانات أَهل البيت عليهم السلام ؛ لاسيما بيانات أَمير المؤمنين عليه السلام حقائق تكوينيَّة ، ومخلوقات: مهولة ، وخطيرة ، وعظيمة جدّاً ، ومهيمنة على جملة العوالم وسائر المخلوقات ، من مخلوقات عَالَمَ الصِّفات والأَسماء الإِلٰهيَّة وهي: طبقات حقائق أَهل البيت عليهم السلام الصَّاعدة ، والمُشْتَقَّة والمُتجلِّية[1] والمُتنزِّلة منها طبقات ومراتب ذواتهم.

→ إِنَّ المُستظهر من جملة من بيانات أَهل البيت عليهم السلام ـ منها: ما تقدَّم ـ: أَنَّ للكرُّوبيِّين أَجساماً لطيفةً أَعلىٰ من جسم الجنَّة والنَّار الأَبديَّتين ، ولهم ذبذبات إِحساس بالوحي الإِلٰهيّ المُوحَىٰ للنَّبيِّ موسىٰ عليه السلام ، كما أَشار إِلى ذلك بيان دعاء السمات: «... **وأَسألكَ اللَّهُمَّ بمجدك الَّذي كلَّمت به عبدكَ ورسولكَ موسىٰ بن عمران** عليه السلام **في المقدَّسين فوق إِحساس الكرُّوبيِّين ، فوق غمائم النُّور فوق تابوت الشَّهادة** ...». بحار الأَنوار ، ٨٧: ٩٧ ـ ٩٩. مصباح المتهجِّد: ٢٩٢ ـ ٢٩٥.

تكليم سيِّد الأَنبياء صلى الله عليه وآله أَرفع من تكليم النَّبيّ موسىٰ عليه السلام

ثُمَّ إِنَّ تكليم سيِّد الأَنبياء صلى الله عليه وآله أَعظم من تكليم النَّبيّ موسىٰ عليه السلام ؛ لأَنَّ تكليمه عليه السلام من فوق احساس الكرُّوبيِّين وفوق غمائم النُّور وفوق تابوت الشَّهادة ، أَمَّا تكليم سيِّد الأَنبياء صلى الله عليه وآله فإِنَّه من فوق حُجُب النُّور.

(١) ينبغي الإِلتفات في المقام إِلى القضايا التَّالية:

القضيَّة الأُولىٰ:

خطورة بحث التَّجَلِّي والظُّهور

إِنَّ عنوان (التَّجلِّي) الوارد في بيانات الوحي وفي أَبواب المعارف الإِلٰهيَّة طلسمٌ معرفيٌّ وأُحْجِيَّةٌ معرفيَّةٌ ، ولغزٌ لم تفك شفراته أَبداً و أَزَلاً.

إِذَنْ: بحث التجلِّي والظهور من أَغمض وأَعقد المباحث المعرفيَّة الَّتي تفرَّدت بها بيانات الوحي الإِلٰهيّ ، وأَحَد إِعجازاتها العلميَّة. ←

وقد بيَّنته بأَلسُن مُتعدِّدة ، منها: الاسم الإِلٰهيّ ، والآية والصِّفة الإِلٰهيَّة ومرادفاتها الإِلٰهيَّة العقليَّة.

ومن ثماره: نسف مباني ضلالات مُتعدِّدة ، منها: الحلول ، والوحدة الشَّخصيَّة ، والتناسخ ، والتَّجسيم ، والجبر ، والتَّفويض.

القضيَّة الثَّانية:

النِّسْبَة بين الخالق والمخلوق بنحو التَّجلِّي والظُّهور

إِنَّ من أَعقد وأَعظم الأَزمات المعرفيَّة والعقائديَّة والفكريَّة ، ومسائل المِلَل والنِّحَل: معرفة النِّسْبَة بين الخالق والمخلوق ؛ فأَنكرها بعضٌ ، وأَثبتها آخر ، لكن بنحو التوليد والتوالد.

والحقُّ: ثبوتها ، لكن بنحو التَّجَلِّي والظُّهور. وله جملة من الثَّوابت ، منها :

١ـ إِنَّ الصِّلَة والنِّسْبَة بين الحاكي والمحكي ـ الآية وذيها ـ ليست نِسبة: توليد ، أَو تبعيض ، أَو حلول ، أَو عينيَّة ، أَو اِمْتِزَاج ، أَو تجانس ، أَو مِثْل ، بل حكاية ومَثَل ، وهي من أَغمض النِّسب وَأَعقدها.

٢ـ إِنَّ حكاية التَّجَلِّي والظهور وإِنْ لم تكن عين المحكي ؛ وحكاية بالكُنْه ، لكنَّها ليست سراباً وتبدُّداً ، بل حقيقة ؛ وحكاية من وجهٍ.

٣ـ إِنَّ حقيقة الحاكي والمُظْهِر تابعة للمحكي والظَّاهر.

نظيره: الصُّورة المرآتيَّة ؛ فإِنَّه لولا وجود ذي الصُّورة لَـمَا كانت للصُّورة المرآتيَّة حظٌّ من الوجود والحقيقة والحكاية والظهور.

القضيَّة الثَّالثة:

فناء ذوات بعض المخلوقات المُقدَّسة في الحكاية

وهذه الطَّبقات الصَّاعدة ـ المُتجلِّية منها طبقات ذوات أَهل البيت عليهم السلام ـ لَـمَّا كانت مرآة صافية تحكي المُسَمَّىٰ: (الذَّات الإِلٰهيَّة الأَزليَّة المقدَّسة) دون الاسم ، ولا يشوبها شائبة الأَنا والمخلوقيَّة كانت صفات وأَسماء إِلٰهيَّة ؛ لا تخالطها ماهية محدودة ، فلا تلحظ فيها ماهيَّة: (مُحَمَّد ، وعليّ ، وفاطمة ، والحسن ، والحسين) ، بل (حميد ، وأَعلىٰ ، وفاطر ، ومحسن ، وقديم الإِحسان) ، فلشدَّة صفائها وحاكويَّتها وحكايتها أَضمحلَّت فيها الماهيَّة

← إِنَّ لعظمة بعض الأَفعال الإِلٰهيَّة لا تجد فيها لون ولا تشمُّ منها رائحة المخلوقيَّة ، ولا تظهر فيها شائبة أَنانيَّة المخلوق ، ولا فرعونيَّة ذاته ؛ وذلك لفنائها في الآيتيَّة والتَّجَلِّي وحكاية ذيها (الذَّات الإِلٰهيَّة الأَزَليَّة المُقدَّسة) ، وخلوصها في إِظهار عظمة الباري ـ المُسمَّىٰ ـ صاحب الذَّات الإِلٰهيَّة المُقدَّسة ، ومن ثَمَّ لا تُري نفسها ، بل محكيِّها ، فكانت هي السَّبيل إِليه وآياته الكُبرىٰ.

ولكون الخلوص على طبقات ودرجات كانت هذه الأَفعال الإِلٰهيَّة في حكاية الذَّات المُقدَّسة على طبقات ودرجات أَيضاً.

القضيَّة الرَّابعة:

إِرتطام جملة من أَصحاب المدارس البشريَّة بالتَّشبيه بداعي التَّنزيه

يظنُّ خطأً كثيرٌ من المُتكلِّمين وَأَصحاب المدارس الإِسلاميَّة الأُخرىٰ: أَنَّ في بعض الأَفعال الَّتي تُنسب إِلى المخلوقات المُكرَّمة ـ كأَهل البيت (صلوات اللّٰـه عليهم) ورؤساء الملائكة ـ غُلُوّاً ، ولا يصحُّ نسبتها إِلَّا للّٰـه عزَّ وجلَّ ، والحال أَنَّ نسبتها إِليه تعالىٰ تستلزم النَّقص والتَّشبيه في حقِّه (جَلَّ شأنه).

وبالجملة: إِرتطم في ورطة التَّشبيه ونسبة النَّقص إِلى ساحة القدس الإِلٰهيَّة ـ من حيث لا يشعرون ـ كثير من المُتكلِّمين وأَصحاب المدارس الإِسلاميَّة بداعي تنزيه السَّاحة الإِلٰهيَّة.

المحدودة وجنبة المخلوقيَّة ، فصارت مرآة صافية لا تُري نفسها ، بل محكيِّها: (الذَّات الإِلٰهيَّة الأَزليَّة الـمُقدَّسة).

ولكونها مبدأ ومنشأ تجلِّي واشتقاق طبقات ومراتب ذوات أَهل البيت عليهم السلام المتوسِّطة والنَّازلة صحَّ إِسنادها لذواتهم (صلوات اللّٰـه عليهم) ، واستعمالها فيها استعمالاً حقيقيّاً من دون أَيّ تجوُّز وتكلُّف ؛ لأَنَّ الجميع يعود إلى حقائقهم (صلوات اللّٰـه عليهم) ، والتفاوت حصل في مراتب وطبقات حقائقهم عليهم السلام ، فطبقات حقائقهم عليهم السلام الصَّاعدة: (آيات وأَسماء وصفات إِلٰهيَّة) ، من مخلوقات عَالَم السَّرمد والأَزل ؛ عَالَم الأَسماء والصِّفات الإِلٰهيَّة ، وطبقات حقائقهم عليهم السلام النَّازلة ؛ المُترشِّحة والمُتجلِّية من تلك الطَّبقات: (ذواتهم (صلوات اللّٰـه عليهم) ؛ الأَربعة عشر معصوماً) ، وحينئذٍ لا تحتاج هذه الإِستعمالات إِلى تأويل وحمل على المجازيَّة ، ما دام الجميع يرجع إِلى حقيقة واحدة ، فهم عليهم السلام: (صفات وأَسماء إِلٰهيَّة) بلحاظ عَالَم الصِّفات والأَسماء الإِلٰهيَّة ، وهم: (أَهل بيت العصمة والطَّهارة) بلحاظ العوالم النَّازلة؛ المُتجلِّية من عَالَم الصِّفات والأَسماء الإِلٰهيَّة ، وصحَّ أَنْ يُقال: إِنَّهم عليهم السلام بلحاظ طبقاتهم الصَّاعدة: (صفات وأَسماء إِلٰهيَّة) ، وبلحاظ طبقاتهم النَّازلة: (أَربعة عشر معصوماً) فتأَمَّل جِيِّداً.

وإِنْ شئتَ قلتَ ـ ببيان آخر[1] ـ: إِنَّ ذوات أَهل البيت عليهم السلام إِذا

---

(١) هذا بيان آخر ـ في قوس الصعود إِنْ صحَّ التَّعبير ـ يُثبِتُ أَيضاً الفضائل والكمالات والصِّفات والأَسماء الإِلٰهيَّة ؛ وعلوّ مقامات الذَّات الإِلٰهيَّة الأَزليَّة ←

تصاعدت طبقاتها ؛ وتَشَفَّفَت ، واشتدَّ تلطُّفها وخلوصها ، وتجرَّدت تجرُّداً تامَّاً ، ووصلت إلى طبقةٍ ومرتبةٍ من عَالَمَ الصِّفات والأَسماء الإِلٰهيَّة انمحت فيها ذواتهم عليهم السلام وماهيَّاتهم الخاصَّة ، وجنبة المخلوقيَّة ، فلا تُري تلك الطَّبقات ذواتها ، بل محكيِّها ؛ فلا يُرىٰ فيها ماهيَّة: (محمَّد ، وعليّ ، وفاطمة ، والحسن ، والحسين) ، بل (حميد ، وأَعلىٰ ، وفاطر ، ومُحسن ، وقديم الإِحسان) ، فلشدَّة صفائها وحكايتها اِضْمَحَلَّت فيها الماهيَّة المحدودة وجنبة المخلوقيَّة ، فصارت مرآة شديدة الشَّفافيَّة والصَّفاء ؛ لا تُري نفسها ، بل محكيِّها (الذَّات الإِلٰهيَّة الـمقدَّسة) ، وحينئذٍ يصحُّ وصف أَهل البيت الأَطهار عليهم السلام بلحاظ هذه الطَّبقة ـ أَي: طبقة ومرتبة عَالَمَ الصِّفات والأَسماء الإِلٰهيَّة ـ أَيضاً بالصِّفات والأَسماء الإِلٰهيَّة ؛ لِاِنْعِكَاسها فيها ، فهذه الطَّبقة بعدما كانت آيات وصفات وأَسماء إِلٰهيَّة ؛ فكما تَثْبُت الفضائل وصفات

← المُقَدَّسة من دون تأليه لطبقات حقائق أَهل البيت عليهم السلام الصَّاعدة ؛ بعدما تنمحي فيها جنبة الأَنا والمخلوقيَّة والماهيَّة المحدودة ؛ فتُصبح صفات وأَسماء إِلٰهيَّة.

وبالجملة: مرَّ فيما تقدَّم بيان ، وهذا بيان آخر تُثبَت فيه لحقائق أَهل البيت عليهم السلام الصَّاعدة الصِّفات والأَسماء الإِلٰهيَّة.

أَمَّا الأَوَّل ـ وهو ناظر إِلى قوس النُّزول إِنْ صحَّ التَّعبير ـ فقد تقدَّم.

وأَمَّا الثَّاني ـ وهو ناظر إلى قوس الصُّعود إِنْ صحَّ التَّعبير ـ وهو ما نحن فيه ، فتكون هذه الطَّبقة والمرتبة الَّتي مُحِيَت وفُنِيَت فيها جنبة الأَنا والمخلوقيَّة والماهيَّة المحدودة لذوات أَهل البيت عليهم السلام بنفسها صفات وأَسماء إِلٰهيَّة للذَّات الإِلٰهيَّة الأَزليَّة المُقَدَّسة من دون واسطة. فتكون صفات وأَسماء (للذات الإِلٰهيَّة الأَزليَّة المُقَدَّسة) أَيضاً.

الكمال وعلو المقامات والأَسماء الإِلٰهيَّة للمُسَمَّىٰ ـ أَي: للذَّات الإِلٰهيَّة الأَزليَّة المُقَدَّسة ـ تَثْبُت أَيضاً لهذه الطَّبقة والمرتبة ؛ باعتبارها صفات وأَسماء إِلٰهيَّة ؛ فعدم التَّناهي ، والأَزل ، والأَبد وسائر الصِّفات والأَسماء الإِلٰهيَّة كـ: (القيوميَّة) ، و(الواحديَّة) ، و(الأَحديَّة) ، و(الصَّمد) ، و(الخالق) ، و(الغافر) كما هي ثابتة للذَّات الإِلٰهيَّة الأَزليَّة المُقدَّسة ثابتة أَيضاً للصِّفات والأَسماء الإِلٰهيَّة من دون ريب ولا إِشكال ولا محذور كمحذور الغلو.

نعم ، هذه الصِّفات والأَسماء الإِلٰهيَّة لا تتَّصف بها طبقات حقائق أَهل البيت عليهم السلام الصَّاعدة بالذَّات والأَصالة ، وإِنَّما بالتَّبع ومن الغير ؛ لأَنَّ تلك الطَّبقات والصِّفات والأَسماء الإِلٰهيَّة بعدما لم يشبها شائبة الأَنا والمخلوقيَّة وماهيَّة محدودة كانت شديدة الصَّفاء ، لا تحكي نفسها ، بل محكيِّها ، ولقوَّة اِنعكاسها اِنْطَبَعَت فيها وأَخذت وصف ذيها وجماله وكماله ، بخلاف كمالات وصفات وأَسماء الذَّات الإِلٰهيَّة الأَزليَّة المُقَدَّسة ؛ فإِنَّها ثابتة له (تقدَّس ذكره) بالأَصالة وبالذَّات.

وبالجملة: الفارق بين الذَّات الإِلٰهيَّة الأَزليَّة المُقَدَّسة وتلك الطَّبقات والصِّفات والأَسماء الإِلٰهيَّة هو: الفارق بين: (ما منه الوجود أَصالة وبالذَّات) ، و(ما منه الوجود بالتَّبع وحكاية وبالغير).

والأَوَّل: ثابت للذَّات الإِلٰهيَّة الأَزليَّة المقدَّسة أَزلاً وأَبداً ليس إِلَّا.

والثَّاني: وجود ظلِّي وحاكٍ ؛ يأتي في المخلوقات المكرَّمة: الصِّفات والأَسماء الإِلٰهيَّة: طبقات حقائق أَهل البيت عليهم السلام الصَّاعدة.

نظيره: الصُّورة المرآتيَّة المُنعكسة عن الواقعيَّة الخارجيَّة ، والحاكية لها ؛ فإنَّها تأخذ جميع صفات وكمالات تلك الواقعيَّة وتنعكس فيها ، وإلَّا لزم التَّعطيل[1] ، لكن: هذه الصِّفات والكمالات ليست ثابتة بالأصالة وبالذَّات للصُّورة المرآتيَّة ، وإنَّما مفاضة ومُنعكسة عليها من الواقعيَّة الخارجيَّة ، فتأمَّل جيِّداً.

---

(١) **ينبغي الإلتفات**: أَنَّ من يتدبَّر في التَّعطيل فسيجد أَنَّ في حاقِّه وباطنه تشبيه ؛ ومَنْ يتدبَّر في حاق وباطن التَّشبيه فسيجد أَنَّ فيه تعطيل.
وعليه: قس التَّقصير والغُلُو ، والجبر والتَّفويض.

تفسير بيانات الوحي للقدريَّة بالجبر تارة وبالتَّفويض أُخرىٰ

وَمِنْ ثَمَّ فُسِّرَت القدريَّة تارة بالجبر ، وأُخرىٰ بالتَّفويض.
والنُّكتة: أَنَّ باطن الجبر تفويضٌ ، وباطن التَّفويض جبرٌ. فحقيقة وروح الجبر تؤول إلى تفويضٍ ، وحقيقة وروح التَّفويض تؤول إلى جبرٍ. ومِنْ ثَمَّ يكون كِلَا التَّفسيرين وجيه.
والحقُّ يكمن ـ في جميع ذلك ـ في سلوك (الأَمر بين الأَمرين) ؛ وجادَّة أَهل البيت (صلوات اللّـه عليهم) الوسطىٰ ؛ وصراطهم المُستقيم.

أَحَد لُغات قاعدة: (الأَمر بين الأَمرين)

ثُمَّ إنَّ ما ورد في بيان قوله تعالىٰ: ﴿**وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا**﴾ [طٰه: ١١٤] ، برهانٌ وحيانيٌّ ولغةٌ رياضيَّةٌ أُخرىٰ لبيان قاعدة: (أَمر بين الأَمرين) الوحيانيَّة ، تفهمها الشعوب المُتحضِّرة في العصر الراهن والأُسرة الدوليَّة ؛ فإنهما دالَّآن على عدم تناهي طبقات العلوم والمعلومات.

خلوّ المقام وهذه الأَبحاث من شائبة الغُلُوِّ

لا شائبة ولا شبهة غُلُوّ في مقامات أُهل البيت عليهم السلام

ولخطورة هذه الأَبحاث المعرفيَّة والتَّوحيديَّة نُعيد ما ذكرناه سلفاً بشيءٍ من التَّفصيل ، فنقول: ثُمَّ إِعلم أَنَّه لا تُوجد في جملة هذه الأَبحاث وما سيأتي (إِنْ شاء اللّـه تعالىٰ) أَيّ شائبة غُلُوّ ـ وخروج عن الجادَّة والمنزلة الوسطىٰ الَّتي ليلها كنهارها جادَّة ومنزلة أَهل البيت (صلوات اللّـه عليهم) ، وهي الديانة الَّتي من تقدَّمها مرق ، ومن تخلَّف عنها محق ، ومن لزمها لحق ، والَّتي لا تخرج إِلى عوج ، ولا تزيل عن منهج الحقّ ، ولا تجد لها بديلاً ، ولن تجد لها تحويلاً ، نعم ، هي دقيقة الوزن ، حادَّة اللِّسان ، صعبة التَّرَقِّي حتَّىٰ على الحاذق اللَّبيب ـ لأَنَّا نعضُّ بضرس قاطعٍ على ضابطةٍ وقاعدةٍ معرفيَّةٍ وعقليَّةٍ بديهيَّةٍ ، مستفادة من بيانات الوحي ، ضربها وقنَّنها علماء المعقول في القرنين الأَخيرين في باب الغُلُوّ والتقصير ، سيأتي (إِنْ شآء اللّـه تعالىٰ) بيانها في بابها ، مضروبة للتمييز بين الغُلُوّ والتقصير في صفات الخالق ـ المُسَمَّىٰ ـ صاحب الذات الإِلٰهيَّة الأَزليَّة المُقدَّسة (جلَّ ذكره) وأَسمائه وأَفعاله وكمالاته وشؤونه ، وصفات المخلوق وأَسمائه وأَفعاله وكمالاته وشؤونه ، وهي: «أَنَّ صفات الخالق ـ المُسَمَّىٰ ـ (تقدَّس ذكره) وأَسمائه وأَفعاله وكمالاته وشؤونه تحكمها وواقعة في إِطار ضابطة: (ما منه الوجود) ، بخلاف صفات المخلوق وأَسمائه وأَفعاله وكمالاته وشؤونه فتحكمها وواقعة في إِطار ضابطة: (ما به الوجود)».

فصفة: (عدم التناهي) وسائر الصِّفات والأَسمآء الإِلٰهيَّة ـ كالأَسمآء

الذاتيَّة الواردة في سورة الإخلاص: (الأَحد ، والصمد ، ولم يلد ولم يولد ، ولم يكن له كفواً أَحَد) ـ والأَفعال والكمالات والشؤون الإلٰهيَّة إذا نُسبت وأُسندت إلى الخالق ـ المُسَمَّىٰ ـ (جلَّ وتقدَّس) كصفات وأَسماء وأَفعال وكمالات وشؤون إلٰهيَّة فالمراد منها: (ما منه الوجود). أَمَّا إذا نُسبت وأُسندت إلى المخلوق كصفات وأَسمآء وأَفعال وكمالات وشؤون مخلوقة فالمراد منها: (ما به الوجود) ، وحينئذٍ لا إشكال ولا شبهة ولا شائبة غُلُوّ في المقام ؛ بعدما أُفيضت في المخلوق وتجلَّت وظهرت وانعكست فيه من الذَّات الإلٰهيَّة الأَزليَّة المُقدَّسة ، فأين شائبة الغُلُوّ بعدما كان الجميع من ساحة القدس الإلٰهيَّة.

بل هذه الضابطة اُسْتُحْدِثَتْ في الآونة الأَخيرة وتوسَّعت بقاعدة وضابطة بديهيَّة أَيضاً ، أَكثر دِقَّة وغوراً وعمقاً ، وهي: «أَنَّ ما منه الوجود على ضربين: أَحدهما: (ما منه الوجود أَصالة وبالذات). الآخر: (ما منه الوجود حكاية ومن الغير)».

والأَوَّل مختصٌّ ومنحصرٌ بـ: (الذات الإلٰهيَّة الأَزليَّة المُقدَّسة) أَزلاً وأَبداً.

وإلى هذا تشير بيانات الوحي ، منها :

١ـ بيان قوله جلَّ قوله: ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ﴾[1].

٢ـ بيان قوله عزَّ قوله: ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا﴾[2].

---

(١) صٓ: ٧٢.

(٢) الزمر: ٤٢.

ودلالتهما قد اتَّضحت.

والثَّاني وجود ظلِّي وحاكٍ ، يأتي في الممكنات ، مفاض عليها من ساحة القدس الإلٰهيَّة.

نظيره: المرآة المنطبعة فيها صورة الشَّاخص الخارجي.

وإلى هذا تُشير بيانات الوحي الأُخرىٰ ، منها :

١ـ بيان قوله عزَّ من قائل الحاكي لخبر النَّبيّ عيسىٰ عليه السلام[1] في احْتِجَاجه على بني إسرائيل: ﴿أَنِّي أَخْلُقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾[2].

---

(١) لا بأس بصرف النظر في المقام إلى الأَمرين التَّاليين :

الأَمر الأَوَّل:

معاجز النَّبيّ عيسىٰ عليه السلام بحوث طبيَّة

إنَّ ولادة النَّبيّ عيسىٰ عليه السلام: وإحيائه للموتىٰ وإبرائه للأَكمه والأَبرص كُلّ ذلك بحوث طبيَّة.

الأَمر الثَّاني:

لا زال النَّبي عيسىٰ وإلياس وإدريس والخضر عليهم السلام على شريعة سيِّد الأَنبياء صلى الله عليه وآله

إنَّ النَّبيّ عيسىٰ والياس وادريس والخضر ـ على مَنْ قال بنبوَّته ـ عليهم السلام ومنذُ بعثة سيِّد الأَنبياء صلى الله عليه وآله ولا زالوا تابعون إلى شريعته صلى الله عليه وآله ومنهاجه وطريقته ، ولا يحقّ لهم التَّخَلُّف عن ذلك ؛ لكونهم لا زالوا احياءً يُرزقون.

(٢) آل عمران: ٤٩.

٢ـ بيان قوله تقدَّس ذكره: ﴿حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ﴾[١].

٣ـ بيان قوله تعالىٰ ذكره: ﴿فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ﴾[٢].

٤ـ بيان قوله جلَّ ذكره: ﴿قُلْ يَتَوَفَّاكُمْ مَلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ﴾[٣].

ودلالة الجميع واضحة.

٥ـ بيان أَمير المؤمنين (صلوات اللّـه عليه): «... **يا أَيُّها النَّاس ، لعلَّكُم لا تسمعون قائلاً يقول مثل قولي بعدي إِلَّا مفتر ... أَنا موتم البنين والبنات ، أَنا قابض الأَرواح...**»[٤].

٦ـ بيانه (صلوات اللّـه عليه) أَيضاً: «... **أَنَا أُحيي وأُميت بإِذن ربِّي ، أَنا أُنبئكم بما تأكلون ، وما تدَّخرون في بيوتكم بإِذن ربِّي وأَنا عَالِم بضمائر قلوبكم ، والأَئمَّة من أَولادي عليهم السلام يعملون ويفعلون هذا إِذا أَحَبُّوا وأَرادوا ...**»[٥].

ودلالته ـ كدلالة سابقه ـ واضحة ، ومضمونه نفس مضمون البيانات الوحيانيَّة المُتقدِّمة ، لا سيما البيان الأَوَّل ؛ فإِنَّ أَمير المؤمنين وسائر أَهل البيت (صلوات اللّـه عليهم) لَـمَّا كانوا أَشرف وأَكمل المخلوقات ، وأَعلاها

---

(١) الأَنعام: ٦١.
(٢) محمَّد: ٢٧.
(٣) السجدة: ١١.
(٤) بحار الأَنوار ، ٥٣: ٤٥/ح١.
(٥) المصدر نفسه ، ٢٦: ١ـ٧/ ح١.

وجوداً ومقاماً ورتبةً ، وكانوا وسائط الفيض الإلٰهي لجملة العوالم وسائر المخلوقات فما أُعطي لسائر جملة المخلوقات من شرفٍ وعزَّةٍ وكمالٍ وفضلٍ ومقامٍ ورتبةٍ فبالأَولىٰ يُعطىٰ لهم (صلوات اللّـه عليهم) وزيادة.

وهذا برهانٌ عقليٌّ بديهيٌّ.

ومن ثَمَّ ما تمتَّع به النَّبيّ عيسىٰ عليه السلام وسائر المخلوقات المُكرَّمة ؛ منهم: إسرافيل وعزرائيل عليهما السلام تمتَّع به أَهل البيت (صلوات اللّـه عليهم) وزيادة ؛ فيحيون ويميتون بفعلٍ أَلطف ، وأَعظم هيمنة ، وأَشدُّ سلطنة وقدرة وقوَّة على وفق القاعدة ؛ ومن دون أَيّ شائبة غُلُوّ في المقام.

بل البراهين والبيانات الوحيانيَّة قائمة على ذلك.

فلاحظ ، منها :

١ـ بيان الإمام زين العابدين عليه السلام ، عن الثمالي ، قال: «**قلتُ له: جُعِلْتُ فداك ، الأَئمَّة يعلمون ما يُضمر؟ فقال: علمتُ واللّـه ما علمت الأَنبياء والرُّسل ، ثُمَّ قال لي: أزيدكَ؟ قلتُ: نعم. قال: ونزاد ما لم تزد الأَنبياء**»[1].

٢ـ بيان الإمام الصادق عليه السلام: «**إنَّ عيسىٰ بن مريم عليه السلام أُعطي حرفين كان يعمل بهما ، وأُعطي موسىٰ عليه السلام أَربعة أَحرف ، وأُعطي إبراهيم عليه السلام ثمانية أَحرف ، وأُعطي نوح خمسة عشر حرفاً ، وأُعطي آدم خمسة وعشرين حرفاً ، وإنَّ اللّـه تبارك وتعالىٰ جمع ذلك كلّه لمحمَّد صلى الله عليه وآله [2] ، وإنَّ اسم اللّـه الأَعظم ثلاثة وسبعون حرفاً ، أَعطىٰ [3] محمَّداً صلى الله عليه وآله اثنين وسبعين حرفاً ، وحجب عنه**

---

(١) بحار الأَنوار ، ٢٦: ٥٥/ح١١٤. بصائر الدرجات: ٦٦.

(٢) في البصائر: (وإنَّه جمع اللّـه ذلك لمحمَّد صلى الله عليه وآله وأَهل بيته).

(٣) في البصائر: (أَعطىٰ اللّـه).

حرفاً واحداً»[1].

ودلالته ـ كدلالة سابقه ـ واضحة.

الإماتة وبقيَّة الأَفعال الإلهيَّة على طبقات

وَمِنْ كُلِّ ما تقدَّم يتَّضح: أَنَّ الإِماتة على مراتب وطبقات ودرجات من حيث الغلظة واللطافة.

أَحدها: ما يقوم به جنود عزرائيل عليهم السلام[2].

---

(١) بحار الأَنوار، ١٧: ١٣٤/ ح١١. أُصول الكافي، ١: ٢٣٠. بصائر الدرجات: ٥٧.

(٢) ينبغي الإِلتفات في المقام إِلى القضايا التَّالية:

القضيَّة الأُولَىٰ:

إِحتياج عزرائيل عليه السلام في عمليَّة قبض الأَرواح إِلى محاذاة وما شاكلها

يحتاج عزرائيل عليه السلام في عمليَّة قبض الأَرواح إِلى مُحاذاة وإِنْ كانت محاذاة ملكوتيَّة.

ومُهمَّة عزرائيل عليه السلام الإِلٰهيَّة في قبض الأَرواح شاملة لأَرواح: البشر والجنّ والملائكة والحيوانات والنَّباتات.

ثُمَّ إِنَّه يجب تنزيه فعل إِماتة الباري (تقدَّس ذكره) عن فعل إِماتة عزرائيل عليه السلام، وذلك لِاحتياج فعله عليه السلام إِلى نوع ملابسة روحيَّة، وهو (تقدَّست آلاؤه) متى غابت الأَرواح عنه كيما يحتاج إِلى ملابستها والقرب منها.

القضيَّة الثَّانية:

هيمنة عزرائيل عليه السلام أَشمل من هيمنة جنده

إِنَّ عزرائيل عليه السلام يُهيمن ويقبض أَرواح الملائكة والإِنس والجنّ والحيوانات والنَّباتات. ←

ثانيها: أَلطف وأشف ، وهي: ما يقوم به عزرائيل عليه السلام.

ثالثها: أَلطف وأَشف مِمَّا يقوم به عزرائيل عليه السلام ، وهي: ما يقوم به الاسم الإِلٰهي (المميت) ، وهو: أَحد طبقات حقيقة أَمير المؤمنين وحقائق بقيَّة أَهل البيت (صلوات اللّـه عليهم) الصَّاعدة في مرتبة الأَسمآء والصفات الإِلٰهيَّة. وهذا ما تُشير إِليه بياناتهم (صلوات اللّـه عليهم) ، منها: ما تقدَّم ، ويضاف إِليها: بيان أَمير المؤمنين عليه السلام أَيضاً ، مُخاطباً الحارث الهمداني: «**يا حار همدان ، من يمت يرني ، من مؤمن أَو منافق قبلاً**»[1]. وبيانه (صلوات اللّـه عليه) أَيضاً ، عن عبد الرحيم القصير ، قال: «قلت لأَبي جعفر عليه السلام: حدَّثني صالح بن ميثم ، عن عباية الأَسدي أَنَّه سمع عليّاً عليه السلام يقول: **واللّـه ، لا يبغضني عبد أَبداً يموت على بغضي إِلَّا رآني عند موته حيث يكره ، ولا يحبّني عبداً أَبداً فيموت على حبِّي إِلَّا رآني عند موته حيث يحب**. فقال أَبو جعفر عليه السلام: **نعم ، ورسول اللّـه صلى الله عليه وآله باليمين**»[2].

← بخلاف جنده ؛ فإِنَّهم يُهيمنون على نوعٍ من المخلوقات ، فبعضهم يهيمن ويقبض أَرواح الإِنس فقط ، والآخر يُهيمن ويقبض أَرواح الجنّ فحسب ، والثَّالث يُهيمن ويقبض أَرواح الحيوانات حسب.

ومعناه: أَنَّ مساحات الهيمنة والاستواء تختلف بين المخلوقات.

القضيَّة الثَّالثة:

نزع الرُّوح

مَنْ يُشاهد حالة موت الحيوانات ونزع أَرواحها فسيجد أَنَّها تعيش حالة ترقُّب ومحاربة ومواجهة ومصارعة شيئاً خفيّاً يبغي استلال روحها.

(١) بحار الأَنوار ، ٦: ١٨١.

(٢) المصدر نفسه ، ٣٩: ٢٣٨/ ح٢٥. فروع الكافي ، ٣: ١٣٢ـ١٣٣.

رابعها: وهي الأَلطف والأَشدُّ على الإِطلاق والمهيمنة على جميع ذلك ما يقوم به: (الـمُميت) ـ المُسَمَّىٰ ـ صاحب الذَّات الإِلٰهيَّة الأَزليَّة المُقدَّسة.

وعلى هذا قس الإِحياء وبقيَّة الأَفعال والصفات والأَسماء والشؤون[1]. فأَين الغلوّ في المقام.

هذا ما يسمح به المجال وسيأتي (إِنْ شاء الله تعالىٰ) مزيد بيان وأَدلَّة ؛ عن هذه القضيَّة المعرفيَّة والعقائديَّة المُعَقَّدة والمُهِمَّة والخطيرة فانتظر.

---

(١) هناك خلط حصل لدىٰ البعض بين الفاعل بالآلة ـ كحال عزرائيل وإسرافيل وجندهما عليهم السلام ـ ، والفاعل بالتَّجلِّي ـ كحال الباري المُسَمَّىٰ (تعالىٰ ذكره) ، والأَسماء والصفات الإِلٰهيَّة ؛ طبقات حقائق أَهل البيت عليهم السلام الصَّاعدة ـ وحكم بالوحدة.

والحقُّ: أَنَّ بينهما فرق وبون شاسع ؛ فإِنَّ الفاعل بالآلة ناقص ؛ لإِحتياجه إِلى حركة ، وقرب وبُعد ، ومُوازاة ، ومباشرة ومعالجة. بخلاف الفاعل بالتَّجلِّي ؛ فإِنَّه أَكمل أَنواع الفاعل ، ولا نقص فيه ؛ ومن ثَمَّ لا يحتاج إِلى جملة ذلك.

وإِلى هذا تُشير بيانات الوحي ، منها :

بيان الإِمام الصادق عليه السلام في ردِّه على سؤال الزنديق: «... فما هو؟ قال أَبو عبداللَّـه عليه السلام: **هو الرَّبُّ ، وهو المَعْبُود ، وهو اللَّـهُ** ... قال السَّائلُ: فيُعاني الأَشياء بنفسه؟ قال أَبو عبداللَّـه عليه السلام: **هو أَجَلُّ من أَنْ يُعَانِيَ الأَشياء بمباشرةٍ ومعالجةٍ ؛ لأَنَّ ذلك صِفَةُ المخلوق الَّذي لا تجِيءُ الأَشياءُ له إِلَّا بالمباشرةِ والمعالجةِ ، وهو مُتعَالٍ نافِذُ الإِرادة والمشِيئَة ، فَعَّالٌ لِـمَا يَشاءُ**». أُصول الكافي ، ١ : ٥٩ـ ٦١/ ح٦.

ودلالته واضحة.

أُمور يجدر الاِلتفات إِليها

لكن قبل الرُّجوع إِلى صلب الموضوع يجدر الاِلتفات إِلى الأُمور التَّالية:

الأَمر الأَوَّل:

تَعَصِّي البعض عن قبول ما ورد في حقِّ أَهل البيت عليهم السلام

العجب مِـمَّن يدَّعي ويزعم انتسابه إِلى مدرسة أَهل البيت صلوات اللّـه عليهم وهو لا يقبل ببيانات الوحي الواردة في حقِّهم ، ويرفض طُرق العامَّة فضلاً عن طُرق الخاصَّة ، وكأَنَّه يقطع نفسه عن تراث السُّنَّة الشَّريفة.

وقد حكمت كلمة المسلمين بالإِجماع على مَنْ يقطع نفسه عن هذا التراث العظيم والخطير بـ: الخروج عن مِلَّة المسلمين ؛ فإِنَّ أَقلّ وأَدنىٰ مراتب الإِسلام ؛ ولا يصير الشخص من عبدة الشَّيطان[1] قبوله بالروايات المتواترة بين الفريقين.

---

(١) مشكلة (إِبليس) وأزمته السرمديَّة في الخلقة ، الَّتي تذكرها بيانات الوحي لبدء طريق الشَّرِّ تكمن في عدم الولاية لولي اللّـه عزوجل.
وشعاره ليس الإِلحاد ، بل التَّوحيد ، لكن بكفر وإِنكار الوسائط.
وَمِنْ ثَمَّ ورد في بيانات أَهل البيت (صلوات اللّـه عليهم) أَنَّه يُحاجج جملة من الأَنبياء عليهم السلام في التَّوحيد ، ويَدَّعي أَنَّه أَدقُّ تنظيراً في بعضها.
وهذا المذهب نفس مذهب الوهابيَّة والسَّلفيَّة حَذْوَ النَّعْلِ بالنَّعْلِ. وهو نفس عبادة الشَّيطان المُتَّخذة في العصر الرَّاهن ، نعم هذه العبادة على مذاهب ، وتتلبَّس بموضات مختلفة ؛ كيما لا تُكشف ، وهي قائمة على الفواحش والفجور ، وسفك الدماء ، وهتك الأَعراض ، وسلب الأَموال.

والإِنسان وإِنْ كان حرّاً في ذلك ، لكن: عليه أَنْ يعلن عن نفسه ، ويكون صريحاً مع الآخرين ، ولا يخدعهم ، ولا يُشبِّه ولا يُزيِّف عليهم: أَنَّه من المُتشبِّثين ببيانات الثقلين ، والصدق هو الأَهم ، والخداع معيب ودجل ومكر وخديعة.

وإِلى أَصحاب هذا الخطّ تشير بيانات الوحي ، منها :

بيان سيِّد الأَنبياء صلى الله عليه وآله: «... **أَيُّها النَّاس ، مالكم إِذا ذُكر إِبراهيم وآل إِبراهيم أَشرقت وجوهكم ، وإِذا ذكر مُحمَّد وآل مُحمَّد قست قلوبكم وعبست وجوهكم؟! والَّذي نفسي بيده لو عمل أَحدكم عمل سبعين نبيّاً لم يدخل الجنَّة حتَّىٰ يحبّ هذا أَخي عليّاً وولده ، ثُمَّ قال** عليه السلام: **إِنَّ للّٰـه حقّاً لا يعلمه إِلَّا أَنا وَعَلِيّ ، وإِنَّ لي حقّاً لا يعلمه إِلَّا اللّٰـه وعَلِيّ ، وله حقّ لا يعلمه إِلَّا اللّٰـه وأَنا**»[1].

ودلالته واضحة ؛ فإِنَّ أَصحاب هذا الخطّ والمنهج والمسلك ومن جرىٰ على شاكلتهم يُحاولون بكُلِّ ما أُوتوا من صنعةٍ ـ بدعوىٰ التَّحقيق ـ هدم كُلّ ما ورد من شؤونٍ وأَحوالٍ ومقاماتٍ وفضائلٍ وكمالاتٍ في حقِّ أَهل البيت صلوات اللّٰـه عليهم تحت ذريعة: الغُلُوّ ؛ وما شاكله من ادِّعاء: ضعف السند أَو الدلالة أَو عدم المقبوليَّة ؛ وإِنْ كان ذلك ثابتاً بعشرات ، بل بمئآت الطُّرق والبيانات الوحيانيَّة والسِّيَر والنقول التأريخيَّة وما شاكلها ، وكانت دلالاتها صريحة وواضحة كالشَّمس الضاحية ولا غبار عليها ، وفي

(١) بحار الأَنوار ، ٢٧: ١٩٦/ ح٥٦. الروضة: ١٤٧.

مقابل ذلك لا يتورَّعون ولا تجد هذه الحساسيَّة موجودة عندهم في حقِّ سائر المخلوقات ، فيتشَبَّثون من دون أَيّ تقوىٰ بكُلِّ شاردةٍ وواردةٍ ، كتشبُّث الغريق بالطحلب ؛ لإِثبات مقامات لهم[1] وكرامات وفضائل وكمالات ، ولا يعتنون بسندها ولا بدلالتها ، فما عدا مِمَّا بدا.

الأَمر الثَّاني:

أَعظم ظُلامة لأَهل البيت عليهم السلام جفوتهم في علومهم

إِنَّ أَعظم ظُلامة وقطيعة تحصل بيننا وبين أَهل البيت صلوات اللّٰـه عليهم: هجرانهم وجفوتهم في علومهم ؛ لاسيما العقائديَّة والمعرفيَّة ، وأَعظم وأَكبر وصال وصلة تحصل بيننا وبينهم عليهم السلام ـ والَّذي أَمرنا الله عزوجل بصلته ـ ، وأَعظم وأَخطر رحم نصلها ونتواصل معها: الإِتِّصَال بهم صلوات اللّٰـه عليهم والتَّواصل معهم في علومهم لاسيما العقائديَّة والمعرفيَّة.

الأَمر الثَّالث:

زيادة المعرفة بأَهل البيت عليهم السلام

إِنَّ زيادة معرفة المخلوق بأَهل البيت عليهم السلام توجب عُلُوَّ مراتبه ودرجاته؛ وعُلُوَّ تكامل جوهره.

---

(١) مرجع الضمير: سائر المخلوقات.

الأَمر الرَّابع:

تعظيم المخلوق

إِنَّ تعظيم المخلوق مهما بلغ إِذا كان على وفق الموازين والأُسس والأُصول والقواعد الوحيانيَّة لا يكون إِلَّا عين التَّوحيد، وليست فيه شائبة ورائحة الغُلُوّ والتَّأليه. فالتفت.

الأَمر الخامس:

التَّعامل مع معارف أَهل البيت عليهم السلام

التَّقصير أَشَدُّ جرماً ومُؤاخذة وانحطاطاً من الغُلُوِّ

ينبغي الِالتفات: أَنَّنا نتعامل في هذه المسائل والمطالب المعرفيَّة مع علوم أَهل البيت عليهم السلام ومعارفهم وعقائدهم، وهي جسيمة وعظيمة وخطيرة جِدّاً، بعض مراتبها لا يحتملها مَلَكٌ مُقرَّب ـ كـ: جبرئيل عليه السلام[1] ـ ولا نبيٌّ مرسل ـ كـ: النَّبيِّ إِبراهيم عليه السلام ـ ولا مؤمنٌ مُمتحن ـ كـ: سلمان رضوان الله عليه ـ.

---

(١) **لا بأس بالِالتفات** إِلى أَنَّ اسم (جبرئيل عليه السلام) مأخوذ من الجبروت والجبر، ولهما معنيان:

الأَوَّل: الغضب والقدرة. فلذا كان جبرئيل عليه السلام مظهراً لغضب اللّٰه تعالىٰ وقدرته وبطشه وجبروته؛ ومن ثَمَّ جرىٰ العذاب الإِلٰهيّ لكثير من الأَقوام السَّالفة ـ كقوم لوط ـ على يديه.

الثَّاني: جبر النقص بالكمال، ومن ثَمَّ كان جبرئيل عليه السلام يمدُّ الأَنبياء والأَوصياء عليهم السلام بالوحي والعلم اللدنِّي، بل ويمدُّ غيرهم من موارد جبر الكائنات.

فانظر: بيانات الوحي ، منها :

بيان الإمام الصَّادق عليه السلام ، عن أَبي الصَّامت ، قال: «... **إِنَّ حديثنا صعب مُستصعب ، شريف كريم ، ذكوان ذكيٌّ وعر ، لا يحتمله مَلَكٌ مُقَرَّب، ولا نَبيٌّ مُرْسَلٌ ، ولا مؤمنٌ مُمتحنٌ**. قلت: فَمَنْ يحتمله جُعِلْتُ فداك؟ قال: **مَنْ شئنا يا أبا الصامت**. قال أبو الصامت: فظننتُ أَنَّ للّـه عباداً هم أَفضل مِنْ هؤلاء الثلاثة»[1].

ودلالته واضحة.

لكن: الشَّكّ والتَّرديد فيها ـ بعد قيام الدَّليل القطعي عليها ـ يكشف عن وجود تقصير وعداء ونصب خفيّ لأَهل البيت عليهم السلام.

فلاحظ: بيانات الوحي ، منها:

بيان أَمير المؤمنين عليه السلام: «... **لا تسمُّونا أَرباباً وقولوا في فضلنا ما شئتم ؛ فإِنَّكم لن تبلغوا من فضلنا كُنْه ما جعله الله لنا ، ولا معشار العشر ؛ لأَنَّا آيات الله ودلائله ... ولو قال قائل: لِمَ ، وكيف ، وفيم؟ لكفر وأَشرك ؛ لأَنَّه لا يُسأل عمَّا يفعل وهم يُسألون ... مَنْ آمن بما قلتُ وصدَّق بما بيَّنتُ وفسَّرتُ وشرحتُ وَأَوضحت ونوَّرتُ وبرهنتُ فهو مؤمنٌ مُمتحن ، امتحن اللهُ قلبه للإِيمان ، وشرح صدره للإِسلام ، وهو عارف مُستبصر ، قد انتهىٰ وبلغ وكمل ، وَمَنْ شَكَّ وعند وجحد ووقف وتحيَّر وارتاب فهو مُقصِّرٌ وناصب ...**»[2].

---

(١) بحار الأَنوار ، ٢: ١٩٢/ ح٣٤.

(٢) المصدر نفسه ، ٢٦: ١ ـ ٧/ ح١.

ودلالته واضحة ، **بعد الإلتفات**: أَنَّ النصب والعداء لأَهل البيت عليهم السلام وإِن عدَّه بعض العامَّة: خمسة عشرة دركة ؛ لكنَّ واقعه لا حدَّ ولا مُنتهىٰ له ، وليس له إِلَّا لظىٰ. وعلى المخلوق تحديد موقفه من طبقات حقائق أَهل البيت عليهم السلام ومن معارفهم وعلومهم ؛ فإِنَّه على أَقلِّ تقدير أَنَّ الإِبْتِعَاد عنهم عليهم السلام وعن علومهم ومعارفهم لاسيما العقائديَّة تقصير جَلِيّ ، وهو أَشَدُّ ذنباً وجُرماً وانحطاطاً من الغُلُوِّ فيهم عليهم السلام وفيها.

والوجه: أَنَّ الباري عزَّ وجلَّ طعن في قرآنه الكريم على النصارىٰ ونعتهم بالضَّالين ؛ لغُلُوِّهم في النَّبيّ عيسىٰ عليه السلام ، لكنَّه جلَّ شأنه طعن في قرآنه الكريم أَيضاً على بني إِسرائيل بأَشَدِّ من ذلك ونعتهم بـ: (المغضوب عليهم)؛ وذلك لتقصيرهم في معرفته عليه السلام ، وبين التَّعبيرين بون شاسع ، يكشف عن مدىٰ جرم التَّقصير وشناعته وانحطاطه ؛ لاسيما في معرفة علوم أَهل البيت عليهم السلام وحقائقهم لاسيما طبقاتها الصَّاعدة.

وعليه: فليلتفت الهارب من شائبة الغُلُوّ في أَهل البيت عليهم السلام ومعارفهم وعلومهم أَنْ لا يرتطم من حيث لا يشعر بمحذور التَّقصير ، وهو الأَشنع والأَشَدُّ جرماً وانحطاطاً ومُؤاخذة لاسيما في حقِّ أَهل البيت عليهم السلام وعلومهم ومعارفهم لاسيما العقائديَّة ؛ وذلك عن طريق الإِبتعاد وعدم التَّعَرُّض لمعارفهم وعقائدهم عليهم السلام الواردة في طبقات حقائقهم لاسيما الصَّاعدة. والنَّجاة تكمن في الجادَّة الوسطىٰ ، وهي: (الأَمرُ بَيْنَ الأَمرين) ، وذلك عن طريق الأَخذ ببيانات الوحي الواردة في حقِّهم بعد عرضها على مُحكمات الشَّرع والدِّين.

بل ورد في بيانات الوحي: أَنَّ التَّقصير في حقِّ أَهل البيت (صلوات اللّـه عليهم) وعقائدهم ومعارفهم ومقاماتهم وشؤونهم وَأَحوالهم أَشنع وأَشدُّ جرماً ـ والعياذ بالله تعالىٰ ـ من النصب ؛ لأَنَّ النصب عداء لشيعتهم ؛ بخلاف التقصير فإِنَّه عداء لهم عليهم السلام ، وأَيُّ جرمٍ أَعظم وَأَخطر من هذا.

فانظر: بيانات الوحي ، منها :

١ـ جواب الإِمام الصَّادق عليه السلام عن سؤال المُفَضَّل بن عمر[١] ، قال: «... يا مولاي ، مَنْ المُقصِّرة ...؟ قال: **يا مُفضَّل ، هم الَّذين هداهم الله إِلى فضل علمنا ، وأَفضىٰ إِليهم سرّنا فشكُّوا فينا ، وَأَنكروا فضلنا** ... قال المُفَضَّل: يا مولاي ، أَليس قد روينا عنكم أَنَّكم قلتم ... والتَّالي نلحقه بنا ، قال: ... **التَّالي هم من خيار شيعتنا ، القائلين بفضلنا ، المُستمسكين بحبل الله وحبلنا ، الَّذين يزدادون بفضلنا علماً ، وإِذا ورد على أَحدهم خبر قبله وعمل به ولم يشكّ فيه ، فإِنْ لم يطقه ردَّه إِلينا ، ولم يرد علينا ...**»[٢].

٢ـ بيانه عليه السلام أَيضاً: «... **النَّاصبة أَعداؤكم ، والمُقَصِّر أَعداؤنا ؛ لأَنَّ النَّاصبة تُطالبكم أَنْ تُقدِّموا علينا أَبا بكر وعُمر وعثمان ، ولا يعرفوا من فضلنا شيئاً ، والمُقَصِّرة قد وافقوكم على البراءة مِـمَّن ذكرنا ، وعرفوا فضلنا فأَنكروه وجحدوه ، وقالوا: هذا ليس لهم ؛ لأَنَّهم بشرٌ مِثلنا ، وقد صدقوا أَنَّنا بشرٌ مِثْلهم إِلَّا أَنَّ الله بما يُفوّضه إِلينا من أَمره ونهيه فنحن نفعل بإِذنه ...**»[٣].

---

(١) إِنَّ المفضَّل بن عمر كان من النُّوَّاب الخاصِّين للإِمام الصَّادق (صلوات اللّـه عليه) ، وهو ذو قدم راسخ في المعرفة وأَسرار المعارف والعقائد.

(٢) الهداية الكبرىٰ: ٤٣١.

(٣) عوالم العلوم: ٥/ ٧٧.

ودلالتها واضحة. ومن ثَمَّ وجب على العاقل ـ لاسيما مَنْ تَزيَّىٰ بجلباب العلم ـ بذل قصار جهده للخروج عن هذه الدَّائرة وعنوان التقصير وما يصاحبه من الأَمراض النفسيَّة والمعنويَّة ـ كـ: الجهل المُرَكَّب ، والقناعات المُسْبَقة ، والشَّكِّ والرِّيبة والتردُّد في قبول ما قام عليه الدَّليل من مقامات لأَهل البيت (صلوات اللّٰـه عليهم) وشؤونهم وَأَحوالهم.

والإِنسان وإِنْ كان حُرّاً في تصرُّفاته واعتقاداته لكنَّنا أَحببنا التَّنبيه على ذلك.

الأَمر السَّادس:

نُكْتَة عدم استيعاب عقول المخلوقات لشؤون أَهل البيت عليهم السلام

إِنَّه لَـمَّا كانت هذه المعارف الإِلٰهيَّة بكراً لم تُفتق من قبل قطُّ بهذا الشَّكل والبيان الموجود في سلسلة المعارف الإِلٰهيَّة هذه ، ولم يُنبس بها ببنت شفة ـ مع أَنَّ بيانات الوحي زاخرة بها ـ فمن الطبيعي يحصل فيها توقُّف وتردُّد لدىٰ مَنْ يُخبر من ضعيفيِّ الإِيمان بمقاماتهم (صلوات اللّٰـه عليهم) وبصفاتهم وأَسمائهم وكمالاتهم وفضائلهم وشؤونهم وأَحوالهم ؛ وإِنْ قام عليها الدَّليل القطعي.

مضافاً: أَنَّ ما جادت به يد ساحة القدس الإِلٰهيَّة على أَهل البيت (صلوات اللّٰـه عليهم) عطايا لا تتحمَّل تصوُّرها طاقة وقابليَّة مخلوق قَطُّ ، ولا يمكن خطورها على بالٍ قَطُّ فمن الطبيعي أَيضاً حصول توقُّف وتردُّد لدىٰ من يطَّلع عليها من ضعيفيِّ الإِيمان أَو يُخبر بها وإِنْ قام عليها الدَّليل القطعي. **بعد الإِلتفات:** أَنَّ لازم ذلك التوقُّف والشَّكّ والتردُّد: إِلحاد وشرك

وكفر باللَّـه (العزيز الجبَّار). وهذا ما نبَّهت عليه وحذَّرت منه بيانات الوحي، منها:

١ـ إِطلاق بيان الحديث القدسي: «... **يا مُـحَمَّد ... وعزَّتي وجلالي، لو لقيني جميع خلقي يشكُّونَ فيكَ طرفة عين، أَو يبغضون صفوتي مِنْ ذُرِّيَّتكَ لأَدخلتهم ناري ولا أُبالي...**»[1]. [2]

---

(١) بحار الأَنوار، ١٨: ٣٩٧/ ح١٠٠. اليقين في أُمرة أَمير المؤمنين: ٨٩ ـ ٩١.

(٢) يجدر الإِلتفات في المقام إِلى القاعدة المعرفيَّة التَّالية:

الأَدب في باب الإِصطفاء إِنعكاس لحقائق ومقامات إِلٰهيَّة

هناك قاعدة جارية في أَبواب المعارف مُهمَّة جِدّاً، ينبغي صرف النظر إِليها. لكن غفل عنها الكثير، بل يستهينون بها ولم يدركوا مغزاها، وهي: «أَنَّ الآداب في باب الإِصطفاء عبارة عن إِنعكاسات حقائق. كما أَنَّ الفضائل في باب الإِصطفاء ـ أَيضاً ـ الواردة في بيانات الوحي ليست مُجاملات، بل كاشفة عن حقائق ومراتب كمالات ومقامات إِلٰهيَّة».

وعليه: فالآداب بين الباري (جَلَّ ثناؤه) والأَصفياء، أَو بين نفس الأَصفياء كاشف عن كمالات ومقامات إِلٰهيَّة يتمتَّع بها الأَصفياء.

تعامل أُمّ البنين وأَولادها مع الحسنين عليهم السلام

ومنه يتَّضح: أَنَّ الأَدب الحاصل من أَبي الفضل العبَّاس وإِخوته ووالدتهم أُمّ البنين مع سيِّدا شباب أَهل الجنَّة عليهما السلام لدليل على تمتعهم بكمالات ومقامات إِلٰهيَّة.

ومن ثَمَّ ذكر علماء المعقول في العلوم العقليَّة: «أَنَّ الآداب انعكاس لهيئات الأَخلاق».

←

وبعبارة أُخرىٰ: أَنَّ لغة الفضائل ولغة المدح والمديح الواردة في بيانات الوحي: أَحَد مناهج ولغات بيانات الوحي المعرفيَّة ، ومعناها: الحُجِّيَّة ، بخلاف لغة: (الذَّمّ) ، فإِنَّها تعني في بيانات الوحي المعرفيَّة وفي لغة العقل العملي: عدم الحُجِّيَّة.

ومنه يتَّضح: ما ورد في كثير من بيانات الوحي المعرفيَّة ، وفي مواطن وموارد عديدة الذَّامَّة والمعاتبة لأَفعال بعض زوجات سيِّد الأَنبياء ﷺ ـ كما ورد ذلك في سورة التَّحريم ، ومعناها: لغة من لغات المعارف والعقائد الإِلٰهيَّة ـ معلنة ومُثبتة: أَنَّ زوجات سيِّد الأَنبياء ﷺ لا يتمتَّعن بالحُجِّيَّة الإِلٰهيَّة ولا بالإِصطفاء الإِلٰهيّ.

وعلى ضدِّه قس المدح والثناء الخاص والصَّادر في بيانات الوحي في حقِّ أَهل البيت عليهم السلام ـ كالوارد في سورة الدَّهر وسورة الحشر ـ ؛ فإِنَّه ليس كالمدح والثناء البشري ، ولا كالمدح والثناء بمقتضىٰ العادة أَو العرف ، وإِنَّما مدح وثناء إِلٰهيّ ناسوتي وناموسي إِلٰهيّ ، بُيِّنت فيه فضائل أَهل البيت عليهم السلام وكمالاتهم وكراماتهم ومقاماتهم الإِلٰهيَّة بصورة خاصَّة ، ومعناه: تَمتُّع أَهل البيت (صلوات اللّٰـه عليهم) بالحُجِّيَّة الإِلٰهيَّة ، وبالإِصطفاء الإِلٰهيّ ، وبوجوب طاعتهم.

وبعبارة أُخرىٰ: أَنَّ بيانات الوحي تُعَبِّر في مواد كثيرة عن حقائق المعارف والعقائد الإِلٰهيَّة بلغات خاصَّة ـ لا عامَّة ـ عديدة ، فبدل أَنْ يُبيِّن الباري ﷻ أَحَد فضائل ومقامات أَهل البيت عليهم السلام الإِلٰهيَّة ـ مثلاً ـ بلغة: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ**﴾ [النساء: ٥٩] ، يُبيِّنُها بلسانٍ ولغةٍ أُخرىٰ ، كلغة: ﴿**وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَىٰ * ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ * فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ**﴾ [النجم: ٧ـ٩] ، أَو بلغة: ﴿**إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا**﴾ [الأَحزاب: ٣٣] ، وسائر المدح والثَّناء الَّذي لم يخُصَّ الباري تعالىٰ به أَحَداً من هذه الأُمَّة إِلَّا أَهل البيت (صلوات اللّٰـه عليهم).

وهذا التَّخصيص وهذه الموازين والحفاوة والكرامة والوجاهة الصَّادرة من ساحة القدس الإِلٰهيَّة ليست موازين وحفاوة وتكريم وتوجيه بشراً أَو عرفاً أَو عادةً

جارية ، وإنَّما موازين ربوبيَّة وناسوتيَّة وناموسيَّة إلٰهيَّة قائمة على وفق قاعدة: «ليس بين اللّـه ﷻ وأحد قَرَابَة». وعليه: فحينما يصحر الباري جلَّ شأنه بفضائل ويأتي بثناء ومدائح في حقِّ مخلوقٍ فمعناه: اِصطفاء إلٰهيّ ؛ وحُجِّيَّة ؛ ووجوب طاعة ؛ ووجوب ولاية إلٰهيَّة ، غاية الأَمر أَنَّ هناك فارقاً بين لغة بيانات الوحي المُصرِّحة ، كـ: بيان قوله جلَّ قوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾ [النساء: ٥٩] ، ولغتها المُعرِّضة ، كـ: بيان قوله عزَّ من قائل: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ [الأَحزاب: ٣٣] ، فإنَّ لغة الأُولىٰ لغة عقل نظري ، بخلاف لغة الثانية ؛ فإنَّها لغة عقل عملي.

إذَنْ: لغة الكرامات والفضائل والمدائح الواردة في بيانات الوحي لغة حُجِّيَّة إلٰهيَّة ، ولغة معارف وعقيدة إلٰهيَّة ، وليست (والعياذ باللّـه تعالىٰ) لغة شعر أَو نثر ، أَو مديح بترنُّم فيه مسحة خيال أَو مداعبات للخيال ، ومن ثَمَّ يؤكِّد الباري جلَّ قدسه كراراً ومراراً: أَنَّ ما ورد في قرآنه الكريم ليس شعر شاعر وما شاكله ، وإنَّما هو عبارة عن كشَّاف عظيم للحقائق والواقعيَّات الكونيَّة المهولة الثَّابتة في عوالمها غير المتناهية.

فانظر: بيانات الوحي ، منها:

بيان قوله عزَّ من قائل: ﴿وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُبِينٌ﴾ [يس: ٦٩].

برهانٌ وحيانيٌّ عظيمٌ يُثبت حُجِّيَّة واصطفاء الزَّهراء عليها السلام

ومنه يتَّضح: برهاناً وحيانيّاً عظيماً على حُجِّيَّة الزَّهراء (صلوات اللّـه عليها) ؛ فإنَّ الباري في قرآنه الكريم رَكَّز عليها في مواطن وموارد عديدة ، منها :

١ـ بيان قوله عزَّ قوله: ﴿فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾ [آل عمران: ٦١] .

٢ـ بيان سيِّد الأَنبياء صلى الله عليه وآله: «**إِنَّ حديث آل مُـحمَّد صعب مستصعب ، لا يؤمن به إِلَّا مَلَك مُقَرَّبٌ ، أَو نَبِيٌّ مرسل ، أَو عبد امتحن اللَّـه قلبه للإِيمان... وإِنَّما الهالك: أَنْ يُحَدَّث بشيءٍ منه لا يحتمله فيقول: واللَّـه ، ما كان هذا شيئاً ، والإِنكار هو الكفر**»[1].

٣ـ بيانه صلى الله عليه وآله في وصيَّته لابن عبَّاس الواردة في حقِّ أَمير المؤمنين (صلوات اللّـه عليه): «**... يا بن عبَّاس إِحذر أَنْ يدخلكَ شَكٌّ فيه ؛ فإِنَّ الشَّكَّ في عَلِيٍّ كفر باللّـه تعالىٰ**»[2].

٤ـ بيان الإِمام الباقر عليه السلام ، عن جابر بن يزيد ، قال: «**... يا جابر ، حديثنا صعب مستصعب ، أَمرد ، ذكوان ، وعر أَجرد ، لا يحتمله واللَّـه إِلَّا**

٢ـ بيان قوله عزَّ ذكره الوارد بخصوصها وبعلها وبنيها (صلوات اللّـه عليهم): ﴿**وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا * إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا * إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا**﴾ [الإِنسان: ٨ـ١٠].
وعلى هذا قس بيان آيةَ التطهير وسائر بيانات الوحي الواردة بخصوصها وسائر أَهل البيت (صلوات اللّـه عليهم) ؛ فإِنَّها براهين وحيانيَّة ، ولغة من لغات المعارف والعقائد الإِلٰهيَّة ، تُثبت: أَنَّ لفاطمة الزَّهراء (صلوات اللّـه عليها) حُجِّيَّة إِلٰهيَّة واِصطفاء إِلٰهيّ.
وهذه نُكْتَة مُهمَّة في منظومة معارف وعقائد الوحي الإِلٰهيّ ، يلزم صرف النَّظر إِليها وإِلى هذه اللُّغة والتَّعامل معها.

(١) بحار الأَنوار ، ٢: ١٨٩/ح٢١.

(٢) المصدر نفسه ، ١٦: ٣٢٠/ح٧٤. مجالس ابن الشَّيخ: ٦٤ ـ ٦٥. فضائل شاذان بن جبرئيل: ٥ـ٧. الروضة: ١٥٦.

نَبِيٌّ مُرْسَل ، أَو مَلَكٌ مُقَرَّبٌ ، أَو مؤمن مُمتحن ، فإذا ورد عليك يا جابر شيءٌ من أَمرنا فلان له قلبكَ فاحمد اللّـه ، وإِنْ أَنكرته فردَّه إِلينا أَهل البيت ، ولا تقل: كيف جاء هذا؟ وكيف كان؟ وكيف هو؟ فإِنَّ هذا واللّـه الشرك باللّـه العظيم»[1].

ودلالتها واضحة.

وبالجملة: لعظم هول ما أُعطي لأَهل البيت (صلوات اللّـه عليهم) وعظم خطره يحصل لدىٰ من يطَّلع عليها أَو يُخبر بها وإِنْ كان بدليلٍ قطعيٍّ يقينيٍّ توقُّفاً أَو شَكّاً أَو تردُّداً أَو إِلحاداً أَو شركاً أَو كفراً بعضه جليّ ، والآخر خفيّ على دركات غير متناهية ، مشمولة ببيان قوله تعالىٰ: ﴿**وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ**﴾[2] ، يرجع إِلى مدىٰ تحمُّل قابِليَّات واستعدادات المخلوق.

الأَمر السَّابع:

الإِصلاح الأَكبر يكمن في بث البصيرة

إِعداد الكُلّ لمركزيَّة المعصوم من أَهل البيت عليهم السلام

إِنَّ الإِصلاح الأَكبر يقوم على بث البصيرة في الأُمَّة الإِسلاميَّة والإِيمانيَّة ، بل في كافَّة البشريَّة.

---

(١) بحار الأَنوار ، ٢: ٢٠٨/ح١٠٢.

(٢) يوسف: ١٠٦.

وأَكبر طريق صلاح وإِصلاح: إِعداد الكُلّ لمركزيَّة المعصوم عليه السلام ، وبث منهاج أَهل البيت صلوات اللّـه عليهم ، لكن: لا بآليَّة تُنفِّر الطرف.

وهذا الطريق يحتاج إِلى توازن ، وهو صعب ومستصعب. والمُحكَّم في المقام قاعدة: (لا يسقط الميسور بالمعسور).

الأَمر الثَّامن:

كافَّة أَسباب القوَّة والقدرة بيد أَهل البيت عليهم السلام

إِنَّ جميع أَسباب: القوَّة والقدرة والقيادة والإِدارة والحُكم وما شاكلها بيد أَهل البيت (صلوات اللّـه عليهم) ، لكنَّهم يستعملونها بطريقة سلميَّة ، مدنيَّة ، حضاريَّة. فراجع بيناتهم (صلوات اللّـه عليهم) وسِيَرَهم وأَحوالهم وشؤونهم تجد صدق ما نقول واضحاً وجليّاً.

الأَمر التَّاسع:

عدل أَهل البيت عليهم السلام أَحد أَسباب قوَّتهم واقتدارهم

إِنَّ أَحَّد أَسباب قوَّة وقدرة أَهل البيت (صلوات اللّـه عليهم): أَنَّهم ينصفون عدوّهم قبل أَنْ ينصفوا وليَّهم ، فذاك أَمير المؤمنين (صلوات اللّـه عليه) يأمر ذويه بإِنصاف قاتله ابن ملجم (لعنة اللّـه عليه) حتَّىٰ في صغائر ومُحَقَّرَاتِ الأُمور ، مع أَنَّه اعتدىٰ عليه بالغدر والغيلة والفتك والدَّجل ، وبدناءة لا أَخلاقيَّة في المواجهة والمجابهة ، بل ولا أَخلاقيَّة في العدوان ، ومع كُلّ هذا وغيره لم يكن لِعَلِيّ الطُّهر (صلوات اللّـه عليه) إِلَّا الإِنصاف معه ، فأَيُّ نفس هذه.

الأَمر العاشر:

تطهير النَّفس من شُبهة الغُلُوِّ

إِنَّ مَنْ لم يُطَهِّر باطن فكره من شبهة الغُلُوّ ـ كالوهابيَّة والسَّلفيَّة والأَشعريَّة ومَنْ شَاكَلَهُم من الْفِرَق المُنحرفة بعضها من الوسط الدَّاخلي ـ فسيرتطم لا محالة ـ شَعَر بذلك أَم لا ـ بمحذور التَّقصير ؛ فإِنَّ كُلَّ غُلُوٍّ ـ وبحسب ما عليه البرهان العقلي ـ فيه تقصير ، وكذا العكس ، شبيه التَّشبيه والتَّعطيل ، فإِنَّ بينهما استلزم أَيضاً ، والجادَّة الوسطىٰ جادَّة أَهل البيت (صلوات اللّـه عليهم) تكمن في: (الأَمر بين الأَمرين) ، وهي: المعرفة بالآيات الإِلٰهيَّة ، وهذا أَمرٌ معرفيٌّ عظيم جِدّاً.

الأَمر الحادي عشر:

الغُلُوّ والتَّقصير أَحدهما يستبطن الآخر

إِنَّ معنىٰ الغُلُوّ ليس ما يظنَّه الكثير من أَنَّه إِعطاء الحقّ وزيادة ، بل إِيفاء بما للشيء من حقيقةٍ وزيادة.

ثُمَّ إِنَّه ينبغي الإِلتفات: أَنَّ في كُلِّ غُلُوٍّ تقصير وفي كُلِّ تقصير غُلُوّ.

بيان ذلك يتمُّ من خلال البيان الرياضي والهندسي التَّالي ، وهو: أَنَّه لو أُريد توزيع مادَّة مُعيَّنة على أَقسام ولتكن ثلاثة ـ فلو فرض أَنَّه أُنقص من مادَّة القسم الأَوَّل شيء ، وحصل فيه تقصير فسيحصل تلقائيّاً غُلُوّ في أَحد

القسمين الآخرين أَو في كليهما ؛ فإِنَّه لابُدَّ أَنْ يُدفع ما أُخذ من القسم الأَوَّل: إِمَّا لأَحد القسمين أَو لكليهما.

وعلى هذا قس العكس ؛ فإِنَّه لو دُفِعَ للقسم الأَوَّل أَكثر من مادَّته وحصل فيه غُلُوّ فلازمه وقوع التَّقصير في أَحد القسمين الآخرين أَو في كليهما.

ومنه يتَّضح: أَنَّ اتباع السقيفة حينما قصَّروا في حقِّ أَهل البيت عليهم السلام ونفوا عنهم العصمة والإِمامة وما شاكلها ، أَثبتوها عمليّاً لأَصحاب السَّقيفة، وجعلوا الفقهاء الأَربعة ناموس الدِّين وأَئِمَّته.

وعلى هذا قس حال الصوفيَّة والعرفاء ؛ فإِنَّهم يسلبون خصوصيَّات ثابتة لأَهل البيت عليهم السلام ويُثبتوها لغيرهم.

وبالجملة: أَنَّ مَنْ يُقَصِّر في جهةٍ كما لو قصَّرَ في عصمة أَهل البيت عليهم السلام وإِمامتهم ومقاماتهم وشؤونهم وغيرها فلابُدَّ أَنْ يدفع بتلك العصمة والإِمامة والمقامات وغيرها إِلى غيرهم عليهم السلام ، ومن ثَمَّ حصول غُلُوّ في حقِّ ذلك الغير.

إِذَنْ: كُلُّ مُغالٍ مُقَصِّرٍ ، وكُلُّ مُقَصِّرٍ مُغالٍ ، والنَّجاة تكمن في سلوك الجادَّة الوسطىٰ الَّتي لا نهاية لها ، جادَّة أَهل البيت (صلوات اللّٰـه عليهم) ، والَّتي لا تخرج إِلى عوجٍ ، ولا تزيل من منهج الحقِّ.

الأَمر الثَّاني عشر:

عَظَمَة وخطر وهول الرُّؤْيَة العقائديَّة

هناك فارق بين الرُّؤْيَة العقائديَّة من جهة والرُّؤية الفكريَّة والسياسيَّة والأَخلاقيَّة وفقه الفروع من جهةٍ أُخرىٰ ؛ فإِنَّ طبيعة الرُّؤية العقائديَّة رؤية جبَّارة واسعة الأُفق والمدىٰ ، وعبارة عن ملفَّات وبرامج تبقىٰ فعَّالة في العوالم اللَّاحِقَة ؛ فلذا صارت العقيدة أَصل الدِّين وعروته الوثقىٰ ، ومن ثَمَّ من يتمسَّك بالعقيدة والمعرفة الحقَّة تكون له أَمان عبر جملة العوالم غير المتناهية وضمان واثق جِدّاً أَعظم من دون قياس من فقه الفروع [1] ؛ فلذا مَنْ يمتلك معلومات وخريطة ورؤية عقائديَّة ومعرفيّة يُنتقل به من عَالَم إِلى آخر

---

(١) **لا بأس بالإِلتفات** إِلى أَنَّ مقصود الفقهاء والمُتكلِّمين من أَنَّ تفاصيل العقائد من الفروع: أَنَّها لا تُخرج مَنْ لا يعتقد بها من حومة الإِيمان.

نعم قد يَحْرِمَ نفسه ويُفوِّت عليها في الآخرة الأَبديَّة مراتب وكمالات وفضائل أَبديَّة صاعدة.

فانظر: بيانات الوحي ، منها :

بيان أَبي جعفر عليه السلام: «**فضل إِيمان المؤمن بحمله: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ﴾** [القدر: ١] **وبتفسيرها على من ليس مِثْله في الإِيمان بها كفضل الإِنسان علىٰ البهائم. وإِنَّ اللّٰه تعالىٰ ليدفع بالمؤمنين بها عن الجاحدين لها في الدُّنيا لكمال عذاب الآخرة لِـمَن علم أَنَّه لا يتوب منهم ما يدفع بالمجاهدين عن القاعدين ، ولا أَعلم في هذا الزَّمان جهاداً إِلَّا الحجّ والعمرة والجوار**». بحار الأَنوار ، ٢٥: ٧٤/ ح٦٣. كنز الفوائد: ٣٩٥ـ٣٩٨.

من دون أَنْ يعتريه اِضطراب أَو حيرة أَو بلبلة ؛ لكون الخريطة العقائديَّة والمعرفيَّة للعوالم اللَّاحِقَة ـ كعَالَمِ: البرزخ ، والرَّجْعَة ، والقيامة ، والآخرة الأَبديَّة وما بعدها ـ مكشوفة ومعلومة لديه من البداية ، فتهون عليه أَهوال تلك العوالم ، ولا تحصل لديه مفاجئة واضطراب.

بخلاف مَنْ حَرَمَ نفسه أَو حُرِمَ من تلك المعلومات والخريطة والرُّؤية العقائديَّة والمعرفيَّة ؛ فإِنَّه سرعان ما يضطرب بمُجرَّد اِنتيابه أَو اِعتراءه حالة في بدنه أَو في نفسه أَو في روحه أَو عقله أَو قلبه أَو سرِّه أَو خفيِّه أَو أَخفاه ؛ كمفارقة كُلّ واحدةٍ من هذه الطَّبقات لحقيقته.

بعد الِالتفات: أَنَّ أَهوال كُلّ عَالَمٍ من العوالم الصَّاعدة بالنِّسبَة إِلى ما قبلها من أَهوال العوالم النَّازلة أَكثر اِضطراباً وأَخطر اِنْزِلاقاً.

وبالجملة: طبيعة الرُّؤية العقائديَّة: رؤية واسعة المدىٰ ، عظيمة الشأن والتَّأثير والهيمنة والتَّحَكُّم في توازن المخلوق ـ لاسيما الإِنسان ـ في جملة شؤونه وحالاته ، وعبر كافَّة العوالم غير المتناهية ؛ لاسيما في العوالم الصَّاعدة.

رجوع إلى صلب الموضوع

المثال الثَّاني: لفظ: (العين) ؛ فإنَّه لم يُوضع حقيقة لمعنىٰ الجسم الكروي الشَّحمي المعهود ، بل لغايتها ، وهي: ما يُدرك ويُبصر به ، والعين الشَّحميَّة مبدأ ومنطلق وآلة لحصول هذه الغاية ، وحينئذٍ يصدق لفظ: (العين) حقيقة إذا حصلت تلك الغاية ؛ سواء حصلت بالعين الشَّحميَّة أَم بغيرها.

وعليه: فإنْ اُستعمل لفظ: (العين) في خصوص معنىٰ العين الشَّحميَّة بخصوصيَّتها الحسيَّة [1] الماديَّة كان استعمالاً مجازيّاً ، وإنْ اُستعمل في المعنىٰ

---

(١) يجدر الإلتفات في المقام إلى الأُمور التَّالية :

الأَمر الأَوَّل:

الحواسُّ الخمس موجودة في جملة أَبدان العوالم الجسمانيَّة

إنَّ الحواسَّ الخمس لا تنحصر بأَدوات الحواسّ الخمس الدُّنيويَّة الغليظة المعهودة ، بل تشمل حواسّ العوالم الأُخرىٰ ، كـ: عَالَمَ البرزخ وعَالَمَ القيامة وعَالَمَ الآخرة الأَبديَّة وما بعدها.

الأَمر الثَّاني:

الحواسُّ الخمس تُفعَّل في عَالَمَ الآخرة الأَبديَّة

إنَّ ما ورد في بيانات الوحي ، منها :

١ـ بيان قوله جلَّ قوله: ﴿**أُولَئِكَ لَهُمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِنْ سُنْدُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ**﴾ [الكهف: ٣١].

٢ـ بيان قوله عزَّ قوله: ﴿**لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْثِيمًا**﴾ [الواقعة: ٢٥]. ←

الجامع بين معنىٰ المصداق الحسيّ الماديّ ـ وهو: (العين الشَّحميَّة) ـ وغاياته ـ كـ: (الإبصار) ـ كان اِستعمالاً حقيقيّاً ، وهذه الغايات مخلوقات وآيات في عوالم صاعدة.

وهذا ما تشير إليه بيانات الوحي الوافرة الباهرة ، منها:

١ـ بيان أَمير المؤمنين عليه السلام: «**أَنَا علم اللَّـه ، وَأَنا قلب اللَّـه الواعي ، ولسان اللَّـه النَّاطق ، وعين اللَّـه النَّاظرة ، وأَنا جنب اللَّـه ...**»(١).

٢ـ بيان أَبي جعفر عليه السلام: «**نحن حُجَّة اللَّـه ، ونحن باب اللَّـه ، ونحن لسان اللَّـه ، ونحن وجه اللَّـه ، ونحن عين اللَّـه في خلقه ، ونحن ولاة أَمر اللَّـه في عباده**»(٢).

وهذه جواهر وحقائق تكوينيَّة ، ومخلوقات: باهرة ، وخطيرة ، ومهولة، وعظيمة جِدّاً ؛ من مخلوقات: (عَالَم الصِّفات والأَسماء الإلٰهيَّة) ، وهي بعض طبقات حقائق أَهل البيت عليهم السلام الصَّاعدة ؛ في مرتبة: (عَالَم

← براهينٌ وحيانيَّة دالَّة على تفعيل الحواسّ الخمس في عَالَم الآخرة الأَبديَّة ، لكنَّها حواسّ الجسم الأُخروي.

الأَمر الثَّالث:

قاعدة: «الحسّ لا يُثبت بالحسِّ»

إِنَّ قاعدة: «الحسّ لا يُثبت بالحسِّ» قاعدة بديهيَّة ؛ فإِنَّ الشَّيء لا يكون دالّاً ومدلولاً من جهة واحدة وفي آنٍ واحدٍ.

(١) بصائر الدرجات ، ١: ١٤٣/ ح٢٦٣ ـ ١٣. توحيد الصدوق: ١٦٣/ ح١.

(٢) بصائر الدرجات ، ١: ١٣٧/ ح٢٥١ ـ ١. الكافي ، ١: ١٤٥/ ح٧.

الصِّفات والأَسماء الإِلٰهيَّة) ، مُتَجَلِّيَة ومُشتقَّة منها: (طبقات ذواتهم عليهم السلام النَّازلة) ، و(طُرّ العوالم) ، و(جملة المخلوقات) ؛ كالعرش[1] ، وما فوقه ، وما دونه. فتأَمَّل جيداً واغتنم.

وهذه المعارف الوحيانيَّة الإِلٰهيَّة الخطيرة ، المشحونة بها بيانات أَهل البيت عليهم السلام كانوا عليهم السلام يُؤولونها ؛ ويحملونها على معانيها المجازيَّة لِـمَنْ تبدوا عليه أَمارات عدم التَّحَمُّل ؛ دفعاً عن وقوعه في الضلال والزَّيغ والإِنحراف، فإِنَّ علومهم ومعارفهم عليهم السلام لا يتحمَّلها إِلَّا مَلَك مُقَرَّب ، أَو نبيّ مُرْسَل ، أَو عبد مُؤمن امتحن الله قلبه للإِيمان.

فانظر: بيانات الوحي ، منها:

أَوَّلاً: بيان سيِّد الأَنبياء صلى الله عليه وآله: «**إِنَّ حديث آل مُحَمَّد صعب مستصعب ، لا يؤمن به إِلَّا مَلَك مُقَرَّب ، أَو نَبِيّ مُرْسَل ، أَو عبد أَمتحن الله قلبه للإِيمان ، فَمَا ورد عليكم مِنْ حديث آل محمَّد (صلوات اللّٰه عليهم) فلانت له قلوبكم وعرفتموه فاقبلوه ، وما اشمأزت قلوبكم وأنكرتموه فردُّوه إلى الله وإلى الرسول وإلى العَالِم من آل مُحَمَّد عليهم السلام ، وإِنَّما الهالك أَنْ يُحَدَّث بشيء منه لا يحتمله فيقول: والله ، ما كان هذا شيئاً والإِنكار هو الكفر**»[2].

ثانياً: بيان الإِمام الباقر عليه السلام ، عن جابر بن يزيد ، قال: « ... **حديثنا**

---

(١) يجدر الإِلتفات: أَنَّ (العرش) هو مركز القدرة. ومنشأ القدرة وينبوعها وقوامها الأَساس هو: العلم ، فيكون قِوَام العرش هو: العلم.

(٢) بحار الأَنوار ، ٢: ١٨٩/ ح٢١.

صعب مستصعب ، أَمرد ، ذكوان ، وعر ، أَجرد لا يحتمله والله إِلَّا نبيّ مرسل، أَو مَلَك مُقَرَّب ، أَو مؤمن مُـمتحن ، فإِذا ورد عليكَ يا جابر شيء من أَمرنا فَلَان له قلبكَ فاحمد الله ، وإِنْ أَنكرته فردَّه إِلينا أَهل البيت ، ولا تقل: كيف جاء هذا؟ وكيف كان وكيف هو؟ فإِنَّ هذا والله الشرك بالله العظيم»[١].

ثالثاً: بيانه عليه السلام أَيضاً: «إِنَّ حديث آل مُحَمَّد صعب مستصعب ، ثقيل مُقَنَّع ، أَجرد ذكوان ، لا يحتمله إِلَّا مَلَك مُقَرَّب ، أَو نبيّ مُرْسَل ، أَو عبد امتحن الله قلبه للإِيمان ، أَو مدينة حصينة ، فإِذا قام قائمنا نطق وصدَّقه القرآن»[٢].

رابعاً: بيانه عليه السلام أَيضاً: «إِنَّ حديثنا هذا تشمئز منه قلوب الرِّجَال ، فَمَنْ أَقَرَّ به فزيدوه ، وَمَنْ أَنكره فذروه ، إِنَّه لابُدَّ من أَنْ تكون فتنة يسقط فيها كُلّ بطانةٍ ووليجةٍ حتَّىٰ يسقط فيها مَنْ كان يَشقُّ الشَّعْرَة بشعرتين حتَّىٰ لا يبقىٰ إِلَّا نحن وشيعتنا»[٣].

خامساً: بيان الإِمام الصَّادق عليه السلام: «خالطوا النَّاس بما يعرفون ، ودعوهم مِمَّا ينكرون ، ولا تحملوا على أَنفسكم وعلينا ، إِنَّ أَمرنا صعب مستصعب لا يحتمله إِلَّا مَلَك مُقَرَّب ، أَو نَبِيّ مُرْسَل ، أَو عبد مؤمن امتحن

---

(١) بحار الأَنوار ، ٢: ٢٠٨/ح١٠٢.
(٢) المصدر نفسه: ١٩١/ح٢٧.
(٣) المصدر نفسه: ١٩٣/ح٣٩.

الله قلبه للإيمان»[١].

ودلالة الجميع واضحة ولا غبار عليها.

بل بعض طبقات علومهم (صلوات اللّـه عليهم) لا يتحمَّلها مَلَك مُقَرَّب كـ: جبرئيل عليه السلام ـ ولا نبيّ مرسل ـ كـ: النَّبيّ إبراهيم عليه السلام ـ ولا مؤمن مُمتحن ـ كـ: سلمان رضي الله عنه ـ إِلَّا مَنْ شاؤُوا صلوات الله عليهم.

فلاحظ: بيانات الوحي الباهرة الأُخرىٰ، منها:

بيانه عليه السلام، عن أَبي الصَّامت أَيضاً، قال: «**إِنَّ حديثنا صعب مستصعب، شريف كريم، ذكوان ذكي وعر، لا يحتمله مَلَك مُقَرَّب، ولا نبيّ مرسل، ولا مؤمن مُمْتَحَن**. قلت: فَمَنْ يحتمله جُعِلْتُ فداك؟ قال: **من شئنا يا أَبا الصَّامت**. قال أبو الصَّامت: فظننتُ أَنَّ للّـه عباداً هم أفضل من هؤلاء الثَّلاثة»[٢].

ودلالته واضحة.

بل بعض طبقات علومهم (صلوات اللّـه عليهم) لا يتحمَّلها أَيضاً مَلَك مقرَّب، ولا نبيّ مرسَل، ولا عبد مؤمن امتحن الله قلبه للإِيمان إِلَّا هم (صلوات اللّـه عليهم) ليس إِلَّا.

فانظر: بيانات الوحي الباهرة الأُخرىٰ، منها:

---

(١) بحار الأَنوار، ٢ : ٧١/ ح٣٠.
(٢) المصدر نفسه : ١٩٢/ ح٣٤.

أَوَّلاً: بيان الإِمام الباقر عليه السلام: « **إِنَّ حديثنا صعب مستصعب ، ذكوان أَجرد ، لا يحتمله مَلَك مُقَرَّب ، ولا نَبِيّ مُرْسَل ، ولا عبد امتحن الله قلبه للإِيمان ، أَمَّا الصعب فهو الَّذي لم يُركب بعد ، وأَمَّا المستصعب فهو الَّذي يُهرب منه إِذا رأىٰ ، وأَمَّا الذكوان فهو ذكاء المؤمنين ، وأَمَّا الأَجرد فهو الَّذي لا يتعلَّق به شيء من بين يديه ، ولا من خلفه ، وهو قول الله: ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ﴾**[1] ، **فأحسن الحديث حديثنا ، لا يحتمل أَحد من الخلائق أَمره بكماله حتَّىٰ يحدَّه ، لأَنَّ مَنْ حدَّ شيئاً فهو أَكبر منه** »[2].

ثانياً: بيان الإِمام الصَّادق عليه السلام المتقدِّم ، عن أَبي الصَّامت ، قال: «**إِنَّ من حديثنا ما لا يحتمله مَلَك مُقَرَّب ، ولا نبيّ مُرْسَل ، ولا عبد مؤمن**. قلتُ: فمن يحتمله؟ قال: **نحن نحتمله**»[3].

ودلالته ـ كدلالة سابقه ـ واضحة أَيضاً.

وهذا بخلاف مَنْ يتلَقَّىٰ بياناتهم (صلوات اللّٰـه عليهم) وعلومهم ومعارفهم الخطيرة المهولة بالقبول والرِّضا والإِيمان ؛ فإِنَّهم (صلوات اللّٰـه عليهم) يبقونها على حالها من دون تأويل. فلاحظ تلك البيانات الوحيانيَّة تجد صدق ما نقول واضحاً.

وحيث يُحتمل في حقِّ مُتَلَقِّيها حملها على معانيها الحقيقيَّة ، فلو كان

---

(١) الزمر: ٢٣.

(٢) بحار الأَنوار ، ٢: ١٩٤.

(٣) المصدر نفسه: ١٩٣/ ح٣٦.

مقصوده عليه السلام منها ليست تلك المعاني الحقيقيَّة ، بل المجازيَّة لزم في حقِّه عليه السلام تأويلها وحملها على تلك المعاني المجازيَّة ، وإِلَّا لزم في حقِّ مُتَلَقِّيها وحاملها على معانيها الحقيقيَّة الوقوع في الزَّلل والزَّيغ والضلال والإِنحراف المعرفي والعقائدي وهو الأَخطر ، لكن حيث إِنَّ المعصوم عليه السلام في مقام دفع ورفع هذه المحاذير في حقِّ المخلوقين ؛ فعدم حمله (صلوات اللّـه عليه) تلك الأَلفاظ على معانيها المجازيَّة دليل على إِرادته معانيها الحقيقيَّة. فتأَمَّل جيِّداً.

المثال الثَّالث: لفظ: (الكلام) ؛ فإِنَّه لم يوضع حقيقة لمعنىٰ الأَلفاظ والكلام الإِعتباريّ ، بل لغايته ، وهي: الإِيجاد التَّكويني ، وهو أَعظم من دون قياس من إِيجاد معاني الأَشياء بالإِعتبار وبالأَمواج الصَّوتيَّة[1].

وعليه: فإِنْ اُستُعمِلَ لفظ: (الكلام) في خصوص معنىٰ الأَلفاظ والكلام الإِعتباريّ بخصوصيَّته الحسيَّة الماديَّة كان استعمالاً مجازيّاً ، وإِنْ اُستُعمِلَ في المعنىٰ الجامع بين معنىٰ المصداق الحسي الماديّ ـ وهو: (الأَلفاظ والكلمة الإِعتباريَّة والكلام الإِعتباريّ) ـ وغاياته ـ كـ: (الإِيجاد التَّكويني)ـ كان استعمالاً حقيقيّاً.

وإِلى هذا تشير بيانات الوحي ، منها :

١ـ بيان قوله تقدَّس ذكره: ﴿إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ

(١) النسبة بين معاني الألفاظ ومصاديقها التَّكوينيَّة نسبة تكوينيَّة من دون فرض وجعل وإِعتبار معتبر ، بخلاف المصاديق الإِعتباريَّة ، فأَصل مصداقيَّتها للمعنىٰ بالفرض والجعل والإِعتبار.

﴿وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ﴾(١).

٢ـ بيان قوله جلَّ قدسه: ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾(٢).

وقد ورد في تفسيره: أَنَّ المراد من الكلمات ـ في هذا البيان الشَّريف ـ أَهل البيت عليهم السلام.

فانظر: بيانات الوحي ، منها :

بيان الإِمام الهادي عليه السلام ، عن موسىٰ بن مُحَمَّد بن الرِّضا ؛ قال: «لقيتُ يحيىٰ بن أكثم في دار العامَّة فسألني عن مسائل فجئت إِلى أَخي عليّ بن مُحَمَّد ... فقلتُ له: جُعِلْتُ فداك ، إِنَّ ابن أَكثم كتب يسألني عن مسائل لأَفتيه فيها، فضحك ثُمَّ قال: **فهل أَفتيته**؟ قلتُ: لا ، قال: **ولِمَ**؟ قلتُ: لم أَعرفها. قال: **وما هي**؟ قلتُ: كتبَ يسألني عن قول الله: ... ﴿**وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ**﴾ ما هذه الأَبحر؟ وأينَ هي؟ ... قال أُكتب إِليه ... **بسم الله الرَّحمٰنِ الرَّحِيم ، وأَنتَ فألهمك الله الرشد ، أَتاني كتابكَ ، وما امتحنتنا به من تعنتكَ ؛ لتجد إِلى الطعن سبيلاً إِنْ قصرنا فيها ، والله يُكافئكَ على نيَّتكَ ، وقد شرحنا مسائلك فأصغ إِليها سمعكَ ، وذلِّل لها فهمكَ ، واشغل بها قلبك ، فقد لزمتك الحُجَّة، والسَّلام. سألتَ عن قول الله عزَّ وجلَّ: ... ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ**

(١) النساء: ١٧١.

(٢) لقمان: ٢٧ .

شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِن بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ ﴾ ، فهو كذلك ، لو أَنَّ أَشجار الدُّنيا أَقلام والبحر يمدّه سبعة أبحر وانفجرت الأَرض عيوناً لنفدت قبل أَنْ تنفد كلمات الله... ونحن كلمات الله الَّتي لا تنفد ولا تدرك فضائلها...»[1].

ودلالته واضحة ولا غبار عليها.

٣ـ بيان أَمير المؤمنين عليه السلام: «... **وأَنا كلمة الله الَّتي يجمع بها المفترق ويفرّق بها المجتمع ...**»[2].

٤ـ بيانه عليه السلام أَيضاً: «**أَنا كلام الله النَّاطق ...**»[3].

ودلالة ـ كدلالة سابقة ـ واضحة.

وما تقدَّم من أَبحاث تأتي في المقام أَيضاً ؛ لأَنَّ الجميع ترتضع من ثدي واحد.

المثال الرَّابع: لفظ: (الاسم) ؛ فإِنَّه لم يوضع حقيقة لمعنىٰ الأَمواج الصَّوتيَّة ، بل لغاياته ، وهي: العلامة والسمة. وهي الأَعظم من دون قياس.

وعليه: فإِنْ اُستُعمِلَ لفظ: (الاسم) في خصوص معنىٰ ما يُتلفَّظ به بخصوصيَّته الحسيَّة الماديَّة كان استعمالاً مجازيّاً ، وإِنْ اُستعمل في المعنىٰ

---

(١) بحار الأَنوار ، ١٠: ٣٨٦ـ٣٩٠/ ح١. تحف العقول: ٤٧٦ـ٤٨١.
(٢) بحار الأَنوار ، ٥٣: ٤٧/ ٢٠.
(٣) المصدر نفسه ، ٣: ٥٤٦.

الجامع بين معنىٰ الـمصداق الحسي الماديّ ـ وهو: (معنىٰ ما يُتلفَّظ به) ـ وغاياته ـ كـ: (العلامة والسمة) ـ كان استعمالاً حقيقيّاً.

نعم ، إطلاق: (الاسم) على الموج الصَّوتي فيه مسامحة ظاهرة ؛ لِاحتياجه إلى فرضٍ وتخيّلٍ واِعتبارٍ ، فلا يكتسب معنىٰ الإِسميَّة إلَّا بذلك. بخلاف صدقه على الغاية ، فإنَّه ينطبق عليها ويصدق حقيقة من خلال عَالَم التَّكوين والحقيقة العينيَّة من دون أَي مسامحة ، وهو الأَسمىٰ.

وإِلى هذا النحو تُشير بيانات الوحي ، منها:

١ـ بيان قوله جلَّ جلاله: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾[1].

بتقريب:

أَوَّلاً: أَنَّ (لام المُلك) الدَّاخلة على اسم الجلالة (اللَّـه) دالَّة على وجود مغايرة حقيقيَّة بين المالك ؛ أَي: (اللَّـه) الـمُسَمَّىٰ ـ أَي: صاحب الذَّات الإِلٰهيَّة الأَزليَّة الـمُقَدَّسة ـ ، والمملوك ؛ أَي: (اللَّـه) الاسم الإِلٰهيّ وسائر الأَسماء الإِلٰهيَّة الحُسنىٰ.

ثانياً: أَنَّ غير الـمُسَمَّىٰ ـ أَي: صاحب الذَّات الإِلٰهيَّة الأَزليَّة المُقَدَّسة ـ لا يكون إِلَّا مخلوقاً ، فتكون الأَسماء الإِلٰهيَّة منها: (اسم اللَّـه) مخلوقات من مخلوقاته (تقدَّس ذكره) المُكرَّمة.

---

(١) الأعراف: ١٨٠.

ثالثاً: أَنَّ مخلوقات العوالم الصَّاعدة وموجوداتها ـ لا سيما عَالَمَ الأَسماء والصِّفات الإِلٰهيَّة ـ لا تكون إِلَّا وجودات مهولة ، حيَّة شاعرة ، محيطة بما دونها ، ومهيمنة عليها هيمنة وإِحاطة اللَّطيف[1] بالأَغلظ ؛ فهي داخلة فيها ، لكن لا بالممازجة والمزاولة ، وخارجة عنها ، لكن لا بالمباينة والمزايلة ، ولا يشوب مخلوقات العوالم الصَّاعدة شوب الإِعتبار المتعارف.

ومنه يتَّضح: أَنَّ المراد من الفعل في مباحث المعارف الإِلٰهيَّة ما يشمل ـ اِضافة للعَرَضِ في مقابل الجوهر ـ الجواهر المخلوقة.

وكذا الصِّفة ؛ فإِنَّ المراد منها في مباحث المعارف الإِلٰهيَّة أَيضاً ما يشمل ـ اِضافة للهيأة الوجوديَّة العارضة ـ الجواهر المخلوقة ؛ وذلك إِذا لوحظت نعت بنحو الصِّفات الفعليَّة لخالقها.

رابعاً: أَنَّ حقائق هذه المخلوقات الشَّريفة الصَّاعدة لا سيما الأَسماء والصِّفات الإِلٰهيَّة ليست هي إِلَّا حقائق أَهل البيت عليهم السلام الصَّاعدة بالتَّقريب المُتَقَدِّم.

والنتيجة: أَنَّ الأَسماء الإِلٰهيَّة الحسنىٰ مخلوقات مهولة صاعدة ، وعلامات عالية وسامية علويَّة باهرة ، وسمات ودلالات وآيات دالَّة وحاكية

---

(١) أَحد معاني اللطافة المذكورة في بيانات أَهل البيت (صلوات اللّٰـه عليهم): سوائيَّة واستواء وعدم تفاوت قدرة الباري عزَّ وجلَّ في حقِّ مخلوقاته ، وإِلَّا لَدَبَّ ـ والعياذ باللّٰـه تعالىٰ ـ النَّقص فيه.

ومشيرة للذات الإِلٰهيَّة الأَزليَّة المُقدَّسة ، وهي[١] من أَوائل المخلوقات الباهرة العظيمة الكريمة عليه سبحانه وتعالىٰ من جهة الكرامة التَّكوينيَّة الباهرة ، والغاية منها: الدِّلالة على السَّاحة الإِلٰهيَّة المُقدَّسة ، والإِشارة إِليها ، وحكاية شُؤونها.

وهذه الأَسماء الإِلٰهيَّة الحسنىٰ ـ كما تقدَّم ـ هي طبقات حقائق أَهل البيت (صلوات اللّٰـه عليهم) الصَّاعدة من مخلوقات عَالَم السَّرمد والأَزل: (عَالَم الأَسماء والصِّفات الإِلٰهيَّة).

وهذا ما صرَّحَت به بيانات الوحي ، منها:

١ـ بيان أَمير المؤمنين عليه السلام: «... **وَأَنا أَسماء الله الحسنىٰ ، وأَمثاله العليا ، وآياته الكُبْرىٰ** ... »[٢].

٢ـ بيانه عليه السلام أَيضاً: «... **نحن الاسم المخزون المكنون ، نحن الأَسماء الحسنىٰ الَّتي إِذا سُئل اللّٰـه عزّ وجلّ بها أَجاب** ...»[٣].

٣ـ بيان الإِمام الباقر عليه السلام: «... **عرفنا مَنْ عرفنا وجهلنا من جهلنا ، نحن الأَسماء الحسنىٰ الَّتي لا يقبل الله من العباد عملاً إِلَّا بمعرفتنا** ...»[٤].

٤ـ بيان الإِمام الصَّادق عليه السلام: «**نحن واللّٰـه الأَسماء الحسنىٰ الَّذي لا**

---

(١) مرجع الضَّمير: (الأَسماء الإِلٰهيَّة الحسنىٰ).
(٢) بحار الأَنوار ، ٥٣: ٤٧/ح٢٠. مختصر البصائر: ١٣٢/ح١٠٢ـ٢.
(٣) بحار الأَنوار ، ٢٧: ٣٨/ح٥.
(٤) المصدر نفسه ، ٢٥: ٥/ح٧. المحتضر: ١٢٩.

يقبل من أَحَد إِلَّا بمعرفتنا ، قال: ﴿فادعوه بها﴾»[1].

٥ـ بيان الإمام الرِّضا عليه السلام: «**إِذا نَزَلَت بكم شدَّة فاستعينوا بنا على الله ، وهو قول الله: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا﴾**»[2].

ودلالته ـ كدلالة سوابقه ـ واضحة ولا غبار عليها.

وعلى هذا قس: الأَشباه والنَّظائر ومرادفاتها العقليَّة ، كـ: (قلب الله) ، و(روح الله) ، و(نفس الله) ، و(جنب الله) ، و(لسان الله) ، و(أُذن الله) ، و(ذات الله) ، و(حُجَّة الله) ، و(وجه الله) ، و(نور الله) ، و(باب الله) ، و(سبيل الله) ، وهلُمَّ جرّاً ، فإِنَّ لفظ وعنوان: (القلب) ، و(الروح) ، و(النَّفس) ، و(الجنب) ، و(اللِّسان) ، و(الأُذن) ، و(الذَّات) ، و(الحُجَّة) ، و(الوجه) ، و(النُّور) ، و(الباب) ، و(السَّبيل) لم توضع حقيقة للمصاديق والأَجسام المعهودة ، بل لمآلاتها وغاياتها وكمالاتها الأَخيرة ، وإِذا أُضيفت إِلى (اللّٰه) المُسَمَّىٰ تقدَّس ذكره كانت هذه المآلاتُ والغاياتُ: حقائقَ أَهل البيت (صلوات اللّٰه عليهم) الصَّاعدة.

فانظر: بيانات الوحي ، منها :

بيان أَمير المؤمنين (صلوات اللّٰه عليه): «... **وهذا كُلّه لآل محمَّد لا يُشاركهم فيه مشارك ... وكُلّ ما في الذِّكر الحكيم والكتاب الكريم والكلام**

---

(١) بحار الأَنوار ، ٩١: ٦/ ح٧. تفسير العياشي ، ٢: ٤٢.
(٢) بحار الأَنوار ، ٩١: ٦/ ح٧.

القديم من آيةٍ تُذكر فيها العين والوجه واليد والجنب فالمراد منها الوليّ ؛ لأَنَّه جنب اللّٰـه ووجه اللّٰـه ، يعني: حقّ اللّٰـه وعلم اللّٰـه وعين اللّٰـه ويد اللّٰـه ، فهم الجنب العليّ والوجه الرضيّ والمنهل الرَّويّ والصِّراط السويّ ؛ والوسيلة إِلى اللّٰـه والوصلة إِلى عفوه ورضاه. سرّ الواحد الأَحد ، فلا يُقاس بهم من الخلق أَحد ، فهم خاصَّة اللّٰـه وخالصته ، وسرّ الدَّيَّان وكلمته ، وباب الإِيمان وكعبته ، وحجَّة اللّٰـه ومحجَّته ، وأَعلام الهدىٰ ورايته ، وفضل اللّٰـه ورحمته ، وعين اليقين وحقيقته ، وصراط الحقّ وعصمته ، ومبدء الوجود وغايته ، وقدرة الرَّبّ ومشيَّته ، وأُمّ الكتاب وخاصَّته ، وفصل الخطاب ودلالته ، وخزنة الوحي وحفظته ، وآية الذِّكر وتراجمته ، ومعدن التَّنزيل ونهايته ، فهم الكواكب العلويَّة والأَنوار العلويَّة المُشرقة من شمس العصمة الفاطميَّة ، في سمآء العظمة المُحمَّديَّة ، والأَغصان النَّبويَّة النَّابتة في دوحة الأَحديَّة ، والأَسرار الإِلٰهيَّة المودعة في الهياكل البشريَّة ، والذرِّيَّة الزَّكيَّة ...» [1].

ودلالته واضحة.

وحينئذٍ لا يحتاج ما ورد منها في بيانات الوحي وما شاكلها إلى تأويل ؛ وحمل على المعاني المجازيَّة ، بخلافه على القول الأَوَّل المُتقدِّم في صدرِ هذه المسألة.

المثال الخامس: لفظ: (القلم) ؛ فإِنَّه لم يوضع حقيقة لمعنىٰ الجسم المستطيل المعهود في الخارج ، بل لغاياته ، وهي: إِفاضة العلم والمعلومات.

---

(١) بحار الأَنوار ، ٢٥: ١٦٩ـ ١٧٤/ ح٣٨.

وعليه: فإِنْ اُستعمل لفظ: (القلم) في خصوص معنىٰ الجسم المستطيل المعهود بخصوصيّته الحسيَّة الماديَّة كان استعمالاً مجازيّاً ، وإِنْ اُستعمل في المعنىٰ الجامع بين معنىٰ المصداق الحسي الماديّ المعهود ـ وهو: (الجسم المُستطيل) ـ وغاياته ـ كـ: معنىٰ: (إِفاضة العلم والمعلومات) ـ كان اِستعمالاً حقيقيّاً.

المثال السَّادس: لفظ: (اللَّوح) ، فإِنَّه لم يوضع حقيقة لمعنىٰ ما يُكتب عليه ، بل لغايته ، وهي: مَنْ يجمع المعلومات ويستفيضها من مُعَلِّمٍ فوقه ، فالقلم مُعَلِّم ، واللَّوح مُتَعَلِّم جامع.

وإِلى هذا وسابقه أَشارت بيانات الوحي ، منها :

١ـ بيان الإِمام الصَّادق عليه السلام ـ المُتَقَدِّم ـ ، عن سفيان الثوري ، قال: «سألتُ جعفر بن مُحَمَّد عليهما السلام: ... فقلتُ له: يابن رسول الله ، بَيِّن لي أَمر اللَّوح والقلم والمداد فضل بيان ، وعلِّمني مِـمَّا عَلَّمكَ الله. فقال: **يابن سعيد لولا أَنَّك أَهل للجواب ما أَجبتكَ ، فـ: (نون)**[1]: **ملك يؤديِّ إِلى القلم ، وهو ملك ، والقلم يؤدي إِلى اللَّوح ، وهو ملك ، واللَّوح يؤدي إِلى إسرافيل ... ثُمَّ قال لي: قم يا سفيان فلا آمن عليك**»[2].

٢ـ بيانه عليه السلام أَيضاً ، عن إِبراهيم الكرخي ، قال: «سألت جعفر بن مُـحمَّد عليهما السلام عن اللَّوح والقلم ، فقال: **هما ملكان**».

---

(١) إشارة إلى بيان قوله تعالىٰ في بداية سورة: (القلم) ، آية: ١.
(٢) بحار الأَنوار ، ٥٤: ٣٦٨/ ح٥. معاني الأَخبار: ٢٣.

ودلالته ـ كدلالة سابقه ـ واضحة.

وعلى هذا قس الأَشباه والنَّظائر، كـ: (الصِّفات والأَسماء الإِلٰهيَّة)، و(العرش)، و(الكرسي)، و(الهواء)[1]، و(حجب النُّور)، و(الثرىٰ)[2]، و(الطُّور).

---

(١) **ينبغي الإِلتفات**: أَنَّ (الهواء) عنوان ذكرته بيانات الوحي للدِّلالة على عوالم علويَّة مهولة، منها:

١ـ تحت السَّماء الأُولَىٰ وفوق عَالَم البحر المظلم وما تحته.

٢ـ فوق السَّماء السَّابعة.

٣ـ تحت العرش.

٤ـ فوق العرش، وكلّ ما تحته بالنِّسبة إِليه كنقطة في بحره الطَّمْطَام المُتَلَاطِم، وعبَّرَ عنه بيان سيِّد الأَنبياء ﷺ، في رواية زينب العطَّارة: «**كحلقة في فلاة قِيٍّ**». بحار الأَنوار، ٥٧: ٨٣/ ح١٠. توحيد الصدوق: ٢٦٩ـ ٢٧٠/ ح١.

وعلى هذا قس العوالم الثلاثة المُتَقَدِّمة بالنِّسبة إلى ما تحتها.

قال الجوهري: (الفلاة): المفازة. والـ: (قِيّ) ـ بالكسر والتَّشديد ـ (فعل) من القواء، وهي: الأَرض القفر الخاليَّة.

(٢) يجدر الإِلتفات: أَنَّ عنوان: (الثرىٰ) الوارد في بيانات الوحي يُطلق على عَالَم مهول، فوق عوالم الأَرضين السَّبع، بل وفوق (عَالَم الديك)، و(عَالَم الصخرة)، و(عَالَم الحوت)، و(عَالَم البحر المظلم)، و(عَالَم الهواء)، فإِنَّ جميع هذه العوالم مع عظمتها وخطورة شأنها بالنِّسبة إِليه كنقطة في بحره الطمطام المتلاطم، وعَبَّرَ عنها بيان سيِّد الأَنبياء ﷺ ـ في رواية زينب العطَّارة أَيضاً ـ بالنسبة إِليه: «**كحلقة في فلاة قِيٍّ**».

المعرفة الإلهيَّة الحقَّة والتَّوحيد الحقّ

لزوم تصفية وتنزيه المعاني المستعملة في الشأن الإلهي

ومن كلِّ ما تقدَّم يتَّضح: أَنَّه مَنْ يُريد وصف الذَّات الإلٰهيَّة الأَزليَّة المُقَدَّسة والمخلوقات المُكرَّمة العالية فلابُدَّ من نزع الشَّوائب الحاصلة من المصاديق عن معانيها.

وعليه: يجب أَنْ تحصل للكلمات والأَلفاظ والأَوصاف والمعاني المستعملة في معارف المدارس البشريَّة في الشَّأن الإلٰهي تصفية وتنقية وتنزيه، لكون طبيعة الذِّهن البشري تتداعىٰ إليه خصوصيَّات المصاديق فيلصقها بالمعاني المُجَرَّدة، وهذه القضيَّة قد نبَّهَت عليها بيانات الوحي الشَّريف، لكن لم يلتفت إليها إلى يومنا هذا الفلاسفة الماديُّون والحداثويون[1] والعلمانيون؛ فيمزجون شوائب المصاديق الماديَّة المُتعلِّقة بالمعاني ويسحبونها إلى السَّاحة الرُّبوبيَّة، مع أَنَّ هذه الشَّوائب في الأَصل ليست من صلب المعاني ومتنها.

ومنه يتَّضح: أَنَّ مَنْ أَراد الحصول على المعرفة الإلٰهيَّة الحقَّة والتَّوحيد الحقِّ فعليه تنزيه السَّاحة الرُّبوبيَّة فكريّاً وواقعيّاً؛ فإنَّ التَّنزيه عمليَّة فكريَّة؛ تعني: تصفية المعاني عن شوائب الماديَّات، بل عن مُطلق شوائب المخلوقات من دون تعطيل.

---

(١) **ينبغي الإلتفات:** أَنَّ عنوان ومصطلح: التَّشكيك والمُشكِّك يُطلق قديماً على السفسطة والسفسطائي، وفي العصر الرَّاهن على الحداثة والحداثويين.
ويُعَبَّر عن الزِّنديق في العصر الرَّاهن بـ: المُشكِّك والسفسطي.

حقائق التَّعاريف تكمن في الغايات

ثُمَّ إِنَّ المعروف لدىٰ المناطقة: أَنَّ تعريف الشَّيء بغايته أَبْيَن وأَكمل تعاريف هويَّته وحقيقته من تعريفه بجنسه وفصله ، ومادَّته وصورته ؛ فإِنَّ لُبَّ الشَّيء وروحه وحقيقته: غايته وكماله الأَخير.

ومِنْ ثَمَّ امتاز الإِنسان بكماله الأَخير ـ وهو: العقل ، والرُّوح الإِنسانيَّة ـ عن الحيوانات.

حقيقة ذات سيِّد الأَنبياء ﷺ بفصلها الأَخير

عدم التناهي من لوازم حقيقة سيِّد الأَنبياء ﷺ

لا يمكن لمخلوق قَطُّ الإِحاطة بِكُنْهِ حقيقة سيِّد الأَنبياء ﷺ

هذا وقد امتازت حقيقة سيِّد الأَنبياء ﷺ عن غيره من جملة البشر وكافَّة المخلوقات بفصلها الأَخير[1] ، وليس هو الجنبة البشريَّة ، وإِنَّما بأَعظم

---

(١) **ينبغي الإلتفات** إلى نكتة منهجيَّة مُهمَّة جِدّاً ، تأتي في باب النُّبُوَّة ، وهي: أَنَّ معرفة ماهيَّة النُّبُوَّة أَمر تَعبُّديّ توقيفيّ توقيتيّ من الله ﷻ ، ومن ثَمَّ لا يمكن لبشر كالفلاسفة والمُتكلِّمين حدّها ، وإِلَّا فلازمه زيغ وانحراف وتشبيه وجحود.
بل مَنْ يَدَّعي من طُرِّ المخلوقات معرفة كُنْه ذات وحقيقة سيِّد الأَنبياء ﷺ فقد قال غلطاً ، وتكلَّف شططاً.
نعم ، يمكن ادِّعاء معرفته ﷺ من وجه ، وبالهويَّة المُشخِّصَة.
وهذا ليس بغلوٍّ ولا تأليه ، وإِنَّما تعظيم للذات الإِلٰهيَّة الأَزليَّة المُقَدَّسة ، وحفظ لمقامات خلقة الله سبحانه وتعالىٰ قبل أَنْ يكون تعظيم لذات سيِّد الأَنبياء ﷺ ؛ فإِنَّ عظمة الفعل من عظمة الفاعل ، وحيث إِنَّ ذات الباري تقدَّس ذكره غير مُتناهية ←

كمال يناله مخلوق قَطُّ[١] ، وهو: أَنَّ ذاته الشَّريفة عبارة عن وحي زَخَّار ، وفيض وحي إِلٰهي دائم لن ينقطع أَزلاً وأَبداً ، لا في هذه النَّشْأة ولا في العوالم والنَّشَآت اللَّاحقة ، بل والسَّابقة أَيضاً ، كعَالَمَ الذَّرِّ والميثاق ، وعَالَمَ: البرزخ ، والرَّجعة ، والقيامة ، والآخرة الأَبديَّة وبعدها[٢].

وإِلى هذا أَشارت بيانات وأَدلَّة الوحي ، منها :

الدَّليل الأَوَّل: بيان قوله جلَّ قدسه: ﴿مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى * وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى﴾[٣].

بتقريب: أَنَّ ضمير: (هو) في البيان الشَّريف وبمقتضىٰ السِّياق ومرجع الضَّمير في الآيات الثلاث: أَنَّ مرجعه في الآية الثَّالثة نفس مرجعه في الآيتين السَّابقتين ، وهو عائد على ذات وحقيقة سيِّد الأَنبياء صلى الله عليه وآله ، وقد عُبِّرَ عنها

← فكذا فعله. وعلى ضده قس استنقاص فعله جلَّ قدسه ودعوىٰ تناهيه ، فإِنَّ لازمه نسبة نقص وحكم بتناهي (والعياذ باللّٰـه) الذَّات الإِلٰهيَّة الأَزليَّة المُقَدَّسة.

(١) **يجدر الإِلتفات**: أَنَّ نعوت سيِّد الأَنبياء صلى الله عليه وآله وسائر أَهل البيت الأَطهار عليهم السلام وأَوصافهم وكُناهم وأَسماءهم ليست مدح وثناء فحسب ، بل معارف يجدر بالمخلوق اِمْتِحَان نفسه في كُلِّ يوم بواحدٍ منها ؛ كيما يُقحم نفسه بمسؤوليَّة ومعرفة جديدة. بخلاف السَّير على نحو وتيرة واحدة ؛ فإِنَّه نحو تكاسل.

(٢) **ينبغي الإِلتفات**: أَنَّ ما يقوم به سيِّد الأَنبياء صلى الله عليه وآله وسائر أَهل البيت الأَطهار عليهم السلام من أَدوار ومسؤوليَّات في عَالَمَ الآخرة الأَبديَّة: أَعظم شأناً ، وأَرفع مسؤوليَّة ، وأَخطر خطباً من دون قياس من أَدوار ما قاموا ويقومون وسيقومون بها في عَالَمَ الدُّنيا بنشآته الثَّلاث.

(٣) النجم: ٢-٤.

وحُصر حالها بـ: أَنَّها وحي يوحىٰ ، وحيث جيء بصيغة المضارع: (يوحىٰ) وهي تفيد التَّجَدُّد والإِستمرار التَّأبيدي دلَّ ذلك على أَنَّ ذاته ﷺ: سحاب هاطل ، وغيث هامل ، وبحر زخَّار لا ينزف ، وعين غزيرة ، وروضة مطيرة، لا نهاية ولا انقطاع لوحيها أَبد الآباد ودهر الدُّهور ما زالت للَّـه حاجة في خلقه.

الدَّليل الثَّاني: بيان قوله جلَّ وتقدَّس: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ﴾[1].

ودلالته قد اِتَّضحت ؛ فإِنَّه في صدد بيان تعريف ماهيَّة وذات سيِّد الأَنبياء ﷺ ؛ وأَنَّ لها جنبتين:

إِحداهما: بشريَّة ، وهي ما أَشار إِليها بقوله تعالىٰ: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾.

والأُخرىٰ: وحيانيَّة ، تُعَبِّر عن فصل ماهيَّة ذاته ﷺ الأَخير ، وليس هو النَّاطقيَّة ، بل ينبوع وحي أَبانه به عن الخلق ؛ فوق عَالَم العقل ، بل وفوق عَالَم النُّور ، منهل رويّ ، وصراط سويّ لا نهاية له ، وكنز لا يفند ، وبحر مَوَّاج لا ينزف ولا يُدرك طرفه ، ولا يبلغ عمقه ، يغرق فيه السبحاء ، ويُحار في درره العلماء ، ويضيق بالسَّامع عرض الفضاء.

وإِلى هذه الجنبة أَشار قوله تعالىٰ: ﴿يُوحَىٰ إِلَيَّ﴾ فَعَبَّرَ عنها

---

(١) فُصِّلَتْ: ٦.

بصيغة الفعل المضارع ـ كما في البيان الأَوَّل ـ المفيدة للتَّجَدُّد والإِستمرر التأبيدي ؛ والَّذي لن ينقطع في العوالم اللاحقة ، بل والسَّابقة أَيضاً.

الدَّليل الثَّالث:

ويُمثِّله:

أَوَّلاً: بيان سيِّد الأَنبياء صلى الله عليه وآله مخاطباً أَمير المؤمنين عليه السلام: «**... يا عَلِيُّ ... وأَنت السَّبب فيما بين الله وبين خلقه بعدي ... يا عَلِيُّ ، ما عُرِفَ اللّـه إِلَّا بي ثُمَّ بكَ ...**»[1].

ثانياً: بيان الإِمام الباقر عليه السلام: «**ليس شيء أَقرب إلى الله تعالىٰ من رسوله...**» [2].

ثالثاً: بيان الإِمام الصَّادق عليه السلام: «**أَوَّل مَنْ سبق من الرسل إلى بلى رسول الله صلى الله عليه وآله ؛ وذلك أَنَّه كان أَقرب الخلق إلى الله تبارك وتعالىٰ ، وكان بالمكان الَّذي قال له جبرئيل ـ لَـمَّا أُسري به إِلى السماء ـ تقدَّم يا مُحَمَّد ، فقد وطأت موطئاً لم تطأه ملك مُقَرَّب ، ولا نبيّ مرسل**[3] **، ولولا أَنَّ روحه ونفسه كانت من ذلك المكان لما قدر أَنْ يبلغه ، فكان من الله عزوجل كما قال الله: ﴿فَكَانَ**

---

(١) بحار الأَنوار ، ٢٢: ١٤٧ ـ ١٤٨/ح١٤١. كتاب: (سليم بن قيس): ٢١٥ ـ ٢١٦.

(٢) بحار الأَنوار ، ٢٤: ٢٠٢/ح٣٦.

(٣) في المصدر: (لم يطأه أَحد قبلك ملك ولا نبيّ مرسل).

﴿قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ﴾[١] **أي: بل أَدنىٰ فلمَّا خرج الأَمر من الله وقع إِلى أَوليائه عليهم السلام ... »**[٢].

رابعاً: بيان الزيارة الجامعة لأَهل البيت عليهم السلام: «... **فليس فوقكم أَحد إِلَّا الله ، ولا أَقرب إليه منكم ، ولا أَكرم عليه منكم ولا أَحظىٰ لديه ...**»[٣].

بتقريب يتوقّف على مقدِّمات أَربع:

الأُولىٰ: أَنَّ هذه البيانات الوحيانيَّة ـ وغيرها الكثير ـ تُثبت أَنَّه ليس أَقرب للذَّات الإِلٰهيَّة الأَزليَّة المُقدَّسة من سيِّد الأَنبياء صلى الله عليه وآله [٤] ؛ فهو الجنب العلي ، والوجه الرضي ، والوسيلة إِلى الله ، والوصلة إِلى عفوه ورضاه ، وسرّ الله الواحد الأَحد ، فلا يُقاس به من الخلق أَحد.

الثَّانية: أَنَّ هذه البيانات الوحيانيَّة وغيرها تثبت بإِطلاقها: أَنَّ هذا القرب مُمتدّ أَزلاً وأَبداً.

---

(١) النجم: ٩.

(٢) بحار الأَنوار ، ٥: ٢٣٦/ح١٢. تفسير عليّ بن إِبراهيم: ٢٢٩ ـ ٢٣٠.

(٣) بحار الأَنوار ، ٩٧: ٣٤٤.

(٤) **ينبغي الِالتفات**: أَنَّ المخلوق الَّذي ليس بينه وبين الذَّات الإِلٰهيَّة المقدَّسة واسطة بقول مطلق ليس هو إِلَّا سيِّد الأَنبياء صلى الله عليه وآله بطبقته النُّوريَّة الصَّاعدة ، أَمَّا سائر المخلوقات منها طبقات ذات سيِّد الأَنبياء صلى الله عليه وآله النَّازلة وروحه ونفسه وبدنه فبينها وبين الذَّات الإِلٰهيَّة الأَزليَّة المُقَدَّسة واسطة بالضرورة.
وهذا بحث يأتي (إِنْ شاء الله تعالىٰ) في باب الصِّفات والأَسماء الإِلٰهيَّة والنُّبُوَّة.

الثَّالثة: أَنَّ معنىٰ هذا القرب: أَنَّ ذات سيِّد الأَنبياء ﷺ هي: واسطة العطاء والرَّحمة الإِلٰهيَّة ، وواسطة المدد والفيض الإِلٰهيّ الأَوَّل ؛ المُتدفِّق من الذَّات الإِلٰهيَّة الأَزليَّة المُقدَّسة في قوس النُّزول إلى عامَّة العوالم وجملة المخلوقات ، لا نفاد له ولا انقطاع ، ولا يُسدّ بابه أَبد الآباد ؛ ما دام في الوجود مخلوقٍ ، وإِلَّا لَـمَا كان للمخلوقات حظٌّ من الواقعيَّة والوجود.

الرَّابعة: أَنَّ الوحي الإِلٰهيّ بأنحائه هو أَحد هذه العطاءات والفيوضات الإِلٰهيَّة ؛ المارَّة أَزَلاً وأَبداً في طبقات ذات سيِّد الأَنبياء ﷺ الصَّاعدة إلى سائر العوالم وكافَّة المخلوقات [1].

والنَّتيجة: أَنَّ ذات سيِّد الأَنبياء ﷺ بحر زخَّار ، وعين غزيرة بالوحي لا انقطاع لها أَبد الآبدين ودهر الدَّاهرين ؛ فيكون علم الأَنبيّاء في علمه ،

---

(١) إِنَّه يوجد فارق من دون قياس بين الأَولويَّات المُخاطب بها سيِّد الأَنبياء ﷺ وما يُخاطب به سائر جملة المخلوقات ـ منها: سائر الأَنبياء والمرسلين (منهم أُولي العزم) والملائكة المُقَرَّبين عليهم السلام ـ بل يعجز عن عشر معشارها سائر المخلوقات ، ومن ثَمَّ لا يُخاطب بها غيره ﷺ ، لخروجها عن قدرة كافَّة المخلوقات ومكنتهم ، بل في جملة منها لا يتمكَّن منها ولا يقدر عليها ثاني أَشرف المخلوقات طُرّاً نفس سيِّد الأَنبياء أَمير المؤمنين (صلوات الله عليهما وعلى آلهما) ؛ لكون مقاماته ﷺ ومناصبه وصلاحيَّاته الإِلٰهيَّة أَعظم وأَشَدّ من جملة المخلوقات من دون قياس. ومنْ ثَمَّ كانت عبوديَّته ﷺ أَعظم ؛ فلذا كان طيلة حياته يجلس جلسة العبيد ؛ كيما لا يسمح لنفسه من البروز ولو للحظة ، وبمقدار حبَّةٍ من خردلٍ.
وهذا بيان عظيم في شأن سيِّد الأَنبياء ﷺ دالٌّ على علوِّ مقامه ، وعدم قابليَّة كافَّة المخلوقات على وصف شأنٍ من شؤونه.

وسرّ الأَوصيّاء في سرِّه ، وعزِّ الأَولياء في عزِّه كالقطرة في البحر ، والذَّرَّة في القفر ، فإِنَّه مهما بلغت علوم الأَنبياء والمرسلين والملائكة المُقَرَّبين وسائر كُمَّل المخلوقين إِذا قيست إِلى علمه ﷺ لابُدَّ أَنْ تكون محدودة ، ولا توجد نسبة رياضيَّة بين المحدود وغير المحدود ، فتكون جملة علوم سائر المخلوقات بالنِّسبة إِلى علمه كالعدم ؛ لأَنَّ نسبة المحدود إِذا قيس إِلى غير المحدود كانت صفراً على جهة الشِّمال ، وإِلَّا ـ أَي: لو أُعطي المحدود في قِبَالِ غير المحدود نسبة وقيمة وإِنْ كانت ضئيلة جِدّاً ، كما لو كانت واحد بالترليون ـ لَلَزِمَ انقلاب ماهيَّة وحقيقة غير المحدود ، وصارت محدودة ، وضرورة بطلان انقلاب الماهيَّة والحقيقة من الواضحات ؛ بل ولزم خلف الفرض.

اِتِّضاح جَمٌّ غفير من بيانات الوحي

سيِّد الأَنبياء ﷺ نَبِيُّ الأَنبياء في العوالم السَّالفة

ومنه تَتَّضح: بيانات الوحي الواردة في حقِّ بعض طبقات سيِّد الأَنبياء ﷺ النَّازلة ، منها:

أَوَّلاً: بيانه ﷺ ، عن ابن عبَّاس ، قال: «قيل: يا رسول الله ، متىٰ كُنْتَ نبيّاً؟ قال: **وآدم بين الرُّوح والجسد**»[1].

ثانياً: بيان الإِمام الصَّادق عليه السلام: « **ما بعث الله نبيّاً أَكرم من محمَّد** ﷺ ، **ولا خلق الله قبله أَحداً ، ولا أَنذر الله خلقه بأحد من خلقه قبل مُحمَّد ، فذلك قوله تعالىٰ: ﴿هَٰذَا نَذِيرٌ مِّنَ النُّذُرِ الْأُولَىٰ﴾**[2] ، وقال: ﴿**إِنَّمَا أَنتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ**

(١) الدر المنثور ، ٨: ١٢٨.
(٢) النجم: ٥٦.

قَوْمٍ هَادٍ﴾[١] فلم يكن قبله مطاع في الخلق ، ولا يكون بعده إلى أَنْ تقوم السَّاعة في كُلِّ قرنٍ إلى أَنْ يرث الله الأَرض وَمَنْ عليها »[٢].[٣]

ثالثاً: بيانه عليه السلام أَيضاً ، عن عليّ بن معمر ، عن أَبيه ، قال: «سألت أبا عبدالله عليه السلام عن قول الله عزّ وجلّ: ﴿**هَذَا نَذِيرٌ مِنَ النُّذُرِ الْأُولَى**﴾ قال: **إِنَّ الله تبارك وتعالىٰ ما ذرأ الخلق في الذَّرِّ الأَوَّل فأقامهم صفوفاً قدامه بعث الله مُحَمَّداً صلى الله عليه وآله فآمن به قوم ، وأنكره قوم ، فقال الله: ﴿هَذَا نَذِيرٌ مِنَ النُّذُرِ الْأُولَى﴾ يعني به: محمَّداً صلى الله عليه وآله حيث دعاهم إلى اللّـه عزّ وجلّ في الذَّرِّ الأَوّل**»[٤].

رابعاً: بيانه عليه السلام أَيضاً ، عن المُفضَّل ، قال: «قال لي أَبُو عبدالله عليه السلام: **يامُفَضَّل ، أَمَا علمتَ أَنَّ الله تبارك وتعالىٰ بعث رسول الله صلى الله عليه وآله وهو روح إلى الأَنبياء عليهم السلام ؛ وهم أَرواح قبل خلق الخلق بألفي عام؟** قلتُ: بَلَىٰ ، قال: **أَمَا علمتَ أَنَّه دعاهم إلى توحيد الله وطاعته واتِّبَاع أمره ، ووعدهم الجنَّة على ذلك ، وأَوعد مَنْ خالف ما أَجابوا إِليه وأنكر النَّار؟** فقلت: بَلَىٰ»[٥].

ودلالته ـ كدلالة سوابقه ـ واضحة ، على أَنَّ سيِّد الأَنبياء صلى الله عليه وآله كان نبيّ الأَنبياء في العوالم السَّابقة ، ويتمتَّع بوحي إِلٰهيّ.

---

(١) الرعد: ٧.
(٢) بحار الأَنوار ، ١٦: ٣٧١/ ح٨٢. مجالس الشَّيخ: ٦٣.
(٣) إِنَّ لسيِّد الأَنبياء صلى الله عليه وآله أَوسمة ومقامات سؤدد كثيرة ، أَفاضتها عليه يد السَّماء لم يتمتَّع بها مخلوق قَطُّ لا من قبل ولا من بعد ، منها: مقام وسؤدد: إِمام الأَئِمَّة على الإِطلاق.
(٤) بحار الأَنوار ، ٥: ٢٣٤/ ح٧.
(٥) بحار الأَنوار ، ٢٩: ١٩٤ ـ ١٩٦/ ح٥. علل الشَّرائع: ٦٥.

فصل حقائق سائر أَهل البيت عليهم السلام بَحْر وَحي لا نهاية له أَيضاً

وحيث إِنَّ حقائق سائر أَهل البيت (صلوات اللّٰـه عليهم) الصَّاعدة مُترشِّحة ومُشتقَّة ومُتجليَّة من حقيقة سيِّد الأَنبيّاء صلى الله عليه وآله الصَّاعدة ؛ كانت فصول حقائقهم عليهم السلام وبمقتضىٰ قاعدة السنخيَّة: بحر وحي زخَّار لا نهاية له أَيضاً ، أَبد الآباد ودهر الدُّهور ، في هذا العَالَم وفي العوالم والنَّشَآت السَّابقة واللَّاحقة.

نعم ، وحي حقائق وذوات سائر أَهل البيت (صلوات اللّٰـه عليهم) ليس وحي نبوَّة ، بل وحي علم لَدُنِّيٍّ . بخلاف وحي حقيقة سيِّد الأَنبياء صلى الله عليه وآله ، فإِنَّه فضلاً عن كونه وحي نُبوَّة هو وحي علم لدُنِّيٍّ ؛ فهو نبيّ الأَنبياء وهو إِمام الأَئمَّة عليهم السلام ، فتكون ذاته صلى الله عليه وآله الشَّريفة قد جمعت بين وحي النُّبوَّة بجميع مراتبه ، ووحي الإِمامة بكافَّة طبقاته أَيضاً.

وإِلى هذا أَشارت بيانات الوحي ، منها:

١ـ بيان أَمير المؤمنين عليه السلام الوارد في حقِّ الإِمام من أَهل البيت عليهم السلام: «**... الإِمام ... ظاهره أمر لا يُملك ، وباطنه غيب لا يُدْرَك ... جلَّ مقام آل مُحمَّد صلى الله عليه وآله عن وصف الواصفين ، ونعت النَّاعتين ، وأَنْ يُقاس بهم أَحَد من العالمين ... الإِمام ... بشر ملكيّ ، وجسد سماويّ ، وأَمر إِلٰهيّ ، وروح قدسيّ ، ومقام عَلِيّ ، ونور جليّ ، وسرّ خفيّ ، فهو ملك الذَّات ، إِلٰهيّ الصِّفات ... هذا كلّه لآل مُحَمَّد لا يُشاركهم فيه مشارك ... علم الأَنبيّاء في علمهم ، وسرّ الأَوصياء في سرِّهم ، وعزّ الأَولياء في عزِّهم كالقطرة في البحر ، والذَّرّة في**

القفر ... ومَنْ أَنكر ذلك فهو شقيٌّ ملعون ، يلعنه الله ويلعنه اللاعنون ... فهم ... الأَسرار الإِلٰهيَّة المودعة في الهياكل البشريَّة...»[١].

٢ـ إطلاق بيان الإِمام الصَّادق عليه السلام: « كُلُّ ما كان لمُحَمَّد صلى الله عليه وآله فَلَنا مثله إِلَّا النُّبُوَّة والأَزواج »[٢].

٣ـ بيان الإِمام الهادي عليه السلام المُتقَدِّم ، الوارد في تفسير بيان قوله تعالىٰ: «... ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِن بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ﴾[٣] فهو كذلك ، لو أَنَّ أشجار الدُّنيا أَقلام ، والبحر يمدّه سبعة أَبحر ، وانفجرت الأَرض عيوناً لنفدت قبل أَنْ تنفد كلمات الله ... ونحن كلمات الله الَّتي لا تنفد ولا تُدْرَك فضائلنا ... »[٤].

ودلالته ـ كدلالة سابقيه ـ واضحة ، ولا غبار عليها.

عصارة ما تقدَّم من القول المختار

وعصارة ما تقدَّم: أَنَّ التَّعريف النَّاضج والسَّديد: أَنْ تُعرَّف حقائق الأَشياء وتُبيَّن بـ: عواقبها ونهاياتها ومئالاتها وغاياتها وكمالاتها الأَخيرة ، لا بمبادئها ومصاديقها ؛ فإِنَّه تعريف وبيان اِبْتِدَائيّ.

وهذه القضيَّة شاملة لجملة العلوم ، كـ: علوم: (المعارف) وعلم: (التَّفسير)،

---

(١) بحار الأَنوار ، ٢٥: ١٦٩ ـ ١٧٤/ ح٣٨.
(٢) المصدر نفسه ، ٢٦: ٣١٧/ ح٨٣.
(٣) لقمان: ٢٧.
(٤) بحار الأَنوار ، ١٠: ٣٨٦ ـ ٣٨٩/ ح١.

و(الـمنطق) ، و(الكيمياء) ، و(الفيزياء) ، و(الاجتماع) ، و(السياسة) ، و(القانون)، و(الاقتصاد) ، ففي طُرِّ العلوم لا يمكن أن يُحَكْم على الشَّيء أَو الحقيقة إِلَّا بعاقبته ومآله ونهايات نتائجه.

إِذَنْ: حقيقة المعاني والحقائق ولبّ لبابها تكمن في نهاياتها ومآلاتها وغاياتها.

تسميَّة أُخرى لقاعدة: (خذ الغايات واترك المبادئ)

ثُمّ إِنَّ لهذه القاعدة تسمية أُخرىٰ ، وهي تسمية حديثة أَطلقها المُلَّا صدرا ، واستعملها في مباحث المعارف ونظريَّة المعرفة الحديثة ، وهي: « إِنَّ الأَلفاظ موضوعة لأَرواح المعاني ولبابها ، لا لأَجسام المعاني وقشورها ».

وهذا المبحث وإِن كان بسيطاً في صورته ، لكنَّه في غاية الأَهميَّة والخطورة ، وتنجم عنه نتفٌ مُهمَّة في قراءة بيانات الوحي المعرفيَّة ؛ لكنَّها تمرُّ على الذهن ولا يلتفت إليها.

اِرتِطام إِبليس في ورطته نتيجة عدم ملاحظة فصل آدم الأَخير

وهذا المحذور هو الَّذي أَوقع إِبليس (عليه اللَّعنة) في ورطته ؛ فإِنَّه اِقتصر في لحاظه على الجانب المادِّي في آدم عليه السلام ، وغفل عن الجانب الرُّوحي والنوري والمُجَرَّد فيه[1].

فلاحظ: بيانات الوحي ، منها:

١ـ بيان الإمام الصَّادق عليه السلام: «**لَـمَّا خلق الله السَّماوات والأَرض ... أَمر**

---

(١) مشكلة (إِبليس) وأزمته السرمديَّة في الخلقة ، الَّتي تذكرها بيانات الوحي لبدء طريق الشَّرِّ تكمن في عدم الولاية لولي اللّٰـه عزوجل.

إبليس بالسجود لآدم ، والسجود: هو الطَّاعة لا الصَّلاة ، فأبى واستكبر ، وقال: لا أَسجد لبشر خلقتني من نار ، وخلقته من طين ، فافتخر على آدم ، وعصى اللّـه [1] ، وقاس ويله النَّار بالنُّور ، وظَنَّ أَنَّ النَّار أَفضل ، ولو عَلِمَ أَنَّ النُّور الَّذي في آدم وهو الرُّوح الَّتي نفخها الله فيه ؛ كان أَفضل مِنَ النَّار الَّتي خُلِقَ منها إبليس لفسد قياسه»[2].

٢ـ بيانه عليه السلام أَيضاً: «... **إِنَّ أَوَّل مَنْ قاس إبليس ، قال: ﴿خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ﴾[3] قاس ما بين النَّار والطين ، ولو قاس نوريَّة آدم بنور النَّار عرف فضل ما بين النُّورين ، وصفاء أَحدها على الآخر**»[4].

---

(١) ينبغي الإلتفات في المقام إلى الأَمرين التَّاليين:

الأَمر الأَوَّل:

أَخطر ما في المعصية الولاء لإبليس

إنَّ في باطن كُلّ معصية لابُدَّ أَنْ يكون هناك دركة من ولاء إبليس ، وهذا أَظهر وأَخطر ما في المعصية.

الأَمر الثَّاني:

الحسد طاقة إيجابيَّة في النَّفس لكنَّها إنْ وظِّفت خطأً جرَّت إلى العداوة

إنَّ منشأ (الحسد) شيء إيجابي وطاقة كامنه في النَّفس عظيمة وخطيرة جِدّاً ، والإشكال في توظيف المخلوق لها في المسار الخاطئ.

والحسد يجرُّ تلقائيّاً إلى النفرة والعداوة ، ومن ثَمَّ كُلُّ مَنْ عاصر أَهل البيت (صلوات اللّـه عليهم) وكان حاسداً لهم جرَّه ذلك تلقائياً إلى النفرة منهم والعداوة لهم.

(٢) الهداية الكبرىٰ: ٥٢٦/ ح٦٦. علل الشرائع: ٨٧/ ح٣. الاختصاص: ١٠٩.

(٣) ص: ٧٦.

(٤) بحار الأَنوار ، ٦٣: ١٩٨/ ح١١. علل الشرائع: ٤٠ و ٨٢.

وقوع الملائكة في ترك الأَولى نتيجة عدم ملاحظة فصل آدم الأَخير

بل ، وكذا الملائكة ، وإِنْ كان ما صدر منهم أَخَفّ وترك أولىٰ[١].

فانظر: بيانات الوحي ، منها:

أَوَّلاً: بيان الإِمام عليّ بن الحسين عليهما السلام: «... **لأَنَّ الله تبارك وتعالى قال للملائكة: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾[٢] فردُّوا على الله تبارك وتعالى ، وقالوا: ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ﴾[٣] قال الله: ﴿إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾[٤] وكان لا يحجبهم عن نوره ، فحجبهم عن نوره سبعة آلاف عام ، فلاذوا بالعرش سبعة آلاف سنة ، فرحمهم وتاب عليهم...** »[٥].

ثانياً: بيان الإمام الرِّضا عليه السلام: «**علَّة الطواف بالبيت: أَنَّ الله تبارك وتعالى قال للملائكة: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ﴾ فردوا على الله تبارك وتعالى هذا الجواب ، فعلموا أَنَّهُم أَذنبوا ، فندموا ، فلاذوا بالعرش واستغفروا ...** »[٦].

---

(١) الفارق بينهما: إِنَّ الملائكة ترعوي إِذا ردعت ، بخلاف إِبليس.

(٢) البقرة: ٣٠ .

(٣) البقرة: ٣٠.

(٤) الشعراء: ٣٤ – ٣٨ .

(٥) بحار الأنوار ، ٥٨: ٥٨/ح٤ .

(٦) المصدر نفسه/ح٥ ، وعلى منواله/ح٧. علل الشرائع ، ٢: ٩١. الدر المنثور ، ١: ١٢٨.

الدَّليل على أَحقيَّة القول الثاني وقاعدة: (خذ الغايات واترك المبادئ)

ويدلّ على أَحقيَّة القول الثَّاني ـ وهو: المختار ـ أَدلَّةٌ، منها:

الأَوَّل: أَنَّ الأَلفاظ لو كانت موضوعة لمصاديق المعاني فلابُدَّ أَن تكون مرآة حاكية عن عَالَم الحسِّ والمادَّة فقط. لكنَّ التالي باطل ؛ بالضرورة والوجدان ؛ فإِنَّ الأَلفاظ كما تحكي عن عَالَم الحسِّ الغليظ والمادَّة الغليظة تحكي أَيضاً عن سائر العوالم ، منها: النُّوريَّة والمُجرَّدة ؛ من دون فرق أَو تكلُّف أَو قرينة أَو مجاز. فإِذا بطل التَّالي فالمُقدَّم مِثْله.

والنتيجة: أَنَّ الأَلفاظ موضوعة للمعاني الأَعمُّ من معاني الغايات ومعاني المبادئ.

الثَّاني: أَنَّ المعاني لَـمَّا كانت بطبيعتها ذات سَعَة يُبصر بها أَقصى الغيب ؛ فلو كانت الأَلفاظ موضوعة للمصاديق الحسيَّة الماديَّة فحسب لكان فكر الإنسان وقوَّته الإِدراكيَّة المشتركة مع كثير من المخلوقات محبوسة على عَالَم الحسِّ والمادَّة. لكنَّه باطل بالضرورة والوجدان أَيضاً. فإذا بطل التَّالي فالمُقدَّم مِثْله.

والنتيجة: أَنَّ الأَلفاظ موضوعة للمعاني الأَعمُّ من معاني الغايات ومعاني المبادئ.

الثَّالث: أَنَّها لو كانت موضوعة للمصاديق الماديَّة المحسوسة فقط ؛ لزم

من ذلك خلف غرض الواضع ، وهو باطل بالوجدان أَيضاً.

فإنَّ الواضع بعد ما كان حكيماً فلابُدَّ أَنْ يكون غرضه من الوضع: التخاطب بالألفاظ الموضوعة ؛ للتعلُّم ونقل العلم والمعلومة للطرف الآخر ، وهو لا يختصُّ بالعوالم والمعلومات المحسوسة.

والنتيجة: أَنَّ الأَلفاظ موضوعة للمعاني الأَعمُّ من معاني الغايات ومعاني المبادئ.

الرَّابع: أَنَّ الثَّابت بالوجدان: أَنَّ صِدْقَ المعنىٰ في مصاديقه الحقيقيَّة التَّكوينيَّة الغيبيَّة الملكوتيَّة والمُجرَّدة عن المادَّة ؛ أَشدُّ صِدْقاً من صِدْقِهِ على مصاديقه الفرضيَّة الِاعتباريَّة الماديَّة.

وهذا برهان وجدانيٌّ دالٌّ على أَنَّ الأَلفاظ موضوعة للأَعمِّ من المصاديق والغايات.

بيانه:

إنَّ حقيقة النطق والكلمة والكلام وغاياتها: إِبراز أَمرٍ خفيٍّ كان مجهولاً ليصبح بعد ذلك معلوماً.

مثاله: إِطلاق لفظ: (الكلمة) على خلقة النَّبيِّ عيسىٰ عليه السلام ؛ فإِنَّه إِطلاقٌ حقيقيٌّ ؛ لأَنَّ في خلقته عليه السلام إِظهاراً وإِبرازاً لحقائقَ وأُمورٍ شتَّىٰ ، كانت غيبيَّة ومُخفيَّة على المخلوقات ومجهولة لها ، لتصبح بعد خلقته عليه السلام معلومة ومشهودة، **منها:**

١ـ إِنَّ الباري سبحانه وتعالى على كلِّ شيءٍ قدير.

٢ـ إِنَّه جلَّ وتقدَّس يبعث مَنْ في القبور.

وعليه: فيكون الباري ﷻ بخلقته للنَّبيِّ عيسى عليه السلام قد نطق وتكلَّم. بل صِدْقُ الكلمة على خلقة النَّبيِّ عيسىٰ عليه السلام أَحقُّ من صِدْقِها على الأَلفاظ الموضوعة ؛ لأَنَّها تحتاج ـ كيما تدلُّ على المراد ـ إِلى جعلٍ وفرضٍ واِعتبارٍ. بخلاف خلقته عليه السلام ؛ فإِنَّها دالَّة بنفسها تكويناً على عظمة الخالق سبحانه وتعالى.

مؤيِّد

ويؤيِّد أَحقيَّة القول الثَّاني وصحَّة قاعدة: (خذ الغايات واترك المبادئ) وحُجِّيَّتها: إِصرار بيانات الوحي على استعمال أَلفاظها في الغايات والكمالات النَّهائيَّة من دون أَنْ يشعر المتصفِّح لها بوجدانه بشائبة المجازيَّة ؛ واعتمادها على قرينة صارفة ومُعيِّنة.

وخذ على ذلك الأَمثلة الآتية:

المثال الأَوَّل: بيان قوله جلَّ شأنه: ﴿إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ الْمَوْتَى وَلَا تُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعَاءَ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ * وَمَا أَنْتَ بِهَادِي الْعُمْيِ عَنْ ضَلَالَتِهِمْ إِنْ تُسْمِعُ إِلَّا مَنْ يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ مُسْلِمُونَ﴾[1].

المثال الثَّاني: بيان قوله جلَّ جلاله: ﴿أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾[2].

ودلالتهما واضحة ؛ فإِنَّ الباري (تقدَّس ذكره) استعمل في المقام لفظ

---

(١) النمل: ٨٠ ـ ٨١.

(٢) الفرقان: ٤٤.

وعنوان: (الموتىٰ) و(الصم) و(السَّمع)[1] و(العمىٰ) ليس في مبادئها

---

(١) لا بأس بالِالتفات في المقام إلى أَنَّ قوَّة (السَّمع) من أَبرز قوىٰ وأَعضاء الإِنسان ، ومن ثَمَّ يكون اِنتقال المعلومات والأَفكار عبرها أَقوىٰ من انتقالها عبر سائر القوىٰ كقوَّة البصر ؛ فلذا من خصائص المسموع أَنَّه يُغطِّي مساحات من الحقيقة أَكثر من تغطية المرئي لها.
والثَّابت في البحوث والتَّقارير العلميَّة والدُّوليَّة الحديثة: أَنَّ الإِعلام المسموع ـ كالرَّاديو ـ يكشف عن معلومات (٦٠ـ ٨٠٪) و(٤٠ ـ ٢٠٪) لهو ، أَمَّا الإِعلام المرئي البصري ـ كالتلفاز ـ فأمره بالعكس ؛ فإِنَّه (٢٠ ـ ٤٠٪) يكشف عن معلومات ، و (٨٠ ـ ٦٠٪) لهو.
ومِنْ كُلِّ هذا يتَّضح: أَنَّ سرعة الفكر والعلم بالمسموع ، بل والمكتوب أَعظم من سرعة الفكر والعلم بالمُبصَر.
وهذا المبحث أَحد مباحث باب النُّبوَّة وباب الإِمامة الإِلٰهيَّة ؛ فإِنَّ الوحي السمعي والوحي بالإِلهام ـ كما هو طبيعة وحي الإِمامة الإِلٰهيَّة ـ أَوسع مدىٰ من الوحي البصري والرُّؤية البصريَّة ـ كما هو حال وحي النُّبوَّة ـ.
بل للسمع دور مُؤثِّر في الرِّياضات الرُّوحيَّة وغيرها.
بل الجامعة المفتوحة ـ والَّتي تقوم عبر المسموع ـ أَكثر تأثيراً ونطاقاً وسعةً من الحضور المرئي.
ومِمَّا تقدَّم يتَّضح: أَنَّ قدرة الإِنسان السمعيَّة في طبقات روحه وطبقات بدنه شبكة تُغطِّي بث أَعظم من القدرة البصريَّة.
ومن كُلّ ما تقدَّم تتَّضح: نُكتَة وفلسفة تركيز بيانات الوحي على قوَّة السَّمع أَكثر من تركيزها على قوَّة البصر وسائر قوىٰ الحسِّ الأُخرىٰ ، ومن ثَمَّ قُدِّم عنوان السَّمع في اِستعمالات بيانات الوحي غالباً على عنوان البصر وسائر عناوين قوىٰ الإِنسان.
←

ومصاديقها الحسيَّة الغليظة ، بل في مآلاتها وغاياتها وكمالاتها الأَخيرة ؛ فليس المراد من عنوان ولفظ: (الموتىٰ) في هذا البيان الشَّريف موتىٰ الأَبدان الغليظة، وليس المراد أَيضاً من عنوان ولفظ: (الصم) صمّ الآذان الشَّحميَّة ، وهكذا ليس المراد من عنوان ولفظ: (العمىٰ) أَيضاً عمىٰ العيون الكرويَّة

← فلاحظ:

١ـ بيان قوله جلَّ قوله الحاكي لخبر النَّبيّ إبراهيم عليه السلام: ﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ﴾ [مريم: ٤٢] .

٢ـ بيان قوله عزَّ قوله: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ اللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَارَكُمْ وَخَتَمَ عَلَى قُلُوبِكُمْ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِهِ﴾ [الأَنعام: ٤٦].

٣ـ بيان قوله عزَّ من قائل: ﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ﴾ [يونس: ٣١].

٤ـ بيان قوله عزَّ ذكره: ﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [النحل: ٧٨].

٥ـ بيان قوله عزَّ اسمه: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾ [الإسراء: ٣٦].

٦ـ بيان قوله عزَّ وجهه: ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَا تَشْكُرُونَ﴾ [المؤمنون: ٧٨].

٧ـ بيان قوله جلَّ: ﴿وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَارُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ﴾ [فصلت: ٢٢].

٨ـ بيان قوله جلَّ شأنه: ﴿أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ [الجاثية: ٢٣].

المستديرة ، فإنَّه (علا شأنه) وجَّه كلامه الشَّريف إلى أُناسٍ ذوي أَبدان حيَّة شاعرة ، تأكل وتشرب ، وتمشي على سطح الأَرض ، وتسمع الأَصوات والكلام الاعتباري بآذانهم الشَّحميَّة ، وينظرون ويرون بأعينهم الحسيَّة الغليظة ما يدور حولهم ، وإِنَّما مراده (عزَّ ذكره): ما وراء هذه الأَشياء من حقائقها ومآلاتها وغاياتها وكمالاتها الأَخيرة ، وهي: العقل والرُّوح الإِنسانيَّة، وطبقاتها ومراتبها ، وقواها ، وكمالاتها الصَّاعدة ، ولكثرة ممارسة العبيد للمعاصي والذُّنوب ، والاشتغال بالدُّنيا وزخارفها ماتت عقولـهم وقلوبهم وأَرواحهم وطبقاتها الصَّاعدة ـ كـ: السِّرِّ والخفي والأَخفىٰ ـ وأَصبحوا كالأَنعام ؛ لا ينظرون ولا يعقلون مآلات وعواقب وغايات الأُمور والكلام؛ وكمالاتها الأَخيرة. بل أَضل ؛ لكون الحيوانات تتمتَّع بقابليَّات بدنيَّة وجسميَّة وحسيَّة لم يتمتع بها الإِنسان[1].

فلاحظ: ما ورد في بيانات الوحي ، منها :

١ـ بيان الإِمام الصَّادق عليه السلام الوارد في خبر توحيد المُفضَّل بن عمر ، قال: «... **فكِّر يا مُفضَّل: في خلقة عجيبة جُعلت في البهائم ؛ فإِنَّهم يوارون أَنفسهم إِذا ماتوا كما يواري النَّاس موتاهم ، وإِلَّا فأين جيف هذه الوحوش**

---

(١) إِنَّ ما وردَ في بيان قوله تعالىٰ: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ ثُمَّ لِتَكُونُوا شُيُوخًا وَمِنْكُمْ مَنْ يُتَوَفَّىٰ مِنْ قَبْلُ وَلِتَبْلُغُوا أَجَلًا مُسَمًّى وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [غافر: ٦٧] برهانٌ وحيانيٌّ دالٌّ على أَنَّ مراحل تنامي الإِنسان دليل على أَنَّه ليس له القدرة من ذاته ؛ فمرور أَطوار النَّقص والكمال على المخلوق صارخة بفقرة الذَّاتي.
وهذه السُّنن الإِلٰهيَّة في خلقة المخلوق تكلُّم من ساحة القدس الإِلٰهيَّة مع العقول.

والسباع وغيرها لا يُرىٰ منها شيء؟ وليست قليلة فتخفىٰ لقلَّتها ؛ بل لو قال قائل: إنَّها أكثر من النَّاس لصدق ، فاعتبر[1] ذلك بما تراه في الصَّحاري

---

(١) ينبغي صرف النَّظر في المقام إلى القضيَّة التَّالية :

جملة عوالم التَّكوين ومخلوقاتها خطابات إلٰهيَّة موجَّهة للمخلوقات

إنَّ ما ورد في بيان الإمام الكاظم (صلوات اللّٰـه عليه) ، عن هشام بن الحكم ، قال: «قال لي أبو الحسن موسىٰ بن جعفر عليه السلام: ... يا هِشَامُ: إنَّ اللّٰـه تبارك وتعالىٰ أَكْمَلَ للنَّاسِ الحُجَجَ بالعقولِ ، ونَصَرَ النَّبيِّين بالبيان ، ودَلَّـهُمْ على رُبُوبيَّته بالأَدِلَّة ، فقال: ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ * إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [البقرة: ١٦٤ـ١٦٤]. يا هِشَامُ: قد جعل اللّٰـه ذلك دليلاً على معرفته بأَنَّ لهم مُدَبِّراً ، فقال: ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ ، وقال: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ ثُمَّ لِتَكُونُوا شُيُوخًا وَمِنْكُمْ مَنْ يُتَوَفَّىٰ مِنْ قَبْلُ وَلِتَبْلُغُوا أَجَلًا مُسَمًّى وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [غافر: ٦٧] ، وقال: ﴿وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ رِزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ آيَاتٌ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [الجاثية: ٥] ، وقال: ﴿يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [الحديد: ١٧] ، ﴿وَجَنَّاتٌ مِنْ أَعْنَابٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٍ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَىٰ بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِي الْأُكُلِ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [الرعد: ٤] ، وقال: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَيُحْيِي بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [الروم: ٢٤] ، وقال: ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُوا ←

الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [الأَنعام: ١٥١] ، وقال: ﴿هَلْ لَكُمْ مِنْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِنْ شُرَكَاءَ فِي مَا رَزَقْنَاكُمْ فَأَنْتُمْ فِيهِ سَوَاءٌ تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [الروم: ٢٨] ...». [أُصول الكافي ، ١: ١٣/ ح١٢] برهانٌ وحيانيٌّ دالٌّ على أَنَّ جملة أَفعال الباري تعالىٰ التَّكوينيَّة عبارة عن خطابات عقليَّة منه سبحانه وتعالىٰ مع مخلوقاته.

وللتوضيح: لاحظ الأَمثلة التَّالية :

المثال الأَوَّل:

الخلقة كلام اللّـه مع مخلوقاته لتعريف نفسه إليها وتعرُّفها عليه

١ـ بيان الحديث القدسي: «**كُنتُ كنزاً مخفيّاً فأَحببتُ أَنْ أُعْرِف فخلقتُ الخَلْق لكي أُعرف**». بحار الأَنوار ، ٨٤: ٣٤٤. شرح النهج ، ٥/ باب: اختلاف الأَقوال في خلق العَالَم: ١٦٣.

ـ بيان الإِمام الصَّادق عليه السلام: «... **إِنَّ اللّـه تبارك وتعالىٰ لم يخلق خلقه عبثاً ، ولم يتركهم سدىً ، بل خلقهم لإِظهار قدرته** ...». بحار الأَنوار ، ٥: ٣١٣/ ح٢.

٣ـ بيان جوابه عليه السلام على سؤال الزيديق ، عن هشام بن الحكم ، قال: «أَنَّه سأل الزنديق أَبا عبداللّـه عليه السلام: لأَيّ علَّة خلق الخلق ، وهو غير محتاج إِليهم ، ولا مضطرَّ إِلى خلقهم ، ولا يليق به العبث بنا؟ قال: **خلقهم لإِظهار حكمته ، وإِنفاذ علمه ، وإِمضاء تدبيره** ...». بحار الأَنوار ، ٥: ٣١٧/ ح١٤.

ودلالة الجميع واضحة ؛ فإِنَّ نفس الخلقة كلمة إِلٰهيَّة ، نعم الكلمات الإِلٰهيَّة على مراتب ودرجات ، بعضها ليست بتامَّة ، والأُخرىٰ تامَّة ، والثَّالثة أَتَمُّ وهلمَّ جرّاً ، ومن ثَمَّ ورد في بيان أَمير المؤمنين عليه السلام: «**ما لِلّـه آية أَعظم مِنِّي**». بحار الأَنوار ، ٥٣: ٥٣ـ ٥٤/ ح٣١.

وهذا بُعدٌ عظيم من أَبعاد الخلقة ، فلذا المعروف لدىٰ أَهل المعرفة: أَنَّ في عَالَم الخلقة حيثيَّة بديعة ، وهي: حيثيَّة الأَسمآء الإِلٰهيَّة أَو الحيثيَّة الآيتيَّة ، وهي حيثيَّة

تكلُّم وكلام من الخالق جلَّ جلاله مع مخلوقاته ، وهذا النحو من الكلام لا ينفد ولا يزول.

وهذا ما أَشارت إِليه بياناتِ الوحي ، منها:

بيان قوله جلَّ قوله: ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِن بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [لقمان: ٢٧].

المثال الثَّاني:

الموت وسكراته كلام إِلٰهيّ ليكتشف المخلوق مدىٰ ضعفه وحاجته لباريه

(الموت وسكراته) ؛ فإِنَّهما حالتان تكوينيَّتان ، وكلام إِلٰهيّ يقرأ البعض منهما مدىٰ ضعفه وفقره وحاجته ، ويستعذب بكلام باريه جلَّت آلاؤه معه في تلك اللحظات.

المثال الثَّالث:

ما يُصاب به المخلوق كلام إِلٰهيّ ليستشعر مدىٰ ضعفه وفقره لخالقه

(بلاءات وابتلاءات وامتحانات المخلوقات) ، فإِنَّ البعض يقرأ أَيضاً من خلالها ويستشعر عظيم ضعفه وفقره وحاجته إِلى خالقه العزيز الجبَّار ، ومع تذوُّقه واستشعاره بهذه الحالات يهون عليه كُلَّ بلاءٍ وابتلاءٍ وامتحان.

كلام زينب عليها السلام في محضر ابن زياد يُمثِّل قمَّة أَدب المخلوق مع خالقه

وهذا ما كشف عنه حال زينب عليها السلام مع عبيد اللّـه بن زياد حينما خاطبها بقصد زرع العداوة بينها وبين باريها تعالىٰ ذكره: «كيف رأيتِ صنع اللّـه بأَخيكِ وَأَهل بيتكِ ؟» ، فأَجابته عليها السلام ـ مع أَنَّها موتورة وجريحة ومكسورة القلب ـ: «**ما رأيتُ إِلَّا جميلاً**». بحار الأَنوار ، ٤٥: ١١٥ـ١١٦ . الملهوف: ١٤٢ ـ ١٤٣.

وهذا جوابٌ يُمَثِّل عَظَمَة وقمَّة الأَدب والخضوع والرَّاحة في علاقتها مع الخالق تقدَّس ذكره ، كحال أَخيها سيِّد الشُّهداء عليه السلام في لحظاته الأَخيرة من اليوم العاشر من المُحرَّم حين مصرعه ، عندما يصفه راوٍ كان متواجداً وشاهد تلك اللحظات:

«فواللّـه ما رأيتُ مكثوراً قَطُّ قد قُتِل وِلْدَه وأَهل بيته وصحبه أَربط جاشاً منه ، وإِنْ كانَت الرِّجال لتشدُّ عليه فيشدُّ عليها بسيفه فتنكشف عنه انكشاف المعزىٰ إِذا شدَّ فيها الذئب ، ولقد كان يحمل فيهم وقد تكمَّلوا أَلفاً فينهزمون بين يديه كأَنَّهم الجراد المنتشر ...». بحار الأَنوار ، ٤٥: ٥٠. الملهوف: ١٠٥. الطبري ، ٦: ٢٥٩.

وعن هلال بن نافع قال: «إِنِّي لواقف مع أَصحاب عمر بن سعد إِذ صرخ صارخ: أَبشر أَيُّها الأَمير ، فهذا شمر قد قتل الحسين ، قال: فخرجتُ بين الصَّفَين فوقفت عليه وإِنَّه ليجود بنفسه ، فواللّـه ما رأيتُ قَطُّ قتيلاً مُضمَّخاً بدمه أَحسن منه ولا أَنور وجهاً ، ولقد شغلني نور وجهه وجمال هيبته عن الفكرة في قتله ...». بحار الأَنوار ، ٤٥: ٥٧. الملهوف: ١١٢ـ١٢١.

وهذا ترجمان عمليٌّ لِـمَا ذكره (صلوات اللّـه عليه) في دعاء شهر شعبان: «... **إِلٰهي رضاً بقضائك ، وتسليماً لأَمرك ، لا معبود سواك** ...». بحار الأَنوار ، ٤٥: ٥٧. الملهوف: ١١٢ـ ١٢١.

وهذه بيانات وخطابات عقليَّة وروحيَّة تظهر فيها أَرفع حالات الجمال وقمَّة المناجات بين العبد ومولاه تقدَّس ذكره ، وتحصل عندما يستشعر وجدان العبد ضعفه وفقره وحاجته إِليه ﷻ ، فيستشعر في أَعماق نفسه ـ نتيجة ذلك ـ قمَّة الخضوع والعبوديَّة والمربوبيَّة ، وعندها تحصل حالات الأُنس والقرب مع خالقه وباريه ومولاه جلَّ ذكره.

ما حصل لسيِّد الأَنبياء ﷺ والمسلمين يوم أُحد خطاب إِلٰهيّ حاكي عن مدىٰ حاجة المسلمين لباريهم

بل ما حصل لسيِّد الأَنبياء ﷺ يوم أُحد نوع خطاب إِلٰهيّ معه ﷺ ، بل ومع المسلمين يُقرأ من خلاله الفقر والحاجة والإِضطرار إِليه عظمت آلاؤه ، وعدم الإِغترار بما حصل من إِنجازات في معركة بدر ، فإِنَّ طبيعة المخلوق ينبغي أَنْ

تعيش في حالة النشوة والنَّصر والإنجاز والتقدُّم والغنىٰ: الفقر والحاجة إليه تبارك وتعالىٰ.

قال تعالىٰ: ﴿كَلَّا إِنَّ الْإِنسَانَ لَيَطْغَىٰ * أَن رَّآهُ اسْتَغْنَىٰ﴾ [العلق: ٦ـ٧].

فالغنىٰ وما شاكله يوجب في ذات المخلوق الطغيان والفرعونيَّة ، بخلاف مَنْ يعيش حالة المظلوميَّة ـ كأهل البيت (صلوات اللّٰـه عليهم) ـ ؛ فإنّه يعيش حالة الإخبات والتَّواضع والعبوديَّة والإنكسار ونكران الذَّات ، وتصفو ذاته من شائبة الطغيان والفرعونيَّة.

وهذا ما يُوضِّح: نُكْتَة وفلسفة ما أبتلي به أَهل البيت (صلوات اللّٰـه عليهم) من مظلوميَّة ، كما أُشير إليها في بيانات الوحي ، منها :

١ـ بيان سيِّد الأَنبياء ﷺ ، عن أَهل الحديث: «أَنَّ النَّظر بن الحارث وعقبة بن أَبي معيط وعمرو ابن العاص عمدوا إلى سَلَى جمل فرفعوه بينهم ووضعوه على رأس رسول اللّٰـه ﷺ وهو ساجد بفناء الكعبة فسال عليه ، فصبر ولم يرفع رأسه وبكىٰ في سجوده ، ودعا عليهم فجاءت ابنته فاطمة عليها السلام وهي باكية فرفعته عنه فأَلقته ، وقامت على رأسه [وهي] باكية ، فرفع رأسه ، وقال: **اللَّهُمَّ عليكَ بقريش** ، قالها ثلاثاً ، ثُمَّ قال رافعاً صوته: **إِنِّي مظلوم فإنتصر** ، قالها ثلاثاً ، ثُمَّ قام فدخل منزله ...». بحار الأَنوار ، ٣٣: ٢٢٩/ ح٥١٦.

٢ـ بيانه ﷺ مُخاطباً أَمير المؤمنين (صلوات اللّٰـه عليه): «... **يا عَلِيّ ، أَبشر بالسَّعادة ؛ فإِنَّك مظلوم بعدي ومقتول!** ...». بحار الأَنوار ، ٣٤: ١٠٣/ ح٢٦. أَمالي الصدوق: ٢٢١.

٣ـ بيان أَمير المؤمنين عليه السلام ، عن عبادة ، قال: «جاء أَعرابي يتخطا فنادىٰ: يا أَمير المؤمنين ، مظلوم ، قال عَلِيّ عليه السلام: **ويحكَ ، وأَنا مظلوم ، ظلمتُ عدد المدر والوبر**». بحار الأَنوار ، ٢٨: ٣٧٣.

٤ـ بيانه عليه السلام أَيضاً: «... **إِنِّي مذلل مضطهد ، مظلوم مغصوب مقهور محقور ، وأَنَّهم ابتزوا حقِّي واستأثروا بميراثي ! ...**». بحار الأَنوار ، ٢٩: ٥٦٣/ح١٠.

٥ـ بيان الإِمام الباقر عليه السلام: «... **لم نزل أَهل البيت نستذل ونستضام ، ونقص ونمتهن ، ونحرم ونُقتل ونخاف ولا نأمن على دمائنا ودماء أَولياءنا ... وقطعت الأَيدي والأَرجل على الظنَّة ، وكان من ذكر بحبّنا والانقطاع إِلينا سجن أَو نهب ماله ، أَو هدمت داره ، ثُمَّ لم يزل البلاء يشتد ويزداد ... ثُمَّ جاء الحجَّاج فقتلهم كُلّ قتلة ، وأَخذهم بكُلِّ ظنَّة وتهمة ، حتَّىٰ أَنَّ الرَّجُل ليُقال له زنديق أَو كافر أَحبُّ إِليه من أَنْ يُقال شيعة عَلِيّ ...**». بحار الأَنوار ، ٤٤: ٦٨ـ ٦٩.

ودلالة الجميع واضحة.

ومعناها: أَنَّ ما ابتلي به أَهل البيت عليهم السلام من مظلوميَّة يُمثِّل حالة اخبات وتواضع وعبوديَّة وانكسار ونكران للذَّات ، وصفائها من شائبة الأَنا والفرعونيَّة والطغيان ، وهذا ما تمثَّل في فعل أَمير المؤمنين عليه السلام عشيَّة ضربة ابن ملجم (عليه اللَّعنة) ، فإِنَّه عليه السلام قد أَوصىٰ ولده الإِمام الحسن عليه السلام بـ: الرأفة به والرَّحمة ، وحينما أُعترض عليه أَجاب عليه السلام: «**إِنَّا أَهل بيت لا نزداد على المُسيء إِلَّا صفحاً وكرماً**» ، ومعناه: أَنَّ ردَّة الفعل والإِنتقام للذَّات لم تكن حاضرة لدىٰ أَولياء وعباد الرَّحمٰن ؛ لتلبُّسهم بشكل دائم بحالة العبوديَّة ، فما مَثَّلته حالة أَمير المؤمنين هذه تكشف عن أَنَّه (صلوات اللّٰـه عليه) عبدٌ ذليلٌ بين يدي ربّ رحيم ، يُراقبه في جميع حركاته وسكناته وإِنْ كانت مع أَعتىٰ خلقه ، ويخشىٰ أَنْ تُسجل عليه أَيَّ لقطة فوران لأَنانيَّته وذاته.

ترجمة كُمَّل المخلوقات لِمَا يجري عليهم على مدار السَّاعة إِلى شفرات مرسلة من الخالق

وهكذا حال الأَنبياء عليهم السلام ، فإِنَّهم يُترجمون ما يجري عليهم من قضاء وقدر إِلى شفرات مرسلة عن الباري تبارك وتعالىٰ.

فلاحظ:

١ـ ما روي: «أَنَّ آدم لَـمَّا هبط إلى الأَرض ... فمرَّ بكربلاء فاغتمَّ ، وضاق صدره من غير سببٍ ، وعثر في الموضع الَّذي قُتِلَ فيه الحسين حتَّىٰ سال الدَّم من رجله ، فرفع رأسه إلى السَّمآء وقال: إلٰهيّ ، هل حدث مِنِّي ذنب آخر فعاقبتني به؟ ... فأَوحىٰ اللّٰـه إليه: يا آدم ، ما حدث مِنكَ ذنب ، ولكن يُقتل في هذه الأَرض ولدك الحسين ظُلماً ؛ فسال دمكَ موافقة لدمه ...». بحار الأَنوار ، ٤٤: ٢٤٢/ ح٣٧.

٢ـ روي أَيضاً: «أَنَّ إبراهيم عليه السلام مرَّ في أَرض كربلاء وهو راكب فرساً فعثرت به وسقط إبراهيم وشُجَّ رَأسَه وسال دمه ، فأَخذ في الاستغفار ، وقال: إلٰهيّ أَيّ شيءٍ حدث مِنِّي؟ فنزل إليه جبرئيل وقال: يا إبراهيم ، ما حدث مِنْكَ ذنب ، ولكن هنا يُقتل سبط خاتم الأَنبياء ، وابن خاتم الأَوصياء ، فسال دمكَ موافقة لدمه ...». بحار الأَنوار ، ٤٤: ٣٤٣.

وهذا نحو كلام يقرأه القلب والعقل والوجدان رغم عدم قراءة البدن والحسّ والخيال له ، فيعرف الأَنبياء عليهم السلام الباري جلَّ شأنه من خلاله ، بل ويعرفون من خلاله أَيضاً صفاته وأَسمائه وأَفعاله وقضائه وقدره ورضاه وسخطه تقدَّس ذكره ، ويعرفون من مقاديره سبحانه ما سيكون ، فيُكلِّمهم بتوسُّط ما يقضيه ويبرمه ، ومن ثَمَّ يقرؤون وهم في هذه النشأة قضاءه وحكمه يوم القيامة ، ويستنبطون أَخلاقه تعالىٰ من خلال أَفعاله التَّكوينيَّة.

ترابط وثيق بين عَالَمَ التَّكوين وعَالَمَ التَّشريع

ومنه يتَّضح: أَنَّ الَّذي يفقه ويعلم بأسرار ودقائق عَالَمَ التَّكوين لابُدَّ وانْ يكون عالماً وعارفاً بعَالَمَ التَّشريع الإلٰهيّ ؛ لأَنَّ عَالَمَ التَّكوين بيان وكلام إلٰهيٌّ يفصح فيه الباري تعالىٰ ذكره عن غاياته وأَغراضه. وهذا هو مضمون الملازمة العقليَّة القائلة: «كُلَّما حكم به العقل حكم به الشَّرع».

ومنه تتَّضح: كثير من بيانات الوحي الواردة في حَقِّ سيِّد الأَنبياء صلى الله عليه وآله وسائر أَهل البيت (صلوات اللّٰـه عليهم) ، منها:

بيان الإمام الصَّادق عليه السلام ، عن أَديم بن الحرّ ، قال: «سأله موسىٰ بن أشيم ـ يعني: أَبا عبداللّـه عليه السلام ـ عن آيةٍ من كتاب اللّـه فخبَّره بها ، فلم يبرح حتَّىٰ دخل رجلٌ فسأله عن تلك الآية بعينها فأَخبره بخلاف ما أَخبره ، قال ابن أشيم: فدخلني من ذلك ما شاء اللّـه حتَّىٰ كُنتُ كاد قلبي يشرح بالسَّكاكين ، وقلتُ: تركتُ أَبا قتادة بالشَّام لا يُخطئ في الحرف الواحد الواو وشبهها ، وجئت إِلى من يُخطئ هذا الخطأ كلّه. فبينا أَنا كذلك إِذ دخل عليه آخرٍ فسأله عن تلك بعينها فأخبره بخلاف ما أَخبرني والَّذي سأله بعدي ، فتجلَّىٰ عنِّي وعلمتُ أَنَّ ذلك تعمُّد منه ، فحدَّثت نفسي بشيءٍ فالتفت إِلَيَّ أَبو عبد اللّـه عليه السلام ، فقال: **يا بن أَشيم ، لا تفعل كذا وكذا** ، فحدَّثني عن الأَمر الَّذي حدَّثتُ به نفسي. ثُمَّ قال: **يابن أَشيم ، إِنَّ اللّـه فوَّض إِلى سليمان بن داود** عليه السلام ، **فقال:** ﴿**هَذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ**﴾ [ص: ٣٩] ، **وفوَّض إِلى نبيّه فقال:** ﴿**مَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا**﴾ [الحشر: ٧] ، **فما فوَّض إِلى نبيِّه فقد فوَّض إِلينا. يابن أَشيم ، من يرد اللّـه أَنْ يهديه يشرح صدره للإِسلام ، ومن يرد أَنْ يضلَّه يجعل صدره ضيِّقاً حرجاً. أَتدري ما الحرج؟** قلتُ: لا ، **فقال بيده ، وضمَّ أَصابعه الشيء المصمت الَّذي لا يخرج منه شيء ولا يدخل فيه شيء**». بحار الأَنوار ، ٢٥: ٣٣٢ـ٣٣٣/ح١٠. بصائر الدرجات: ١١٣ـ ١١٤. الاختصاص: ٣٣٠ ـ ٣٣١.

ودلالته قد اِتَّضحت ؛ فإِنَّه بعد أَنْ أَعطىٰ الباري جلَّ ذكره لسيِّد الأَنبياء صلى الله عليه وآله القدرة على فهم جملة أَسرار عَالَم التَّكوين اِتَّضحت لديه صلى الله عليه وآله كافَّة مغازي التَّشريعات الإِلٰهيَّة.

وعلى هذا قس حال سائر أَهل البيت (صلوات اللّـه عليهم) ، ومن ثَمَّ تراهم حينما يُبيِّنون بعض الأَحكام الشَّرعيَّة يذكرون إِلى جنبها آثارها الدُّنيويَّة أَو البرزخيَّة أَو الأُخرويَّة.

والجبال من أَسراب الظبا والمها والحمير والوعول والأَيائل ، وغير ذلك من الوحوش ، وأَصناف السِّباع من الأُسْد والضباع والذئاب والنمور وغيرها ، وضروب الهوامّ والحشرات ودوابّ الأَرض ، وكذلك أَسراب الطير من الغربان والقطا والإِوزّ والكراكي والحمام وسباع الطَّير جميعاً وكلّها لا يرىٰ منها شيء إِذا ماتت إِلَّا الواحد بعد الواحد يصيده قانص أَو يفترسه سبع ، فإِذا أَحسَّوا بالموت كمنوا[1] في مواضع خفيَّة فيموتون فيها ، ولولا ذلك لامتلأت الصَّحاري منها حتَّىٰ تفسد رائحة الهواء ، ويحدث الأَمراض والوباء ، فانظر إِلى هذا الَّذي يخلص إِليه النَّاس وعملوه بالتَّمثيل الأَوَّل الَّذي مثّل لهم كيف جعل طبعاً وادّكاراً في البهائم وغيرها ، ليسلم النَّاس من معرَّة ما يحدث عليهم من الأَمراض والفساد . فكِّر يا مفضّل: في الفطن الَّتي جُعلت في البهائم لمصلحتها بالطبع والخلقة ... لا بعقل ورويَّة ؛ فإِنَّ الأُيّل يأكل الحيَّات فيعطش عطشاً شديداً فيمتنع من شرب الماء خوفاً من أَنْ يدبّ السمُّ في جسمه فيقتله ، ويقف على الغدير ، وهو مجهود عطشاً ، فيعجُّ عجيجاً عالياً ، ولا يشرب منه ، ولو شرب لمات من ساعته ، فانظر إِلى ما جعل من طباع هذه البهيمة من تحمُّل الظماء الغالب خوفاً من المضرَّة في

← **ومعناه**: أَنَّ منصب التَّشريعات الإِلٰهيَّة لا تُعطىٰ لغير المعصوم عليه السلام ؛ وذلك لعدم تمكُّن غيره من الإِحاطة بعوالم التَّكوين وأَسرارها وغاياتها.

وبالجملة: أَحد مصادر التَّشريع الَّتي خُصَّ بها سيِّد الأَنبياء صلى الله عليه وآله وسائر أَهل البيت عليهم السلام: إِحاطتهم وعلمهم وقدرتهم على قراءة الأَكوان وعوالم الخلقة.

(١) أَي: تواروا واختفوا.

الشرب ، وذلك مِمَّا لا يكاد الإِنسان العاقل المُمَيِّز يضبطه من نفسه. والثعلب إِذا أَعوزه الطعم ... والدُلفين ... انظر إلى هذا الَّذي يقال له: اللَّيث ، وتسميَّه العامَّة أسد الذباب ، وما أُعطي من الحيلة والرفق في معاشه ... ، فأَمّا العنكبوت فإِنَّه ينسج ذلك النسج فيتَّخذه شركاً ومصيدةً للذباب ، ثُمَّ يكمن في جوفه ... فانظر إلى هذه الدويبة الضَّعيفة كيف جعل طبعها مالا يبلغه الإِنسان إِلَّا بالحيلة واستعمال آلات فيها ، فلا تزدر بالشيء إِذا كانت العبرة فيه واضحة ، كالذَّرّة والنَّملة وما أشبه ذلك ؛ فإِنَّ المعنىٰ النَّفيس قد يمثّل بالشَّيء الحقير ، فلا يضع منه ذلك ، كما لا يضع من الدينار وهو من ذهبٍ أَنْ يوزن بمثقالٍ من حديد[1] .....

---

(١) لا بأس بصرف النَّظر في المقام إِلى القضايا التَّالية:

القضيَّة الأَوَّلىٰ:

دقائق وصغائر الخلقة تكشف أَكثر عن عَظَمَة الخالق وخلقته

تبيَّن لعلماء الفيزياء والعلوم التجريبيَّة: أَنَّ عَظَمَة الخالق ﷻ تتجلَّىٰ في ذرَّات الخلق والخلقة وصغارها ـ كـ: (علم النَّانو) و(علم الاكوانتم) و(علم الفيمتو) ـ أَكبر وأَعظم من تجلِّيها في مخلوقاته (جلَّ شأنه) المهولة والخطيرة ـ كالعرش ـ ؛ لكونها تُنسج بشكلٍ تكوينيّ مُعقَّد.

القضيَّة الثَّانية:

بحوث نوابغة علم الفيزياء تؤدِّي بهم غالباً إِلى التَّوحيد وإِلى رهبات روحيَّة ←

...»[١] .[٢]

← إنَّ الكثير من نوابغة علم الفيزياء يؤدِّي بهم البحث إلى تعظيم الخالق وخلقته ، فتكون بحوثهم بحوثاً توحيديَّة ، وتحصل لهم من خلالها: دواعي ونوازع ورهبات روحيَّة شديدة ، ومن ثَمَّ يُحاولون اِكتشاف جملة من شؤون عَالَمَ النَّفس والرُّوح.

القضيَّة الثَّالثة:

علوم الصَّغائر تارة تكون جغرافيَّة وأُخرىٰ زمانيَّة

إنَّ علوم الصَّغائر ـ الاكوانتم ، والنانو ، والفيمتو ـ تارة تكون جغرافيَّة ، وأُخرىٰ زمانيَّة.

بعد الِالتفات: أَنَّ (علم الفيمتوا) لازال إلى الآن لم يرصد بالأَجهزة المُسلَّحة ؛ ومن ثَمَّ يبقىٰ مُجرَّد نظريَّة علميَّة.

(١) بحار الأَنوار ، ٣: ٥٧ ـ ١٥١ .

(٢) يجدر الِالتفات في المقام إلى الأَمرين التَّاليين :

الأَمر الأَوَّل:

الفارق بين عنوان (الإِكمال) وعنوان (الاتمام)

يوجد هناك إهتمام من قِبَل المدارس البشرية بالوصايا الدينيَّة والشرعيَّة الواردة في دين وشريعة سيِّد الأَنبياء ﷺ بغضّ النَّظر عن مسألة الإِيمان بالآخرة ؛

والنُّكْتَة: أَنَّ تشريعات وحي السَّمآء تغدق على مَنْ يتمسَّك ويعمل بها رغد ورغيد العيش.

وهذا ما تُشير إليه بيانات الوحي ، منها :

بيان قوله جلَّ وعلا: ﴿**الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا**﴾ [المائدة: ٣].

بتقريب: أَنَّ هناك فارقاً جوهريّاً وأَسراراً عقائديَّة وقانونيَّة عجيبة وعظيمة جِدّاً بين معنىٰ وحقيقة عنوان: (الإِكمال) ومعنىٰ وحقيقة عنوان: (الإِتمام) ، حاصله: أَنَّ ←

عنوان وكلمة: (الإكمال) تُطلق لغة ويُراد منها: خروج الشيء من طورٍ نوعيٍّ وماهويٍّ إلى طور نوعيٍّ وماهويٍّ آخر ؛ فيخرج الشيء من ماهيَّة وحقيقةٍ ونوعٍ ويدخل في ماهيَّةٍ وحقيقةٍ أُخرىٰ ونوعٍ آخر. بخلاف عنوان وكلمة: (الإتمام) ؛ فإنَّه لا يحكي عن تَغَيُّر ماهيَّة وحقيقة ونوع الشيء.

مثال الإكمال: تأليف الكُلِّي الطَّبيعي من أَجزائه ، فحقيقة (الماء) ـ مثلاً ـ عبارة عن اِتِّحاد غَازَين ، أَحدهما (الهيدروجين) والآخر (الأُكسجين) ، فإذا اَتَّحدا وانضمّ أَحدهما إلى الآخر خرجت ماهيَّتهما وحقيقتيهما من طور وحقيقة الغازية إلى طور وحقيقة الماء.

مثال آخر للإكمال: مراحل تكوين الجنين المُشار إليها في بيان قوله جلَّ ثناؤه: ﴿**وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ * ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ * ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ**﴾ [المؤمنون: ١٢ـ١٤] ؛ فإنَّها تُخرج الجنين من ماهيَّةٍ وحقيقةٍ وطور نوعيّ وماهويّ إلى ماهيَّةٍ وحقيقةٍ وطور نوعي وماهوي آخر ، فتخرج الجنين من ماهيَّة وحقيقة وطور سلالة الطين وتدخله في ماهيَّة وحقيقة وطور النطفة ، ثُمَّ تخرجه من ماهيَّة وحقيقة وطور النطفة وتُدخله في ماهية وحقيقة وطور العلقة ، ثُمَّ تخرجه من ماهيَّة وحقيقة وطور العلقة وتُدخله في ماهيَّة وحقيقة وطور المضغة ، ثُمَّ تخرجه من ماهيَّة وحقيقة وطور المضغة وتدخله في ماهيَّة وحقيقة وطور العظام واللحم ، ثُمَّ تخرجه من ماهيَّة وحقيقة وطور العظام واللحم وتدخله في ماهيَّة وحقيقة وطور الإنسانية.

مثال الإتمام: تأليف الكُلّ من أَجزائه ؛ كالجدار ، فإنَّه مؤلَّف من لبنات واحجار ، وانضمام بعضها إلى الآخر لا يُغيِّر ماهيَّة السَّابق وحقيقته وطوره النَّوعي ، نعم بانضمام بعضها إلى الآخر يتكوَّن الجدار.

→ **ومنه يتَّضح**: عدم صحَّة التَّعبير عن إتمام البناء بـ: (إكمال البناء) ، والصَّحيح: أَنْ يُعبَّر عنه بـ: (إتمام البناء) ، وكذا لا يصحُّ التَّعبير عن مراحل تكوين الجنين بـ: (إتمام الجنين) ، والصَّحيح: أَنْ يُعبَّر عنها بـ: (إكمال الجنين).

ومن كُلِّ هذا يتَّضح: بيان الآية الكريمة المُتقدِّم في صدر البحث ، الوارد بعد تبليغ بيعة الغدير والإصحار على رؤوس الأَشهاد بولاية أَمير المؤمنين وسائر أَهل البيت (صلوات اللّـه عليهم) ، فولايتهم عليهم السلام ليست إتمام الدِّين ، بل إكمال له وخروجه من طور النُّطفة والإسلام الظَّاهري إلى طور الإيمان والإسلام الواقعي ، وهو طور ونوع آخر وماهيَّة وحقيقة أُخرىٰ.

وإلى هذا تُشير بيانات الوحي الأُخرىٰ ، منها :

بيان قوله جلَّت آلاؤه: ﴿قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِن قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ﴾ [الحجرات: ١٤].

الأَمر الثَّاني:

نُكْتَة اِهتمام أَصحاب المدارس المعرفيَّة البشريَّة بمباحث الطَّبيعيَّات

قد تسأل عن سبب اِهتمام الفلاسفة والمتكلِّمين والعرفاء والصُّوفيَّة بمباحث الجسم والصُّورة وعوالم الجسمانيَّات ، فمع أَنَّها القسم الأَصغر من عَالَم التَّكوين والخلقة والمخلوقات والوجود ـ وغيرها هو الأَعظم هولاً وتكويناً وقدرة وكمالاً ـ ، لكنَّهم خصَّصوا لها ـ تقريباً ـ ثلثي مباحث الأُمور العامَّة (الإلٰهيَّات بالمعنىٰ الأَعم).

والجواب: أَنَّ نُكْتَة ذلك الإهتمام مراعاة لحال الإنسان ؛ فإنَّ إدراك المخلوق لِـمَا هو أَقرب إليه يكون أَوضح لديه.

ثُمَّ إنَّ اتقان هذا المبحث بشكلٍ رياضيّ وهندسيٍّ ضروري جِدّاً. بعد الإلتفات: أَنَّ ظاهره وإنْ كان سهلاً لكنَّ في واقعه زوايا غامضة جِدّاً وصعبة المراس. فالتفت.

٢ـ بيان الإِمام الكاظم[1] عليه السلام: « ... **إِنَّ سليمان بن داود قال لهدهد**

---

(١) لا بأس بالإِلتفات في المقام إِلى القضايا التَّالية :

القضيَّة الأُوْلَىٰ:

تمتُّع أَهل البيت عليهم السلام بصفة (كظم الغيظ)

إِنَّ صفة: (كظم الغيظ) وردت في بيانات الوحي في حقِّ اثنين من أَهل البيت عليهم السلام بصفةٍ خاصَّة: أَمير المؤمنين والإِمام موسىٰ الكاظم عليهما السلام ، أَمَّا سائر أَهل البيت عليهم السلام فإِنَّها تُذكر لهم بصفةٍ جمعيَّة.

فانظر: بيانات الوحي الواردة في حقِّ أَمير المؤمنين عليه السلام ، منها :

بيان زيارته عليه السلام يوم الغدير: «... **وَأَشْهَدُ أَنَّكَ لَمْ تَزَلْ لِلْهَوى مُخالِفاً ، وَلِلتُّقىٰ مُحالِفاً ، وَعَلى كَظْمِ الْغَيْظِ قادِراً ، وَعَنِ النّاسِ عافِياً غافِراً... وَأَنْتَ الْكاظِمُ لِلْغَيْظِ ، وَالْعافي عَنِ النّاسِ ، وَاللّـهُ يُحِبُّ الْـمُـحْسِنينَ...**». بحار الأَنوار ، ٩٧: ٣٦٠ ـ ٣٦٨.

ولاحظ: بيانات الوحي الواردة في حقِّ الإِمام موسىٰ بن جعفر عليهما السلام ، منها :

بيان سيِّد الأَنبياء صلى الله عليه وآله: «... **أَوصيائي من بعدي بعدد نقباء بني إِسرائيل ... فإِذا انقضت مدَّة جعفر قام بالأَمر بعده موسىٰ ويُدعىٰ بالكاظم ...**». بحار الأَنوار ، ٣٦: ٣٠٤ ـ ٣٠٦/ ح١٤٤. كفاية الأَثر: ٨ ـ ٩.

القضيَّة الثَّانية:

في شخصيَّة الإِمام الكاظم عليه السلام جهات ملحميَّة عديدة

تجلَّت في شخصيَّة الإِمام الكاظم صلوات اللّـه عليه جهات ملحميَّة عديدة ، وبيانات أَهل البيت صلوات اللّـه عليهم المستفيضة والموارد التاريخيَّة المنقولة عند الفريقين تُعزِّز: أَن أَمواج أَحداث كانت معتركة في شخصيَّته.

القضيَّة الثَّالثة:

مدرسة أَهل البيت عليهم السلام المُنافِس الوحيد للسلطة والمراقب لها بقدرات وامكانيَّات دولة ←

اعترف المُؤرِّخون والباحثون بأَنَّ السلطة العبَّاسيَّة أَوسع نطاقاً وأَقوىٰ اقتداراً وقوَّة من أَوج السلطة الأَمويَّة مساحة ورقعة وكيفيَّة وجبروتاً وآليَّاتاً.

لكن: في موازاة ذلك قام المنافس الوحيد: نظام مدرسة أَهل البيت صلوات اللّٰه عليهم ؛ فإِنَّ السلطة العباسيَّة لم يكن لها أَيّ منافس ورقيب يتناطح ويتدافع معها بقدر مدرسة أَهل البيت عليهم السلام. وهذه قضيَّة أُخرىٰ وظاهرة ثابتة باعتراف المؤرخين والباحثين ، ولم تنشأ من باب الصدفة.

ثُمَّ إِنَّه بقدر اِتِّسَاع رقعة الدولة الإِسلاميَّة بعد استشهاد سيِّد الأَنبياء صلى الله عليه وآله ، واِتِّسَاع رقعة النظام المُتسلِّط على المسلمين والبلدان الإِسلاميَّة اتَّسعت بموازاة ذلك قدرة نظام مدرسة أَهل البيت عليهم السلام.

إِذَنْ: مدرسة أَهل البيت عليهم السلام هي الفصيل الوحيد المراقب ، والَّذي تتوجَّس منه السلطات خوفاً ورعباً ، والضَّاج لمضاجعها ، والمنافس الرقيب ، صاحب القدرات المتنامية في مدافعة سلطة السقيفة ، وسلطة بني أُميَّة ، وسلطة بني العبَّاس، وصاحب القدرات والإِمكانيَّات والسيطرة على المسلمين وبلدانهم. وهذه الظاهرة لا زالت قائمة إِلى يومنا هذا منذُ بدايات أَيَّام السقيفة.

القضيَّة الرَّابعة:

هارون العبَّاسيّ ورذيلة السَّفاهة

إِنَّ إِطلاق صفة السَّفاهة على هارون العبَّاسيّ ليس من باب التحامل ، وإِنَّما لبيان واقع ؛ فإِنَّه لم يعش حقيقة العلم ، وإِنَّما عاش العنف وسفك الدماء ، وتجنيد العلم لبساط وبلاط جوره ، ولتثبيت وتوسيع قدرته ونفوذه التسلطي الدكتاتوري.

بعد الإِلتفات: أَنَّ العلم إِنْ جُنِّدَ للتسلُّط والدكتاتوريَّة والقدرة الذاتيَّة والإِستبداد فتلك طامَّة كبرىٰ وخطر عظيم ، بخلاف تجنيد القدرة للعلم ففتح عظيم.

وإِلى هذا تشير بيانات الوحي ، منها :

حين فقده وشكَّ في أَمره ... وغضب عليه ... وإِنَّما غضب عليه لأَنَّه كان يدلّه على الماء ، فهذا وهو طير قد أُعطي ما لم يُعطَ سليمان ، وإِنَّما أَراده ليدلّه على الماء ، فهذا لم يُعطَ سليمان ، وكانت المردة له طائعين ، ولم يكن يعرف الماء تحت الهواء ، وكانت الطَّير تعرفه ... »[1].

→ بيان الحديث المشهور عن سيِّد الأَنبياء ﷺ: «**إِذا رأيتم العلماء على أَبواب الملوك فبئس العلماء وبئس الملوك ، وإِذا رأيتم الملوك على أَبواب العلماء فنعم العلماء ونعم الملوك**».

ومن ثَمَّ كيف يُقال عن الدولة العبَّاسيَّة: أَنَّها دولة من العصور الذهبيَّة في الإسلام، وعصرها عصر ذهبيّ في الإسلام وهي تخاف الفكر وتقمعه ، وتُقبع الإِمام الكاظم عليه السلام طوال أَربعة عشر سنة في قعر السجون ، فكفىٰ ضحكاً على ذقون البشر ؛ فإِنَّ تلك آثار هارون وقصوره الَّتي بناها لأَلف ليلة وليلة حمراء والجواري الَّتي يتكنَّس بها على الحدود العراقيَّة السوريَّة في منطقة الرقَّة لا زالت آثارها وآثار اللعب والدف والهوس والهلوسة والنزوات الخسيسة إلى الآن موجودة.

القضيَّة الخامسة:

عهد أَمير المؤمنين عليه السلام لمالك بيان لخارطة مستقبليَّة لإدارة وتنمية حضارة البشر

إِنَّ أَمير المؤمنين صلوات اللّـه عليه بيَّن في عهده لمالك الأشتر رحمه الله: كيفيَّة اللولب النسقي بين وظائف وأجنحة وأَعضاء الدولة.

وبعدما يقرب من أَلف وأَربعمائة عام أَبصرت نخب البشر لما يقرب من مئتي دولة في الأُمم المُتَّحدة: أَنَّ في هذا العهد خارطة مستقبليَّة وكفوءة لإِدارة تنمية حضارة البشر. وهذا يُدلِّل ـ بعدما وصلت عقليَّة البشر في العصر الراهن في كيفيَّة إِدارة الدولة إِلى الحكومة الالكترونيَّة ، وهي أَحد آليَّات الإِنسيابيَّة ـ على أَنَّ ما ذكره صلوات اللّـه عليه في هذا العهد معادلات جبَّارة.

(١) بحار الأَنوار ، ٢٦: ١٦١/ ح٧. بصائر الدرجات: ١٤ ـ ١٥.

ودلالتها واضحة.

٣ـ إِنَّ اللّـه (جلَّ قدسه) قد أَعطىٰ (الغراب) علم البلاء دون علم النَّعيم، ومن ثَمَّ يزعق ما أَنْ يعلم ببليَّة.

وهذا ما تُشير إِليه بيانات الوحي، منها:

بيان الإِمام الصَّادق عليه السلام، عن عبد اللّـه بن فرقد، قال: «خرجنا مع أَبي عبداللّـه عليه السلام متوجِّهين إِلى مكَّة؛ حتَّىٰ إِذا كُنَّا بسرف استقبله غراب ينعق في وجهه، فقال: **مت جوعاً، ما تعلم شيئاً إِلَّا ونحن نعلمه، إِلَّا أَنا أَعلم باللّـه منكَ**، فقلنا: هل كان في وجهه شيء؟ قال: **نعم، سقطت ناقة بعرفات**»[1].

بل ورد في محلِّه: أَنَّ صنفاً من الكلاب يشمّ الرائحة على بُعد (٥٠٠كم)، وتمتاز الكلاب البريَّة بحاسَّة الشُّعور بالخطر، وعندما تشعر بقدومه تبدأ بالنِّباح؛ منذرة غيرها من الحيوانات.

وغير ذلك الكثير، كما هو مسطور في محلِّه؛ من الأُمور الَّتي لا يتمتَّع بها جسم الإِنسان وحسِّه وخياله[2].

---

(١) بحار الأَنوار، ٤٧: ٨٥/ ح٨١. بصائر الدَّرجات/ ب: ١٤: ٩٩.

(٢) لا بأس بالإِلتفات في المقام إِلى الأُمور التالية:

الأَمر الأَوَّل:

للحيوانات أَحاسيس وعواطف

إِنَّ للحيوانات أَحاسيس وعواطف وشيئاً من الذَّاكرة، لكن ليست لديها قوَّة فكريَّة جيِّدة. ←

ومن ثَمَّ لو عُرِّفَت حقيقة الإِنسان بـ: أَنَّه (جسم مركَّب من أَعضاء ، نامٍ ، حسَّاس ، مُتحرِّك بالإِرادة) فهذا لا يُميِّزه عن الحيوانات ؛ فإِنَّها أَيضاً صاحبة أَجسام مركَّبة من أَعضاء نامية ، وحسَّاسة ، ومُتحرِّكة بالإِرادة ، ولها مقدار من الإِدراك.

المثال الثَّالث: بيان قوله جلَّ ذكره: ﴿وَمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾[1].

ودلالته قد اتَّضحت ؛ فإِنَّه دالٌّ على أَنَّ حقيقة الدُّنيا وغايتها وكمالها الأَخير ليس في هذه النشأة ، بل في الآخرة الأَبديَّة ، وهذه النشأة مبدأ

← **الأَمر الثَّاني:**

إِحاطة الوحي بالحسِّ

إِنَّ إِحاطة الوحي الإِلٰهيّ بالحسِّ وعالمه أَعظم من دون قياس من إِحاطة الحسِّ وعالمه بنفسه ، بل وأَعظم ومن دون قياس أَيضاً من إِحاطة العقل وعالمه بالحسِّ وعالمه.

الأَمر الثَّالث:

الخيال مُتَّصل ومنفصل

المراد من قوَّة الخيال أَو المُخيِّلة لدىٰ الإِنسان: جسم مقداري شفاف ، وانعكاس نور ، وله حقيقة فيزيائيَّة مُعيَّنة ، مغروزة في دخيلة ذات الإِنسان.

ويُعبَّر عن قوَّة الخيال هذه بـ: (الخيال المُتَّصل) ، لكونها إِحدىٰ قوىٰ الإِنسان المُتَّصلة بجوهره ، وبوابته على عَالَم الخيال المُنفصل ، ويُسمَّىٰ بعَالَم المثال أَيضاً وبعالم البرزخ كذلك ، وهو على طبقات وأَقسام وأَنواع.

(١) العنكبوت: ٦٤.

ومنطلق وآلة لحصول تلك الغايات والكمالات.

المثال الرَّابع: بيان قوله جلَّ وعلا: ﴿**وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا**﴾[1].

وليس المراد من إِحياء النَّفس[2] هنا إِحياء البدن الجسمانيّ الغليظ ، ولا بدن النَّفس اللَّطيفة أَو بشرة بدن النَّفس أَو هندامها أَو أَناقتها ، فإِنَّ كلّ هذه الأُمور والحقائق مبادئ ، وإِنَّما المراد: إِحياؤها المعنوي والرُّوحي ، وبغاياتها المُتمثِّلة بكمالها العقلي[3] والقلبي.

---

(١) المائدة: ٣٢.

(٢) يجدر الِالتفات: أَنَّ للإِنسان جوهر عقليّ ، وفعل عقليّ ، وعرض عقليّ.
وله ميثاق عقليّ ، وميثاق نوريّ ؛ أَي: له فطرة عقليَّة ، وفطرة نوريَّة.

(٣) لا بأس بالِالتفات في المقام إِلى الأُمور التَّالية:

الأَمر الأَوَّل:

وصف النَّفس بعنوان (الجهل)

إِنَّ النَّفس توصف بعنوان: (الجهل) ، وذلك إِذا كانت غير مُسَخِّرة وغير منقادة للعقل ، وإِلَّا فلا توصف بذلك.

الأَمر الثَّاني:

خطورة حديث (جُنْد العقل والجهل) للإِمام الصَّادق عليه السلام

إِنَّ فقرات بيان الإِمام الصَّادق عليه السلام في حديث: (جُند العقل والجهل) عبارة عن بيانات لأُسس التَّشريع الإِسلامي ، وبيانات لمقاصد الشَّريعة ، وبيانات الأُسس عامَّة في المعرفة الدِّينية المرتبطة بفصل النُّبوَّة والإِمامة ، والمرتبطة بارتباط فقه الفروع بفقه العقائد. ←

المثال الخامس: ما ورد في بيان أَهل البيت (صلوات اللّـه عليهم): «**أَنَّ العرب شيعتنا ، وسائر النَّاس علج**» [١].

وبيان الإِمام الصَّادق عليه السلام: « ... **إِنَّ العرب لا تبغض عليّاً** ...»[٢].

فإِنّ المراد من لفظ وكلمة: (العرب) ليس المصاديق الخارجيَّة المعهودة

← **الأَمر الثَّالث:**

قراءة قوىٰ النَّفس لقواها الأُخرىٰ

يمكن لقوىٰ النَّفس الإِنسانيَّة قراءة بعضها للغة البعض الآخر.

الأَمر الرَّابع:

مسؤوليَّات النَّفس الكُلِّيَّة

إِنَّ للنَّفس الكُليَّة شؤوناً وشجوناً كثيرة ، وطبيعة إِدارة السَّمآء والمجرَّات والأَحوال الفيزيائيَّة وجملة الكائنات تحتاج إِلى نفس مترامية الشؤون ، خازنة وحافظة للمعلومات المفاضة من العقول.

الأَمر الخامس:

النيَّة روح العمل

إِنَّ ما ورد في بيان سيِّد الأَنبياء صلى الله عليه وآله: «**إِنَّما الأَعمال بالنيَّات** ...». بحار الأَنوار ، ٦٧: ٢١١/ح٣٥.

برهانٌ وحيانيٌّ دالٌّ على أَنَّ مركز ومدار وقيمة وتقييم درجة العمل إِنَّما يكون بالنيَّة ، فالنيَّة بمثابة روح العمل ، ونوع محبَّة ومودَّة وارتباط وتولِّي وانقياد وخشوع وخضوع ، فإِذا كانت للّـه كان القلب بيتاً للرحمٰن ، وبالتَّالي لا يدخله الشَّيطان.

(١) بحار الأنوار ، ٧: ٢٣٩.

(٢) المصدر نفسه ، ٨: ٢٢/ح١٦. ثواب الأعمال: ٢٠٢. المحاسن: ٨٩ ـ ٩٠.

، وأَصحاب القوميَّة المعروفة ، وإِنَّما غاية ومآل وحقيقة هذا اللفظ والعنوان ، وهي: التمام والكمال ، والخلوّ من كلِّ عيب ونقص ؛ فكُلُّ مخلوق تامّ وكامل ، وخالي من العيب والنَّقص لا يبغض أَهل البيت (صلوات اللّـه عليهم) ، بل يحبُّهم ويواليهم ومن أَشياعهم.

ومنه يتَّضح: بيان قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾[1] وبيان قوله تقدَّس ذكره: ﴿قُرْآنًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾[2]. أي قرآناً تامّاً كاملاً خالياً من النَّقص والعيب.

وهكذا تتَّضح: كلمة (عُرُباً) الواردة في بيان قوله جلَّ قدسه كوصف للحور العين: ﴿إِنَّا أَنشَأْنَاهُنَّ إِنشَاءً * فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَارًا * عُرُبًا أَتْرَابًا﴾[3]. أَي: تامَّات وكاملات وخاليات من كُلِّ عيب ونقص.

عصارة القول

والخلاصة: أَنَّه لا محيص عن هذه القاعدة في استنطاق بيانات الوحي الإِلٰهي وبيانات العقل في مطلق أَبواب المعارف.

---

(١) يوسف: ٢.

(٢) الزمر: ٢٨.

(٣) الواقعة: ٣٥ـ٣٧.

قضايا خمس

ومن كلِّ ما تقدَّم نجمت القضايا الخمس التَّالية:

القضيَّة الأُولى:

الفارق بين استعمالات فقه الشريعة وفقه الدِّين

إِنَّ اِستعمالات الوحي الواردة في أَبواب المعارف ليست على نسق اِستعمالاته في باب الفروع ؛ لأَنَّ معاني الأَوَّل كمعارفه لا تختصُّ بالنشأة الأَرضيَّة ، بل شاملة لمطلق العوالم والنَّشَآت. بخلاف الثاني ؛ فإِنَّه غالباً ما يختصُّ بهذه النَّشْأة.

وهذا يرسم فارقاً مُهمّاً في الاِستعمالات اللُّغويَّة الواردة في بيانات الوحي بين فقه المعارف وفقه الفروع.

وهذا مؤيِّد ومُؤكِّدة لصحَّة القاعدة اللُّغويَّة المختارة ـ (خذ الغايات واترك المبادئ) ـ ؛ لأنَّ أَبواب المعارف ـ كهذه القاعدة ـ شاملة لمطلق العوالم سواء أَكانت قبل هذه النشأة ـ كعالم: الذر والميثاق[1] .....

---

(١) ينبغي صرف النَّظر في المقام إِلى الأُمور التَّالية :

الأَمر الأَوَّل:

عوالم الذَّرّ جسمانيَّة بالجملة وعوالم الميثاق عوالم جسمانيَّة في الجملة

إِنَّ عوالم الذَّرّ عوالم جسمانيَّة لطيفة.

نعم ، ليس بالضَّرورة أَنْ تكون عوالم الميثاق جسمانيَّة أَيضاً وإِنْ كانت مثاليَّة.

الأَمر الثَّاني:

الذَّرُّ مادَّة جسمانيَّة أَسبق من مادَّة النُّطفة

←

والأَظلَّة[1] .....

← يجد المُتَصفِّح لبيانات الوحي المُتعرِّضة لعَالَمَ الذَّرّ: أَنَّ (الذَّرّ) مادَّة جسمانيَّة إِنسانيَّة أَسبق وأَشَفّ من مادَّة النُّطفة.

الأَمر الثَّالث:

الذَّرُّ عَوالِـم

الوارد في بيانات أَهل البيت (صلوات اللّـه عليهم): أَنَّ هناك ذرّاً أَوَّل وذرّاً ثاني.

الأَمر الرَّابع:

تسميات عَالَمَ الذَّرّ والميثاق الأَوَّل

يُسمَّىٰ عالم الذَّرّ الأَوَّل وعَالَمَ الميثاق في بيانات الوحي وأَبواب المعارف بأَسمآء أُخرىٰ، منها: (عَالَمَ الطينة)، و(عَالَمَ الأَظلَّة)، و(عَالَمَ الأَشباح).

الأَمر الخامس:

ميثاق عقليّ ونوريّ

إِنَّه أُخذ على الإِنسان في بداية الخلقة والعوالم السَّالفة والصَّاعدة ميثاق عقليّ وآخر نوريّ.

وبعبارة أُخرىٰ: أَنَّ ذات الإِنسان محكومة بفطرة عقليَّة وفطرة نوريَّة.

(١) يجدر الإِلتفات في المقام إِلى القضايا التَّالية :

القضيَّة الأُوْلَىٰ:

حقيقة جسم (عَالَمَ الأَظلَّة)

إِنَّ جسم (عَالَمَ الأَظلَّة): جسم ظلِّـيٌّ للجسم الدُّنيوي الأَرضي الغليظ وعلى مثاله، وهو جسم نورانيٌّ أَعظم قوَّة وقدرة ونورانيَّة من الجسم البرزخي فضلاً عن الجسم الدُّنيوي الأَرضي الغليظ.

القضيَّة الثَّانية:

(عَالَمَ الأَظلَّة) من العوالم الروحانيَّة ←

....والأشباح[١] ، والأَصلاب ، والأَرحام ـ أَم في هذه النشأة أَم بعدها ـ كعالم: البرزخ[٢] ، والرَّجعة ، والقيامة ، والآخرة الأَبديَّة ، وبعدها ـ .

وعليه: لابُدَّ من اِختلاف ضوابط الاِستعمالات والظُّهورات في أَبواب المعارف عن ضوابطها في باب الفروع ؛ وذلك بحكم اِختلاف موضوع البحث.

لكن: هناك رهط من الأُمَّة ، ضرب الله بينهم وبين الحقِّ بسورٍ ظاهره الرَّحمة وباطنه العذاب ، لم يراعوا هذه الضابطة ؛ فوقعوا بين إفراط وتفريط.

فمنهم مَنْ لم يُحَكِّم هذه القاعدة في أَبواب المعارف ، ومن ثَمَّ وسَّعَ حُكم الماديَّات والنشأة الأَرضيَّة إِلى العَالَمَ الربوبي وعَالَمَ النُّور والملائكة.

ومنهم ـ كبعض العرفاء والصوفيَّة وأَصحاب الفرق الباطنيَّة ـ حَكَّمَ

→ إِنَّ (عَالَمَ الأَظلَّة) ـ والَّذي وردت فيه بيانات وحيانيَّة متواترة ـ: عَالَمَ روحيٌّ ، خلافاً لِـمَا ذهبت إِليه الفرق الباطنيَّة المُنحرفة والإِسماعيليَّة وبعض الصُّوفيَّة.

القضيَّة الثَّالثة:

(عَالَمَ الأَظلَّة) يتحكَّم في الأَرواح

إِنَّ (عَالَمَ الأَظلَّة) دون العرش ، وهو العَالَمَ الَّذي يتحكَّم في أَرواح الشَّخص الواحد.

(١) إِنَّ (عَالَمَ الأَشباح) من العوالم الروحانيَّة ، وهو فوق عَالَمَ الآخرة الأَبديَّة ودون العرش ، بل ودون عَالَمَ الأَظلَّة.

(٢) يُعبّر ـ في أَبواب المعارف ـ عن الجسم البرزخي بـ: (الجسم المثالي).

العكس في فقه الفروع ، وقال: إِنَّه ناظر حصراً إِلى الباطن والنشأة الخفيَّة والغيبيَّة ، وليس بناظر إِلى المصاديق والنشأة الماديَّة. **مثاله**: ماهيَّة الصَّلاة وحقيقتها ؛ فإِنَّها ليست ما هو معهود من أَجزاء وشرائط ، بل غايتها ، وهي: ذكر الله سبحانه وتعالى. وماهيَّة الصُّوم وحقيقته ؛ فإِنَّها ليست ما هو معهود ، وإِنَّما: الإِعراض عمَّا عدا الله ﷻ ؛ وإِن اِرْتَكَبَ الصائم المفطِّرات المعهودة. وماهيَّة الحَجِّ وحقيقته ؛ فإِنَّها ليست ما هو معهود ، وإِنَّما: التوجُّه إِلى كعبة القلوب: (الذَّات المقدَّسة) وإِنْ لَمْ تُقصد الديار المُقدَّسة ؛ ولم يُؤتَ بأفعال الحجِّ خارجاً. وإِنَّ قوله تعالىٰ: ﴿**وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ**﴾[1] دليل على ذلك ؛ وأَنَّ غاية العبادة: (اليقين) ، فإذا حصل اِنتفت الغاية ، فلا عبادة .

وهي كما ترى تخطب على نفسها ؛ بأَنَّ أَصحابها عملوا بالشُّبهات ، وساروا في الشَّهوات ، فخالفوا ما أَنجبته بيانات الوحي الشريف ، وطاهر كلماته ، منها:

١ـ بيان الإمام الصَّادق عليه السلام ، عن الهيثم التميميّ ، قال: «قال **أَبو عبداللَّـه عليه السلام: يا هيثم التميميّ ، إِنَّ قوماً آمنوا بالظَّاهر وكفروا بالباطن فلم ينفعهم شيء ، وجاء قوم من بعدهم فآمنوا بالباطن وكفروا بالظَّاهر فلم ينفعهم ذلك شيئاً ، ولا إِيمان بظاهر إِلَّا بباطن ، ولا بباطن إِلَّا بظاهر**»[2].

---

(١) الحجرات: ٩٩ .

(٢) بصائر الدرجات ، ٢: ٥١٨/ ح١٨٩٦ ــ ٥ .

٢ـ بيانه عليه السلام أَيضاً ، عن المفضَّل: «**أَنَّه كَتَبَ إِلى أَبي عبد الله** عليه السلام ، **فجاءه هذا الجواب مِنْ أَبي عبد الله** عليه السلام: ... **كتبتَ تَذْكُر: أَنَّ قُوماً أَنَا أَعرفهم كان أَعجبك نحوهم وشأنهم ، وأَنَّكَ أُبْلِغْتَ عنهم أُموراً تُرْوَى عنهم كرهتها لهم ، ولَمْ تَرَ بهم إِلَّا طريقاً**[1] **حسناً وورعاً وتخشّعاً ، وبَلَغَكَ أَنَّهم يزعمون أَنَّ الدِّين إِنَّما هو معرفة الرِّجال ، ثُمَّ بعد ذلك إِذا عرفتهم فاعمل ما شئتَ ... وَذَكَرْتَ: أَنَّه بلغكَ أَنَّهم يزعمون أَنَّ الصَّلاة والزَّكاة وصوم شهر رمضان والحجّ والعمرة والمسجد الحرام ، والبيت الحرام والمشعر الحرام والشهر الحرام هو رَجُل**[2] **، وأَنَّ الطهر والإِغتسال من الجنابة هو رَجُل ، وكلُّ فريضة افترضها الله على عباده هو رَجُل**[3] **، وأَنَّهم ذكروا ذلك بزعمهم: أَنَّ مَنْ عرف ذلك الرَّجُل فقد اكتفى بعلمه به من غير عمل ، وقد صَلَّـى وآتى الزَّكاة وصام وحجَّ واعتمر واغتسل من الجنابة وتطهَّر وعظَّم حرمات الله والشَّهر الحرام والمسجد الحرام**[4] **، وأَنَّهم ذكروا: أَنّ من عرف هذا بعينه وبحدِّه ، وثبت في قلبه جاز له أَنْ يتهاون ، فليس له أَنْ يجتهد في العمل ، وزعموا أَنَّهم إِذا عرفوا ذلك الرَّجُل فقد قُبِلَت منهم هذه الحدود لوقتها وإِنْ لم يعملوا بها ... ويزعمون أَنَّ لهذا ظَهْرَاً وبَطْناً يعرفونه ، فالظَّاهر ما يتناهون عنه يأخذون به مدافعة عنهم ، والباطن هو**

---

(١) خ . ل: (إِلَّا هدياً حسناً).

(٢) في المختصر: (هم رجال).

(٣) في المختصر: (فهي رجال).

(٤) في المختصر: (والمسجد الحرام ، والبيت الحرام).

الَّذي يطلبون ، وبه أُمروا بزعمهم ... وأَنا أُبيِّنه حتَّى لا تكون من ذلك في عمى ولا شُبْهَة ... أُخبرك أَنَّه مَنْ كان يدين بهذه الصِّفة الَّتي كَتَبْتَ تسألني عنها فهو مشرك بالله تباك وتعالى ، بيّن الشّرك لا شَكّ فيه ، وأُخبرك أَنَّ هذا القول كان من قوم سمعوا ما لم يعقلوه عن أَهله ، ولم يعطوا فَهْمَ ذلك ، ولم يعرفوا حدّ ما سمعوا ، فوضعوا حدود تلك الأَشياء مقايسة برأيهم ومنتهى عقولهم ، ولم يضعوها على حدود ما أُمروا كذباً وافتراء على الله ورسوله ، وجرأة على المعاصي ، فكفى بهذا لهم جهلاً ... ومَنْ أَطاع حرَّم الحرام ظاهره وباطنه ، ولا يكون تحريم الباطن واستحلال الظَّاهر ، إِنَّما حرَّم الظَّاهر بالباطن ، والباطن بالظَّاهر معاً جميعاً ، ولا يكون الأَصل والفروع وباطن الحرام حرام وظاهره حلال ، ولا يحرّم الباطن ويستحلّ الظَّاهر ، وكذلك لا يستقيم أَن يعرف صلاة الباطن ولا يعرف صلاة الظَّاهر ، ولا الزَّكاة ولا الصوم ولا الحجّ ولا العمرة ولا المسجد الحرام وجميع حرمات الله وشعائره وأَنْ يترك معرفة الباطن ؛ لأَنَّ باطنه ظهره ، ولا يستقيم إِنْ ترك واحدة منها إِذا كان الباطن حراماً خبيثاً فالظَّاهر منه إِنَّما يشبه الباطن ، فمن زعم أَنَّ ذلك إِنَّما هي المعرفة وأَنَّه إذا عرف اكتفى بغير طاعة فقد كذب وأَشرك ذاك لم يعرف ولم يطع ، وإِنَّما قيل: « اعرف واعمل ما شئت من الخير » ...»[1].

ودلالته ـ كدلالة سابقه ـ واضحة.

وبالجملة: فإِنَّ المعنىٰ المراد من لفظ (الظَّاهر) في قاموس الدِّين:

---

(١) بحار الأَنوار ، ٢٤: ٢٨٦/ ح١ .

شريعة ، فإذا لم يُتَّبع لم يلج المخلوق في الدِّين والباطن.

وسبب هذا الإنحراف: التَّطبيق الخاطئ لقاعدة: (خذ الغايات واترك المبادئ) في باب فقه الفروع ؛ فإنَّ حقيقة هذه القاعدة تتوخَّى عدم حصر الوضع في المبادئ ، بل يشمل الغايات ، وليس معناها نسف المبادئ.

إِذَنْ: على الباحث الإلتفات بدقَّة إلى موارد تطبيق هذه القاعدة.

القضيَّة الثَّانية:

لا تَلازُمَ في المعارف بين الحقيقة اللُّغويَّة والعقليَّة

إنَّه لا تَلازُمَ في أَبواب المعارف بين الحقيقة اللُّغويَّة والحقيقة العقليَّة ؛ فإنَّ اللفظ إنْ أُستُعْمِل في ما وضع له كان إستعمالاً حقيقياً لغة ، لكنَّه إنْ أُسند المصداق ـ والحال هذه ـ إلى غير ما هو له تكويناً كان مجازاً عقليّاً[1].

وَمِنْ ثَمَّ تكون أَبواب المعارف غير قائمة على الحقائق اللُّغويَّة فحسب، بل وعلى الحقيقة العقليَّة ، وهي الأَهمُّ.

وهذا أَمر بالغ الخطورة والثَّمرة في أَبواب المعارف الدِّينيَّة.

---

(١) المصاديق المستعملة في دار الدُّنيا دائماً مجازات عقليَّة وإنْ لم تكن مجازات لُغويَّة.

القضيَّة الثَّالثة:

السيادة في أَبواب المعارف للحقيقة العقليَّة

إنَّ أَبواب المعارف غير قائمةٍ على المجهر الحسيِّ فحسب، بل قائمة أَيضاً على المجهر العقلي، والَّذي هو عين مُسَلَّحة، تثقب وتتجاوز عوالم خطيرة ومهولة جِدّاً، بل ينبغي أَن تسود فيها[1] لغة الحقيقة العقليَّة؛ لأَنَّها أَوسع باعاً وأَخطر مدى ـ من دون قياس ـ من الحقيقة التَّكوينيَّة الخارجيَّة الحسيَّة.

القضيَّة الرَّابعة:

الاِرتياض في اِقتناص غاية المعنى

إنَّه ينبغي للباحث في أَبواب المعارف: تدريب فكره وترويضه ـ من خلال الضوابط والموازين العلميَّة ـ على اقتناص روح وغاية كلّ معنى يواجهه، وحينئذٍ تنفتق له أبوابٌ وأَسرارٌ مُهمَّة وخطيرة جِدّاً؛ لأَنَّه كلَّما لطف حسِّ المخلوق وأَدْرَكَ روح المعنى وغايته وكمالاته كُلَّما قويت معرفته.

القضيَّة الخامسة:

الاِعتبار وغفلة الحقيقة

هناك مبحث لطالما أُكِّد عليه في أَبواب المعارف، حاصله: «أَنَّ مصاديق المعاني الَّتي يتعاطاها أَهل الدُّنيا غالباً ما تكون اِعتباريَّة ومجازيَّة، ويعيشون حالة الغفلة عن الحقيقيَّة منها، والحال أَنَّ عَالَم الاِعتبار مهدٌ

---

(١) مرجع الضمير: (أَبواب المعارف).

تربويٌّ تُستفاق من خلاله الحقائق».

فالملكيَّة وما شاكلها من أَبواب المعاملات ، بل عامَّة فقه الفروع والأَسماء والأَقوال والكلمات والأَدبيَّات الفقهيَّة والقانونيَّة ، بل وغيرها الَّتي يُتعاطى بها في عالم الدُّنيا أُمورٌ اعتباريَّة لما وراءها من حقائق.

وخذ على ذلك المثال التَّالي: (الرِّفعة) و(العِزَّة)[1] ؛ فبحسب ما يتصوَّره ويتخيَّلَه أَرباب الهوى وأَبناء الدُّنيا: أَنَّهما يحصلان بكثرة: الأَولاد ، والأَتباع ، والأَموال ، والجاه ، والمظهر الخارجي الـمُمِيِّز.

---

(١) يجدر صرف النَّظر في المقام إِلى القضيَّتين التَّاليتين :

القضيَّة الأُوْلَىٰ:

تداخل بين عناوين الفضائل والكمالات وأَضدادها

يوجد غالباً بين عناوين الفضائل والكمالات ـ كالخضوع لِلّٰـه ولأَوليائه ـ وبين أَضدادها من عناوين الرذائل ـ كالذلِّ لغير اللّٰـه ولغير أَوليائه ـ تداخل وتشابه واشتباه.

القضيَّة الثَّانية:

اِبْهَام في المباحث النَّظريَّة في علم الأَخلاق

اِنعكاس المنظومة الأَخلاقيَّة على التَّشريعات القانونيَّة والحقوقيَّة

إِنَّ كثير من المباحث النَّظريَّة في علم الأَخلاق مُجملة ومُبهمة ، وليست معروفة في الأَوساط العلميَّة فضلاً عن غيرها. بعد الِالتفات: أَنَّ المنظومة الأَخلاقيَّة: أَرضيَّة لفلسفة: القانون والحقوق ، ومن ثَمَّ وقع اختلاف كثير ـ نتيجة عدم إِلمام المُشرِّع للقوانين والحقوق الوضعيَّة بالمنظومة الأَخلاقيَّة ـ بين نفس مُشرِّعي القوانين الوضعيَّة ، بل وبين نفس مُشرِّعي الحقوق الوضعيَّة ؛ وذلك بسبب اختلافهم في فلسفة قوانين المنظومة الأَخلاقيَّة والتَّنظير الأَخلاقي.

فلاحظ: ما أَشارت إِليه بيانات الوحي ، منها:

أَوَّلاً: بيان قوله تعالى: ﴿فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾(١).

ثانياً: بيان قوله تقدَّس ذكره: ﴿وَكَانَ لَهُ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا﴾(٢).

ومن ثَمَّ كان الظَّالم هو الأَعزُّ بحسب المحاسبات الدُّنيويَّة ؛ فيُحسب أَنَّ الرفعة والعزَّة تتمُّ من خلال: سفك الدِّماء وهتك الأَعراض ونهب الأَموال ، لكنَّ: واقعهما أَنَّهما: للَّـه ، ولرسوله صلى الله عليه وآله ، ولسائر أَهل البيت الأَطهار عليهم السلام.

فانظر: ما أَشارت إِليه بيانات الوحي ، منها:

١ـ بيان قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (٣).

٢ـ بيان قوله جلَّ قدسه: ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا﴾(٤).

---

(١) القصص: ٧٩.
(٢) الكهف: ٣٤.
(٣) المُنَافِقُون: ٨.
(٤) الفرقان: ٢٧.

وبالجملة: المشهد الحقيقي الَّذي يعيشه البشر في عالم الدُّنيا عبارة عن مسرحيَّات تمثيليَّة لما وراء ذلك من حقائق ، وهذا أَحد تفاسير:

أَوَّلاً: بيان قوله تعالى: ﴿فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾(١).

ثانياً: بيان قوله تقدَّس ذكره: ﴿اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾(٢).

ثُمَّ إِنَّ لغة الِاعتبار وإِنْ أُخذت في أَبواب فقه الفروع كطريق موصل للحقائق ، لكنَّها لم تُؤخذ كذلك في غيرها من أَبواب فقه المعارف والعقائد ، فإِنَّ الحاكم فيها لغة الحقائق ، وهذه توصية وقاعدة مُهمَّة ، وقاموس وناموس مطَّرد ، وأَصل أَصيل لابُدَّ من ضرورة مراعاته ، لكنَّه يُغفل عنه عادةً ، ومِنْ ثَمَّ ورد بيان سيِّد الأَنبياء ﷺ: «**النَّاس نيام فإِذا ماتوا انتبهوا**»(٣) ، فنفس ما يحسبه الإنسان يقظة في عالم الدُّنيا رقدة ونومة عميقة وسكرة عن الحقيقة ، **نظيرها**: رؤى المنامات ، فإِنَّ صاحبها يأخذها حال نومه مأخذ الجدِّ والحقيقة ، فيُصيبه الجَذَل والبهجة ويبكي سروراً إِنْ كانت زاهرة ، ويصيبه السدم والوجل والوهل ، وترتعد فرائصه ويحصل له: البكاء والشهيق والزفير والحركات البدنيَّة إِن كانت سيِّئة ، غير أَنَّه سرعان ما

---

(١) قَ: ٢٢.

(٢) الحديد: ٢٠.

(٣) بحار الأَنوار ، ٥٠: ١٣٤ .

تنكشف له الحقيقة بعد ما يستفيق ليجدها كرماد تذروه الرِّياح ، ليس لها عين ولا أَثر.

فعلى اللبيب أَنْ يكون ذا عينين ، ويُشمِّر عن ساق الجدِّ والِاجتهاد ليتخلَّص من هذه الرَّقدة والسكرة ؛ ليفوز بالحسنيين قبل الفوات.

وهذا ما دعت إِليه بيانات الوحي ، منها:

بيان سيِّد الأَنبياء صلى الله عليه وآله: «**موتوا قبل أنْ تموتوا**»[١].

والتخلُّص من ذلك وإِنْ كانت فيه حزازة ومرارة لكنَّهما[٢] حلم ، يجد لذَّته[٣] بعد اِنكشاف الحقيقة.

فلاحظ:

بيان سيِّد الشهداء عليه السلام [٤]: «... **الدُّنيا حلوها ومرّها حلمٌ والإنتباه في**

---

(١) بحار الأَنوار ، ٦٩: ٥٩ .

(٢) مرجع الضمير: الـ (حزازة) والـ (مرارة).

(٣) مرجع الضمير: (التخلُّص).

(٤) يجدر الِالتفات في المقام إِلى الأُمور التَّالية :

الأَمر الأَوَّل:

لسيِّد الشُّهداء عليه السلام خصائص تفرَّد بها

إِنَّ لسيِّد الشُّهداء عليه السلام خصائص تفرَّد بها من بين أَئِمَّة أَهل البيت عليهم السلام ، منها: أَنَّ له سؤدد وهيبة تأتي بعد سؤدد وهيبة سيِّد الأَنبياء وأَمير المؤمنين (صلوات اللّـه عليهم وعلى آلهم) ، ومن ثَمَّ لم يقتله فردٌ ولا مجموعة ، بل جيش ، ولم يُقتل مباغتة ←

ولا علانيَّة بالمبارزة ، وإِنَّما من بعيد ؛ فقد اِجتمع عليه أَهل الكوفة وأَحاطوا به ، واَفترقوا عليه أَربع فِرَق من جهاته الأَربع: فِرْقَة بالسيوف ، وهم الأَدنون منه (صلوات اللّـه عليه). وفِرْقَة بالرماح ، وهم الجوالة حوله. وفِرْقَة بالنِّبَال ، وهم الرُّمَاة من أَعالي التلال. وفِرْقَة بالخشب والعصا والحجارة ، وهم الرَّجَّالة المنبثَّة حوالي الخيَّالة. واثخنوا جثمانه (صلوات اللّـه عليه) بالجراح الدامية ، وأَكثرها في مقاديمه حتَّىٰ قطَّعوه إِرْبَةً إِرْبَةً.

وهذه سُنَّة إِلٰهيَّة وناموس إِلٰهيّ.

وقد ورث (صلوات اللّـه عليه) بالوراثة الاِصطفائيَّة شجاعة وجرأة جَدِّه صلى الله عليه وآله.

الأَمر الثَّاني:

اِصرار سيِّد الشُّهداء عليه السلام على مشروعه مع تخاذل الأُمَّة واِنكفائها عن تحمُّل المسؤوليَّة

حسّ تحمُّل المسؤوليَّة درس خطير تحتاجه الأُمَّة

سفك الدِّماء وسلب الأَموال وما شاكلها ضرائب لتحمُّل المسؤوليَّة

تحمُّل المسؤوليَّة أَحد المعاني الأَساسيَّة للدِّين

هناك صفحة عظيمة ومُهمَّة جِدّاً ومشرقة ؛ ومن الملاحم البديعة في شخصيَّة سيِّد الشُّهداء (صلوات اللّـه عليه) ، ونبض حيّ في حياته عليه السلام ، ومشهد بديع صاحبه من المدينة المُنوَّرة إِلى كربلاء المُقدَّسة عِبر مَكَّة المُكَرَّمة ، لم تُسلَّط عليه الأَضواء ، حاصله: أَنَّه خلال مسيرته (صلوات اللّـه عليه) إِلى كربلاء واجه تخاذل من الأُمَّة ، بل وتخاذل نخبها وروَّادها ، وتقاعس عجيب وغريب ، واِنْكِفَاء عن تحمُّل المسؤوليَّة ، ولزموا جانب التَّفَرُّج ، وكانت الأوراق تتساقط عن نصرته وعونه بعضها تلو الأُخرىٰ ، ونُكِثَتْ معه العهود والمواثيق ، لكنَّه (صلوات اللّـه عليه) بقي جبلاً فنداً وحجراً صَلْداً ، مُصرّاً على القيام بالمسؤوليَّة وإِنْ بقي وحيداً ،

ونكص القوم كأَنَّهم لم يسمعوا ، وتناسوا وكأَنَّهم لم يعوا ، قد ضرب اللّـه بينهم وبين الحقّ بسور ظاهره الرَّحمة وباطنه العذاب والنقمة ، بعدما ملكت سجايا الحيوانيَّة أعِنَّة نفوسهم ، وأَفْسَدَت ضواري الشَّهوات قلوبهم ، وسيطرت مخازي العبوديَّة على طبائعهم ؛ فعميت بصائرهم ، وتاهت أَفكارهم ، وسفهت أَحلامهم، وغشي الظَّلام الضِّياء ، وسينجلي لهم القسطل ، ويجنون ثمر فعلهم مُرّاً قاتلاً ، ويحصدون غرس أَيديهم ذُعَافاً مُـمَقَّراً وسُمّاً قاتلاً ، بعدما أَفْحَمَت الحُجَّة واِستفحل الدَّليل ، واِنسَدَّ طريق الإِنكار ، ولم يبقَ مجال لموقف الشَّكّ ، أَو ميدان لمُشكِّك ، ولم يجد عليه السلام تلك الظروف مُبرِّرة له للتَّخلِّي عن المسؤوليَّة ، بل بَدَرَ منه إِصراراً عجيباً يُحار فيه عقل لبيبها على تحمُّل المسؤوليَّة ، فصار عليه السلام ـ وإِنْ كان في أَحلك الأَهوال ، وأَصْعَبَ الظروف وأَعْقَدها ـ ينبوعاً مُتفجِّراً ضخَّ في الأُمَّة طابع وحسّ المسؤوليَّة في أَحوال ينقطع فيها الأَمل والرَّجاء ، وهذا ـ أَي: حسّ تحمُّل المسؤوليَّة ـ أَحد العوامل والأَسباب المُهمَّة في مسيرة المؤمن الَّتي يصرُّ عليها أَهل البيت عليهم السلام.

وهذا الدرس العظيم ـ أَي: حسّ تحمُّل المسؤوليَّة ـ هو الَّذي تحتاجه الأُمَّة في كُلِّ لحظة وطوال القرون المتمادية ، ولا يتقاعس الفرد عن المسؤوليَّة وإِنْ تخلَّىٰ عنها ونكث الجميع ، وكان يعيش الآلام المريرة.

والهروب عن المسؤوليَّة أَو إِلقَائها على كاهل الغير أَو على فئةٍ مرض عضال تُصاب به الأُمَّة يؤدِّي إِلى تقهقرها ، وهذا ما حاصل مع مسلم بن عقيل ؛ فإِنَّ الْكُلَّ تخلَّىٰ عنه وعن المسؤوليَّة ، لكنَّه لم يتخلَّ ويدخل في الصفقة. وكذا ما حصل مع أَبي الفضل العبَّاس ، ومِنْ ثَمَّ ورد في بيان زيارته عليه السلام: «... **السَّلَام عليك أَيُّها العبد الصَّالح ... الرَّاغب فيما زهد فيه غيره ...**» ، [بحار الأَنوار ، ٩٨: ٢١٩] ، فإِنَّ النَّاس كانوا زاهدين عن نصرة سيِّد الشُّهداء ، بل كانت في ذلك الزَّمان أَسمآء أَكثر لمعاناً من أَبي الفضل العبَّاس ، أَخفقت في هذا الإِمتحان والإِبتلاء العظيم ،

وفاز فيه أَبو الفضل العبَّاس ؛ لأَنَّ في اِتِّبَاع سيِّد الشُّهداء (صلوات اللّـه عليه) السيف والموت ، ومصادرة الأَموال ، وخراب الدِّيار ، وسبي العيال ، وهذه الضَّرائب من لوازم تحمُّل المسؤوليَّة.

وهذا ما تُشير إِليه بيانات الوحي ، منها :

١ـ بيان خطية أَمير المؤمنين (صلوات اللّـه عليه): «... **أَيُّها النَّاس لا تستوحشوا في طريق الهدىٰ لقلَّة من يسلكه** ...». بحار الأَنوار ، ٢: ٢٦٦/ ح٢٧.

ومعناه: لا يُعذر المخلوق من عدم سلوك طريق الحقّ وإِنْ ندر سالكيه ، وسلوك طريق الحقّ يعني تحمُّل المسؤوليَّة.

٢ـ بيان سيِّد الشُّهداء (صلوات اللّـه عليه) في طريقه إِلى كربلاء: «**النَّاس عبيد الدُّنيا ، والدِّين لَعِقٌ على أَلسنتهم ، يحوطونه ما درَّت معايشهم ، فإِذا مُحِّصوا بالبلاء قلَّ الدَّيَّانون**». بحار الأَنوار ، ٧٥: ١١٦ـ ١١٧/ ح١.

ودلالته واضحة.

والمسؤوليَّة أَحَد المعاني الأَساسيَّة للدِّين ؛ فإِنَّه مأخوذ من المدينة والمسائلة ، ومِنْ ثَمَّ بقاء الدِّين ببقاء مَنْ يتحمَّل المسؤوليَّة.

وهذا ما تُشير إِليه بيانات الوحي ، منها :

١ـ بيان سيِّد الأَنبياء الوارد في حقِّ أَمير المؤمنين (صلوات اللّـه عليهما وعلى آلهما): «**إِنَّه مِنِّي وَأَنا منه**». بحار الأَنوار ، ٢٠: ٩٦/ ح٤. الخصال ، ٢: ١٢١ـ ١٢٤.

٢ـ بيانه ﷺ: «**فاطمة بضعة مِنِّي وَأَنا منها**». بحار الأَنوار ، ٤٣: ٢٠٢.

٣ـ بيانه ﷺ أَيضاً: «**حسن مِنِّي وأَنا منه**». بحار الأَنوار ، ٤٣: ٣٠٦/ ح٦٦.

٤ـ بيانه ﷺ أَيضاً: «**حسين مِنِّي وأَنا من حسين**». بحار الأَنوار ، ٤٣: ٢٦١/ ح١.

وأَحد معانيها: أَنَّ دين سيِّد الأَنبياء ﷺ لا يبقىٰ إِلَّا ببقاء ثلَّة من هذه الأُمَّة ، وهم أَهل البيت (صلوات اللّـه عليهم) ، يوطِّنون أَنفسهم على فقد كُلّ غالٍ ونفيسٍ وخطيرٍ لأَجل تحمُّل المسؤوليَّة.

ومنه يتَّضح: بيان سيِّد الشُّهداء (صلوات اللّـه عليه) في مخاطبته لأَصحابه ليلة العاشر من المُحرَّم: «... **وأَنتم في حلٍّ من بيعتي ، ليست لي في أَعناقكم بيعة ، ولا لي عليكم ذمَّة ، وهذا اللَّيل قد غشيكم فاتَّخذوه جملاً ، وتفرَّقوا في سواده ؛ فإِنَّ القوم إِنَّما يطلبوني ، ولو ظفروا بي لَذَهَلُوا عن طلب غيري**. فقام إِليه عبد اللّـه بن مسلم بن عقيل بن أَبي طالب عليه السلام فقال: ... وقام إِليه ... زهير بن القين البجليُّ فقال: ... فقال عليه السلام ـ له ولأَصحابه: **جُزيتم خيراً**». بحار الأَنوار ، ٤٤ : ٣١٦.

فإِنَّه عليه السلام أَراد اِختبارهم وامتحانهم على مدىٰ تحمُّلهم لحسِّ المسؤوليَّة ؛ لأَنَّ منشأ المسؤوليَّة ـ كما تقدَّم في الأَبحاث السَّابقة وما سيأتي (إِنْ شآء اللّـه تعالىٰ) في الأَبحاث اللَّاحقة ـ ليس البيعة والمصافقة والعقد الاِجْتِمَاعي ، وإِنَّما الاِعتقاد باللّـه تعالىٰ وبرسوله صلى الله عليه وآله وبسائر أَهل البيت (صلوات اللّـه عليهم) ، والاِعتقاد بلزوم تحقيق الإِنجاز والدور الإِلٰهيّ ، وهذا ثابت على المُكلَّف على كُلِّ حال.

الأَمر الثَّالث:

اِستعمال سيِّد الشُّهداء عليه السلام في مسيره إِلى كربلاء أَساليب لفضح المُعتدي

إِنَّ ما يُثار في قضيَّة كربلاء ، وتركيز الكُتَّاب والوعَّاظ وأَصحاب المنابر والخُطباء على بعض الأُمور ، من قبيل: جلب سيِّد الشُّهداء (صلوات اللّـه عليه) النِّساء للمعركة ، وقال: «**شاء اللّـه أَنْ يراهُنَّ سبايا**» ، وطلبه عليه السلام الماء من جيش عمر بن سعد ، والمجيء بعبد اللّـه الرَّضيع للموادعة يراه بعض (والعياذ باللّـه تعالىٰ): نوع ذل وانكسار ، لا يُليق به (صلوات اللّـه عليه) وبقضيَّته. ويراه آخر: أَنَّه من ضمن سياسات التَّقدير الإِلٰهيّ الجارية على أَيدي أَوليائه وحُججه (والعياذ باللّـه تعالىٰ) إِغراء وتوريط ، وإِيقاع المُعتدي في الاعتداء.

والصواب: أَنَّها أَساليب تستعملها رجالات الوحي وحُججه لفضح المُعتدي وأَساليبه ، كيما لا تُستر إِعتداءاته ، وأَنَّ ما يقوم به تحت غطاء الدِّين ليس هو نهج وسبيل دين اللّـه القويم ، بل هدم للدِّين.

وينبغي الِالتفات: أَنَّ مفاهيم الفضائل والكمالات فضلاً عن تطبيقاتها وآليَّاتها غالباً ما تكون من الأُمور المُلَبَّدة وغير الواضحة ، ومباحثها من أَصعب وأَعقد المباحث.

الأَمر الرَّابع:

قداسة دور سيِّد الشُّهداء عليه السلام ثابتة لا تتغيَّر

هناك شُبهات وإِثارات وتساؤلات لطالما لهج بها السفسطائيُّون والحداثويُّون والعلمانيُّون والإِباحيُّون وَمَنْ جرىٰ على شاكلتهم ، حاصلها: أَنَّه لماذا أَتباع مدرسة أَهل البيت يُركِّزون على قداسة ودور الحسين وعاشوراء ؛ والقداسة تُحجِّر وتحجب العقول عن الوصول للحقيقة ؟!

وبهذا النَّفس يشكلون على قضايا أُخرىٰ ، منها: أَنَّه مَنْ قال: إِنَّ العِفَّة والطَّهارة والكمال وما شاكلها فضائل ، وأَنَّ أَضدادها ـ التَّهَتُّك والرِّجس والنَّجَاسة والنَّقص وما شاكلها ـ رذائل؟

والجواب:

أَوَّلاً: أَنَّ هذا ليس من باب إِضافة قداسة ، وإِنَّما هو كشف عن واقع ، وإِلفات نظر المخلوق إِلى مَنْ هو في نفسه مُقدَّس ، واستشعارٌ ومعرفةٌ والتزامٌ به.

وعلى هذا قس جواب التساؤل الثَّاني.

ثانياً: أَنَّ القداسة على ضربين ؛ فتارة تكون لشيءٍ مكذوب ، وأُخرىٰ لحقيقة مُتَّصفة بذلك واقعاً ، لا سيما إِذا كانت ذاتها وصفاتها وفضائلها وكمالاتها وشؤونها وأَحوالها غير متناهية أَبداً. والأَوَّل نُسَلِّم بأَنَّه تحجير وحجب للعقول والأَفهام عن الوصول إِلى الحقيقة والكمال ، بخلاف الثَّاني ، لا سيما إِذا كانت ذات الحقيقة وصفاتها وفضائلها وكمالاتها وشؤونها وأَحوالها غير متناهية ، وثابتة لا تتغيَّر ولا تتبدَّل ، ولم يصنع لها تقديس المخلوق رفعتها وعلوِّ شأنها ، وإِنَّما هي مُقدَّسة وذا رفعة وعلوّ وكمال في ذاتها ، وكُشف للمخلوق قداستها ورفعتها وعلوّها وعلوّ صفاتها وفضائلها وكمالاتها وشؤونها وأَحوالها ، وحينئذٍ الِتفات نظر المخلوق إِليها ، واِستشعاره بها ومعرفتها والإِقبال عليها والالتزام بها تحثُّ عقله وفهمه على

الحركة والتَّطوّر ، وتزيد جوهره تلألؤاً ورفعةً وفضلاً وكمالاً ، ومن ثَمَّ لو لم يكن للحقيقة في نفسها قدسيَّة وفضيلة وكمالاً فلِمَ تسعىٰ البشريَّة وروَّادها ونخبها للتزوّد من العلم والمعرفة ولا ترتوي منهما.

ثورة سيِّد الشُّهداء عليه السلام ثورة المسؤوليَّة والمُساءلة على جملة الأَصعدة

نعم ، سبب إثارة هذه التَّساؤلات والشُّبهات يكمن في أَنَّ مشروع سيِّد الشُّهداء (صلوات اللّـه عليه) وعاشوراء مشروع خطير جِدّاً على القوىٰ المُتغطرسة والمُتغلِّبة ، فليس هو مشروع هادئ ، بل يُحاسب جملة المخلوقات ، وثورة ضدَّ الطُّغَاة وكافَّة أَلوان الطُّغيان العجيبة ، وعلى جميع الأَصعدة وفي كُلِّ المواقع ، فليست هي ثورة على طغيان يزيد و عبيد اللّـه بن زياد وعمر بن سعد فقط ، بل وثورة على طغيان عبيد اللّـه بن الحر الجعفي الَّذي التقىٰ به سيِّد الشُّهداء عليه السلام أَثناء مسيره (صلوات اللّـه عليه) إِلى كربلاء ، وطلب منه النُّصْرَة ، لكنَّه حرص وحافظ على نفسه ، وتخاذل عن المسؤوليَّة ونُصْرَة الحقّ ، وعرض بدل ذلك فرسه وسيفه ، لكنَّ الإِمام عليه السلام ردَّهما عليه.

إِذَنْ: ثورة سيِّد الشُّهداء (صلوات اللّـه عليه) ثورة المسؤوليَّة والمساءلة على كافَّة الأَصعدة ، وثورة ضد جملة أَنواع الطغيان ؛ سواء أَكان على صعيد طغيان النَّفس ، أَو طغيان السَّاسة ، أَو طغيان المرأة ، أَو طغيان زينة الحياة ، أَو طغيان بحبحة الاسم والوجاهة أَو غيرها. ومِنْ ثَمَّ لم تحجب سيِّد الشُّهداء (صلوات اللّـه عليه) فريضة الحجّ عن القيام بالمسؤوليَّة ، فتحلَّل يوم التروية وجعلها عمرة مفردة وسلك طريق كربلاء. وهذا برهانٌ وحيانيٌّ عمليٌّ دالٌّ على عدم وجود شيء يحجب المُكلَّف عن القيام بمسؤوليَّاته.

ومعناه: أَنَّه كُلَّما كانت المسؤوليَّة أَكبر كُلَّما وجب إِعطاؤها أَولويَّة أَكثر ، فالتَّشاغل بالأَولويَّات السفليَّة أَو الوسطىٰ لا يعذر المُكلَّف عن المسؤوليَّة اِتِّجاه الأَولويَّات

الأَعظم ، والتَّخاذل والتَّقاعس عنها ، وحينئذٍ لا ينفعه التَّبرير والإِعتذار تحت أَي ذريعة غير منطقيَّة.

الأَمر الخامس:

شعار أَهل البيت عليهم السلام ضرورة الجمع بين منهجهم المجموعي

هناك محورٌ مُهمٌّ في مشروع سيِّد الشُّهداء (صلوات اللّـه عليه) صَدَّرَهُ كَشِعَار في جملة من خطبه ووصاياه ، منها :

بيان وصيَّته لأَخيه مُحَمَّد بن الحنفيَّة: «... **أَنَّ الحسين يشهد أَنْ لَا إِلٰه إِلَّا اللّـه وحده لا شريك له ، وأَنَّ مُحَمَّداً عبده ورسوله ... وأَنِّي لم أَخرج أَشَراً ولا بطراً ولا مفسداً ولا ظالماً وإِنَّما خرجتُ لطلب الإِصلاح في أُمَّة جدِّي صلى الله عليه وآله ، وأُريد أَنْ آمر بالمعروف وأَنهىٰ عن المنكر ، وأَسير بسيرة جدِّي وأَبي** ...». بحار الأَنوار ، ٤٤: ٣٢٩.

وهذا المحور موجود أَيضاً في كثير من الزيارات المُستفيضة ، كـ: زيارات سيِّد الأَنبياء صلى الله عليه وآله ، وزيارات أَمير المؤمنين عليه السلام ، وزيارات سيِّد الشُّهداء عليه السلام ، وجميعها تُبيِّن أَنَّ المُزار الأَوَّل في زيارة كُلّ معصومٍ هو اللّـه عزوجل ، ثُمَّ سيِّد الأَنبياء صلى الله عليه وآله ، ثُمَّ أَمير المؤمنين عليه السلام ، ثُمَّ فاطمة الزهراء عليها السلام ، ثُمَّ الحسنين عليهما السلام.

فلاحظ :

بيان زيارة عاشوراء: «... **إِنِّي أَتَقَرَّب إِلى اللّـه وإِلى رسوله وإِلى أَمير المؤمنين وإِلى فاطمة وإِلى الحسن وإِليك بِمُوالاتِكَ ، وبالبراءة مِمَّن قاتلك ونصب لكَ الحرب** ...». بحار الأَنوار ، ٩٨: ٢٩٤.

وهذا المحور والشعار عبارة عن ضرورة الجمع بين المنهج المجموعي لأَهل البيت (صلوات اللّـه عليهم) ، أَي: التَّركيز على إِتِّباع منهجهم عليهم السلام ، أَوَّلهم سيِّد الأَنبياء صلى الله عليه وآله.

الأَمر السَّادس:

ظواهر تكوينيَّة حصلت بعد إِستشهاد أَمير المؤمنين وسيِّد الشُّهداء عليهما السلام

ذكر ابن عساكر الدمشقي في تأريخ دمشق وابن كثير والطَّبري وغيرهم روايات من طرق أَهل الخلاف المُستفيضة ، بل المتواترة أَوردوها في ذيل تفسير بيان قوله تعالىٰ: ﴿فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنْظَرِينَ﴾ [الدخان: ٢٩] في البوادر الكونيَّة الحاصلة بعد استشهاد سيِّد الشُّهداء (صلوات اللّـه عليه): اَنَّ السَّمآء بكت دماً لِاستشهاده ، وأَنَّ بعض البلدان الإِسلاميَّة كالمدينة المنوَّرة والكوفة بقيت جدران مبانيها أَربع سنين من حين اِستشهاده عليه السلام تَنْضَح دماً بحيث لا تُنشر عليها الثياب إِلَّا وتلطَّخت بالدِّماء.

وهذه الظَّواهر الكونيَّة حصلت أَيضاً من قبل عند اِستشهاد أَمير المؤمنين (صلوات اللّـه عليه).

الأَمر السَّابع:

غالبيَّة الكوفة في أَحداث كربلاء أُمويَّة الهوىٰ

إِنَّ الكوفة كانت في زمن أَمير المؤمنين والحسن والحسين (صلوات اللّـه عليهم) ، بل وفي زمن المختار ـ وانتصاره كان أَشبه بالمُعجزة ـ تضمُّ تيَّارات مُختلفة ؛ فلم تكن جميعها شيعيَّة ، وإِنَّما ثلَّة قليلة منها تقرب إِلى الثلث كانت موالية لأَهل البيت (صلوات اللّـه عليهم) ، والأَكثر كانوا مُناوئين لهم (صلوات اللّـه عليهم) ، وكان يسكنها بعض أَهل الشام وسائر فلول من مناطق أُخرىٰ.

إِذَنْ: مدينة الكوفة في أَحداث كربلاء كانت الشيعة فيها أَقلِّيَّة ، والأَغلبيَّة أُمويَّة وعثمانيَّة الهوىٰ ، وبحسب الرُّوايات التَّأريخيَّة كان ـ بالدِّقَّة ـ ثلاثة أَخماس سُكَّانها على أَقلِّ تقدير نواصب ؛ أُمويِّين وعثمانيِّين ، ومن ثَمَّ كان اِنتصار المختار إِعجازاً إِلٰهيّاً.

الأَمر الثَّامن:

خطورة كتاب (كامل الزيارات)

الآخرة »[١] ، فسفك الدِّماء في سبيل الله ﷻ وإِن كانت فيه مرارة ، لكنَّ مَنْ يستفيق يجده شهد المذاق ، وجراحات السلاح والحديد برداً وسلاماً .

ومن ثَمَّ ورد في بيان الدُّعاء في زيارة سيِّد الشهداء عليه السلام: « **اللَّهُمَّ اِجعَل ما أَقُولُ بلساني حقيقته في قلبي وشريعته في عملي** »[٢].

→ كان ابن قولويه مرجع الشيعة في بداية الغيبة الكُبرىٰ ، وكانت مرجعيَّته تُنافس مرجعيَّة الشَّيخ الصَّدوق ، هاجر من مدينة قم إِلى بغداد ، وتتلمذ على يديه الشَّيخ المفيد في كافَّة دروسه الفقهيَّة ، ومع عظم شأن هذا الشَّيخ الجليل وعظم جهوده وتصنيفاته برز من بينها كتاب (كامل الزيارات) والَّذي ركَّز فيه على فقه الشعائر.
ولا يَشُمَّ مَنْ لا يتدارس هذا الكتاب أَو لا يتباحث به ، و يغوص في أَعماق ما فيه أَبْجَدِيَّات بحث الشَّعائر الحسينيَّة وشعائر الزيارات.

الأَمر التَّاسع:

زيارة عاشوره

زيارة عاشوراء منشور عصري عالمي أَبدي ، ونور ساطع في العقل البشري.

(١) بحار الأنوار ، ١١: ١٥٠.

(٢) كامل الزيارات: ٣٥٨/ ح١.

* القرآن الكريم.

١. الاحتجاج ، أبي منصور أحمد بن علي بن أبي طالب الطبرسي.

٢. إحقاق الحقّ ، القاضي السيد نور الله الحسيني المرعشي التستري.

٣. الاختصاص ، الشيخ المفيد محمَّد بن محمَّد بن النعمان العكبري البغدادي.

٤. الإرشاد ، المفيد.

٥. إرشاد القلوب ، الشيخ الحسن بن أبي الحسن علي بن محمد الديلمي .

٦. أُصول الكافي ، الشيخ محمد بن يعقوب الكليني.

٧. إكمال الدين ، الشَّيخ الصدوق ، محمد بن عليّ بن بابويه القمي.

٨. الأَمالي ، أبي جعفر محمَّد بن الحسن الطوسي .

٩. الأَمالي ، الشَّيخ الصدوق ، محمَّد بن عليّ بن بابويه القمي.

١٠. بحار الأَنوار ، الشَّيخ محمَّد باقر المجلسي.

١١. البرهان ، هاشم بن سليمان البحراني.

١٢. بشارة المصطفى ، الشيخ عماد الدين أبو جعفر محمد بن أبي القاسم بن يزدبان الطبري.

١٣. بصائر الدرجات ، الشيخ أبو جعفر محمد بن الحسن بن فروخ الصفار.

١٤. البلد الأَمين ، الشيخ تقي الدين إبراهيم بن علي بن الحسن بن محمد العاملي الكفعمي.

١٥. تحف العقول ، ابن شعبة الحرّاني.

١٦. تذكرة الخواص ، يوسف بن قزغلي البغدادي السبط ابن الجوزي.

١٧. تفسير أَطيب البيان ، السيد عبد الحسين الطيب.

١٨. تفسير البصائر ، آية الله أبي محمد يعسوب الدين رستكار الجويباري.

١٩. تفسير العياشي ، محمَّد بن مسعود العياشي.

٢٠. تفسير القمي ، علي بن إبراهيم بن هاشم القمي.

٢١. التفسير المنسوب إِلى الإِمام العسكري عليه السلام ، الامام أبي محمَّد الحسن بن عليّ العسكري عليه السلام.

٢٢. تفسير فرات الكوفي ، فرات بن إبراهيم الكوفي.

٢٣. تهذيب الأَحكام ، أبي جعفر محمد بن الحسن الطوسي.

٢٤. التوحيد ، الشَّيخ الصدوق ، محمَّد بن عليّ بن بابويه القمي.

٢٥. ثواب الأعمال ، الشيخ محمد بن علي بن بابويه القمي الصدوق.

٢٦. جامع الأَسرار ومنبع الأَنوار ، السيد حيدر الآملي.

٢٧. جنَّة العاصمة ، السيد محمَّد حسن ميرجهاني الطباطبائي.

٢٨. الخصال ، الشَّيخ الصدوق ، محمد بن علي بن بابويه القمي.

٢٩. خطبة البيان لأَمير المؤمنين عليه السلام ، المنسوبة لأمير المؤمنين علي بن ابي طالب عليه السلام ، منشورات المطبعة الحيدرية ، النجف الأشرف.

٣٠. الدر المنثور ، عبد الرحمن بن أبي بكر ، جلال الدين السيوطي.

٣١. دلائل الإمامة ، الطبري ، الشيخ محمَّد بن جرير بن رستم الطبري الإمامي الصغي.

٣٢. رجال الكشي ، شيخ الطائفة محمد بن الحسن الطوسي.

٣٣. روضة الواعظين ، الشيخ محمَّد بن الفتّال النيسابوري.

٣٤. رياض الجنان: (مخطوط).

٣٥. السرائر ، أَبي جعفر محمَّد بن منصور بن أحمد بن إدريس الحلّي .

٣٦. شرح نهج البلاغة ، ابن أَبي الحديد المعتزلي.

٣٧. صحيفة الأَبرار ، الميرزا محمد تقي الممقاني.

٣٨. الطَّرائف ، السيد رضيّ الدين علي بن موسى إبن طاووس.

٣٩. علل الشَّرائع ، الشَّيخ الصدوق ، محمد بن علي بن بابويه القمي.

٤٠. عوالم العلوم ، الشيخ عبدالله البحراني ، الشَّيخ محمَّد باقر الموحد الأبطحي.

٤١. عيون أَخبار الرضا عليه السلام ، الشَّيخ الصدوق ، محمد بن علي بن بابويه القمي.

٤٢. عيون الأَخبار ، بو محمَّد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري.

٤٣. عيون المعجزات ، الشيخ حسين بن عبدالوهاب.

٤٤. الغدير ، الشَّيخ عبدالحسين أَحمد الأَميني النجفي.

٤٥. الغدير ، عبد الحسين الأَميني.

٤٦. غرر الحكمة ، عبد الواحد بن محمد التميمي الآمدي.

٤٧. غيبة النعماني ، أَبو عبد الله محمد بن إبراهيم النعماني.

٤٨. الفردوس ، شيرويه بن شهردار بن شيرو يه بن فناخسرو ، أبو شجاع الديلميّ الهمذاني.

٤٩. فروع الكافي ، الشيخ محمد بن يعقوب الكليني.

٥٠. الفصول المختارة ، أَبي عبد الله محمَّد بن محمَّد بن النعمان العكبري البغدادي الشيخ المفيد.

٥١. الفضائل ، أَبي الفضل سديد الدين شاذان بن جبرائيل بن إسماعيل.

٥٢. قرب الإِسناد ، الشيخ أبي العبَّاس عبدالله بن جعفر الحميري.

٥٣. الكافي ، الشيخ محمَّد بن يعقوب الكليني.

٥٤. كامل الزيارات ، جعفر بن محمد بن قولويه القمي.

٥٥. كتاب: (سليم بن قيس) ، سليم بن قيس الهلالي.

٥٦. كتاب الاقبال ، السيد رضي الدين علي بن موسى بن طاووس.

٥٧. كشف الغمَّة ، علي بن عيسى بهاء الدين الإربلي.

٥٨. كفاية الأَثر ، الشيخ أبو القاسم علي بن محمد بن علي الخزّاز القمي الرازي.

٥٩. كمال الدين ، الشَّيخ الصدوق ، محمد بن علي بن بابويه القمي.

٦٠. كنز الفوائد ، الشَّيخ محمَّد بن عليّ الكراجكي الطرابلسي.

٦١. كنزل العمَّال ، المتقي الهندي.

٦٢. اللآلي المصنوعة ، عبد الرحمن بن أبي بكر ، جلال الدين السيوطي.

٦٣. مجمع البيان ، أبي علي الفضل بن الحسن الطبرسي.

٦٤. مجمع النورين ، الشَّيخ أَبو الحسن بن محمَّد النَّجفي الرازي المرندي.

٦٥. المحاسن ، المحدّث أبي جعفر أحمد بن محمَّد بن خالد البرقي.

٦٦. المحتضر ، الشيخ عزّ الدِّين أبو محمَّد الحسن بن سليمان بن محمَّد الحليّ.

٦٧. مختصر البصائر ، الحسن بن سليمان الحلي.

٦٨. المزار الكبير ، الشيخ محمَّد بن جعفر المشهدي.

٦٩. مستدرك سفينة البحار ، الشيخ علي النمازي الشَّاهرودي.

٧٠. مشارق أَنوار اليقين في أَسرار أَمير المؤمنين عليه السلام ، الخطبة الإِفتخاريَّة ، رجب البرسي.

٧١. المصباح ، الشيخ تقي الدين إبراهيم بن علي بن الحسن بن محمد العاملي الكفعمي.

٧٢. مصباح الزائر ، السيد علي بن موسى بن طاووس.

٧٣. مصباح المتهجِّد ، محمد بن الحسن الطوسي.

٧٤. مصباح الهداية ، السيِّد روح الله الخميني الموسوي.

٧٥. معارج العُلىٰ (مخطوط).

٧٦. معاني الأَخبار ، الشَّيخ الصدوق ، محمد بن علي بن بابويه القمي.

٧٧. ملتقىٰ البحرين ، وليد سيف.

٧٨. الملهوف ، السيد علي بن موسىٰ بن طاوس.

٧٩. من لا يحضره الفقيه ، الشَّيخ الصدوق ، محمَّد بن عليّ بن بابويه القمي.

٨٠. مناقب آل أَبي طالب ، محمَّد بن عليّ بن شهر اشوب.

٨١. ميزان الحكمة ، محمَّد الريشهري.

٨٢. نهج البلاغة ، للإمام أَمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام.

٨٣. الهداية الكبرى ، لحسين بن حمدان الخصيبي.

٨٤. وسائل الشيعة ، محمَّد بن الحسن الحر العاملي.

٨٥. اليقين في أُمرة أَمير المؤمنين ، السيِّد رضي الدِّين عليّ بن موسى بن طاووس.

٨٦. ينابيع المودَّة ، الشيخ سليمان بن إبراهيم الحنفي القندوزي.

الْمُقَدَّمَة ٧

حقيقة الوضع ١١

قاعدة: (خذ الغايات واترك المبادئ) ١١

خروج في الجملة عن صلب الموضوع ٨٢

المخلوقات الإلهيَّة المهولة الخطيرة حقائق أَهل البيت عليهم السلام الصَّاعدة ٨٢

اِستعمالات حقيقيَّة من دون شائبة تجوُّز ١٢٤

اِتِّضاح جَمٍّ غفير من بيانات الوحي ١٢٥

نكتة تأويلات المعصوم عليه السلام لأَمثال هذه البيانات ١٣٦

الأَدِلَّة المانعة من نشر الحقائق الوحيانيَّة عند غير أَهلها ١٣٧

توضيح لمضمون هذا البيان الثَّالث..... ١٤١

خلوّ المقام وهذه الأَبحاث من شائبة الغُلُوِّ..... ١٨٧

الإِماتة وبقيَّة الأَفعال الإِلهيَّة على طبقات ١٩٢

أُمور يجدر الالِتفات إِليها ١٩٥

الأَمر الأَوَّل: ١٩٥

تَعَصِّي البعض عن قبول ما ورد في حقِّ أَهل البيت عليهم السلام ١٩٥

الأَمر الثَّاني: ١٩٧

أَعظم ظُلامة لأَهل البيت عليهم السلام جفوتهم في علومهم ١٩٧

الأَمر الثَّالث: ١٩٧

زيادة المعرفة بأَهل البيت عليهم السلام ١٩٧

الأَمر الرَّابع: ١٩٨

تعظيم المخلوق ١٩٨

الأَمر الخامس: ١٩٨

التَّعامل مع معارف أَهل البيت عليهم السلام ١٩٨

الأَمر السَّادس: ٢٠٢

نُكْتَة عدم استيعاب عقول المخلوقات لشؤون أَهل البيت عليهم السلام ٢٠٢
الأَمر السَّابع: ٢٠٧
الإِصلاح الأَكبر يكمن في بث البصيرة ٢٠٧
الأَمر الثَّامن: ٢٠٨
كافَّة أَسباب القوَّة والقدرة بيد أَهل البيت عليهم السلام ٢٠٨
الأَمر التَّاسع: ٢٠٨
عدل أَهل البيت عليهم السلام أَحد أَسباب قوَّتهم واقتدارهم ٢٠٨
الأَمر العاشر: ٢٠٩
تطهير النَّفس من شُبهة الغُلُوِّ ٢٠٩
الأَمر الحادي عشر: ٢٠٩
الغُلُوّ والتَّقصير أَحدهما يستبطن الآخر ٢٠٩
الأَمر الثَّاني عشر: ٢١١
عَظَمَة وخطر وهول الرُّؤْيَة العقائديَّة ٢١١
رجوع إِلى صلب الموضوع ٢١٣
المعرفة الإِلهيَّة الحقَّة والتَّوحيد الحقّ ٢٢٩

حقائق التَّعاريف تكمن في الغايات ٢٣٠

حقيقة ذات سيِّد الأَنبياء ﷺ بفصلها الأَخير ٢٣٠

اِتِّضاح جَمٌّ غفير من بيانات الوحي ٢٣٦

فصل حقائق سائر أَهل البيت عليهم السلام بَحْر وَحي لا نهاية له أَيضاً ٢٣٨

عصارة ما تقدَّم من القول المختار ٢٣٩

تسميَّة أُخرى لقاعدة: (خذ الغايات واترك المبادئ) ٢٤٠

اِرتِطام إِبليس في ورطته نتيجة عدم ملاحظة فصل آدم الأَخير ٢٤٠

وقوع الملائكة في ترك الأَولى نتيجة عدم ملاحظة فصل آدم الأَخير ٢٤٢

الدَّليل على أَحقيَّة القول الثاني وقاعدة: (خذ الغايات واترك المبادئ) ٢٤٣

مؤيِّد ٢٤٥

عصارة القول ٢٦٩

قضايا خمس ٢٧٠

القضيَّة الأُولى: ٢٧٠

الفارق بين استعمالات فقه الشريعة وفقه الدِّين ٢٧٠

القضيَّة الثَّانية: ٢٧٦

لا تَلازُمَ في المعارف بين الحقيقة اللُّغويَّة والعقليَّة ٢٧٦

القضيَّة الثَّالثة : ٢٧٧

السيادة في أَبواب المعارف للحقيقة العقليَّة ٢٧٧

القضيَّة الرَّابعة : ٢٧٧

الاِرتياض في اِقتناص غاية المعنى ٢٧٧

القضيَّة الخامسة : ٢٧٧

الاِعتبار وغفلة الحقيقة ٢٧٧

فهرست المحتويات ٢٩٧